ميثولوجيا
الخرافة والأسطورة
في علم الإجتماع

هاني الكايد



ميثولوجيا الخرافة والأسطورة

في

علم الإجتماع

هاني الكايد

الطبعة الأولى

2010م/ 1431هـ



المحتويات

المحتويات 3
المقدمة 3
ميثولوجيا الخرافة والأسطورة 19
الباب الأول: تعريف الخرافة 19
الباب الثاني : مفهوم الخرافة 20
الباب الثالث :الخرافة والأسطورة من وجهة نظر إسلامية 24
الباب الرابع : علم الأساطير 29
الباب السادس : الأساطير المصرية 34
الباب السابع : الأساطير اليونانية (الإغريقية) 35
الباب الثامن : الأساطير الرومانية 36
الباب التاسع : الأساطير السلتية 38
الباب العاشر : الأساطير التِّيُوتُونِيَّة 39
الباب الحادي عشر : الأساطير في جزر المحيط الهادئ 39
الباب الثاني عشر : أساطير الهنود الأمريكيين 39
الباب الثالث عشر : كيف بدأت الأساطير 40
الباب الرابع عشر : نظرية هوميروس. 40
الباب الخامس عشر : نظرية مولر. 40
الباب السادس عشر : ماذا تعلمنا الأساطير 41
الباب السابع عشر :- الأسطورة مصدراً تاريخيا 42
الباب الثامن عشر: ثقافة الخرافة والأسطورة 56
الباب التاسع عشر:الخرافة والعقل 62
وآثارها وانعكاساتها 70
الباب الأول : تمهيد 70
الباب الثاني : مصادر الخرافة عند الاطفال 71
الباب الثالث : الشخصيات الخرافية في قصص الأطفال 76
الخرافة والأسطورة في حياة اليهود 80

الكتب المقدسة عند اليهود................................ 80
المعتقـدات................................ 84
نظام اليهودية 84
العبـــادة................................ 85
مواسم اليهود وأعيادهم الدينية................................ 85
أحكام الشريعة اليهودية 87
فِـرق اليهـود................................ 88
صورة لبهيموث مع صديقه لوثيان 127
صورة لبهيموث مع صديقه الديك الحيه الطائر 129
بهيموث في موسوعة الأساطير اليهودية................................ 130
بهيموث في موسوعة المصطلحات الأسطورية 130
بهيموث في الموسوعة البريطانية................................ 131
بهيموث في التلمود البابلي اليهودي................................ 131
ذكر بهيموث في التلمود البابلي 131
بهيموث في الزوهار اليهودي................................ 132
الخـــرافة والجـــان................................ 137
من معتقدات السودانيين في الجن : 175
الخسوف والكسوف: 177
الزار – شعوذه وفجور 182
دور الخرافة والأسطورة في الشعوذة................................ 195
الباب الأول : الخرافة تنتج الشعوذة................................ 195
الباب الثاني :- الجهل وضعف النفوس 200
الباب الثالث :- رواج اعلامي مخادع................................ 201
نماذج من الخرافات والاساطير................................ 204
اسطورة الصياد الملك................................ 207
أسطورة الزمن والكون................................ 209
خرافات يصدقها المغاربة................................ 216
الأرض الموضوعة على قرن ثور................................ 224

العوايـــة 224
بوغنجة ... أسطورة المطر : 225
جوستيسيا – الهة العدالة 225
أسطورة برميثيوس و اكتشاف النار 240
ملحمة جلجامش 246
بداية الملحمة 247
التحول الثقافي وتناقض الأفكار 261
في ترسيخ مفاهيم الخرافة واللاسطورة 261
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب 261
صدق الله العظيم 261
الباب الأول : آثار التحول الثقافي 261
الباب الثاني :اهتزاز الشخصية 262
الباب الثالث : ضياع الشباب 262
الباب الرابع : عجز في مواجهة التغييرات 263
الباب الخامس :اختلاف الآراء لدى الشيوخ والشباب 264
الباب السادس :العائلات المتعلمة: 264
الباب السابع :العائلات الأمية: 265
الباب الثامن : العار الاجتماعي 266
الباب التاسع : الشباب المتعلم والشيوخ الاميون: 266
الباب العاشر :العائلات والتحول الثقافي: 268
الباب الحادي عشر : العادات والتقاليد: 268
الباب الثاني عشر : التشاؤم من الرقم 13: 271
الباب الثالث عشر : الصنم والتضحية بالأبناء 272
الباب الرابع عشر : دور المحيط في شخصية الفرد 273
الباب الخامس عشر : عوامل تغيير المحيط: 273
الباب السادس عشر : الحكومات القوية 274
الباب السابع عشر : إرادة العظماء: 275
الباب الثامن عشر : الأنبياء وإصلاح المحيط 275

الباب التاسع عشر : الرسول الأكرم (ص) وجيل الشباب 276
الباب العشرين : صنم (مناة) 277
الباب الحادي والعشرين : تقاليد الجاهلية 279
الباب الثاني والعشرين : الاعتداء على الأموال 280
الباب الثالث والعشرين : الاسلام والاصلاحات السياسية 280
الباب الرابع والعشرين : الإرتقاء العلمي 282
الباب الخامس والعشرين : النفس الضعيفة 283
الباب السادس والعشرين : الاعتقاد بالأوهام 283
الباب السابع والعشرين : ضرورة التعليم والتعلم 284
الباب الثامن والعشرين : المراكز التعليمية 284
الباب التاسع والعشرين : طريقة انتقال المعلومات 285
الباب الثلاثين : التقليد والاقتباس 286
الباب الحادي والثلاثين : بداية الاختلاف 287
الباب الثاني والثلاثين : الانتقاد بحسن النية 287
الباب الثالث والثلاثين : الانتقاد التحقيري 288
الباب الرابع والثلاثين : الاختلاف بين المتعلم والجاهل 289
الباب الخامس والثلاثين: واجب الكبار 290
الباب السادس والثلاثين : الشباب والمشاعر الانسانية 290
الباب السابع والثلاثين : الشباب والحقائق المجهولة 291
الباب التاسع والثلاثين : الانتقاد ومراعاة الأدب: 292
الباب الأربعين : سر تأثير الكلام 293
طرق محاربة الخرافة 297
الاساطير اساس علم الفلاسفة والعلماء 307
الفـــــارابي 307
الرازي الطبيب العالم 312
مخطوطة الرازي 323
ابن باجة 326

ابن خلدون رائد علم الاجتماع..329
ابن طفيل..332
جابر بن حيان..333
نسبه و نشأته..333
التقطير – التسامي – الترشيح – التبلور – الملغمة – التكسيد..336
ابن رشد "الشارح الأكبر"..342
الذي لا ينسى..342
كتابي ابن رشد والغزالي..348
ابن الهيثم 753-815 هـ / 1350 -1412 م..349
البيروني شهد له التاريخ بالنبوغ..350
وليام مورتون ، الرجل الذي خدر العالم..362
داروين أقام العالم و أقعده بنظريته..365
أديسون مخترع أنار العالم..371
ابن فرناس.. طائرُ حلم أن يُحلِّق..378
ماكيافيلي..383
كتاب الأمير ووفاة مكيافيلي..387
وختم مكيافيلي رسالته إلى فتوري قائلاً:..388
القديس توما الاكويني..391
بينيديتو كروتشه..393
أهم مولفاته "فلسفة الروح" (1902-1917)..394
مستجير غواص في بحر العلم..394
قال عن نفسه "أنه عاشق للعلم وأن الشعر يمنحه الراحة النفسية"..395
قائمة المراجع..399

مُقَدِّمَة

مازالت المجتمعات الإنسانية تنشغل في تناول ونشر الخرافات والأساطير مع بروز الاختلاف والتمايز في تفسير وفهم نشوئها ،والغايات والأهداف التي لم تخل من أهداف ومآرب، خاصة تلك الخرافات والأساطير التي أدخلت في العقائد مثل اليهودية، في حين يرى البعض أن الخرافة والأسطورة هي البنية التوعوية والفكرية التي انبثق عنها الفكر الاجتماعي والسيكولوجي، ويرى آخرون أنها الدافع وراء ظهور علماء الفلسفة وأساس النقلة الفكرية التي أسس مختلف صنوف العلوم والمعرفة، ويرى آخرون أنها أقدم أنواع الكتابة القصصية، وكانت ذات مكانة كبيرة لدى الشعوب، ويتفق مؤرخو السرد بأنواعهم المختلفة على أن القصة والرواية بدأت بالشفاهية "الأدب في أول مراحله كلمات تقال أكثر منه حروفا تكتب"، فكل حضارة من الحضارات (الصينية والهندية والفارسية وحضارات مابين النهرين والحضارة المصرية القديمة، لها خرافاتها وأساطيرها.

هناك تشابه كبير بين اساطير الامم والشعوب ، يرى البعض ان هذا التشابه يعود إلى وحدة الأصل، ويراه اخرون انه لون من الإبداع الإنساني ، ويرجع عيد الناصر تشابه المناخ والظروف المحيطة بالإنسان يؤدي إلى نوع من التقارب في الإبداع، دون لقاء أو تأثير أو نقل، وبخاصة في طفولة الإنسانية، قبل أن تطغى عليها المؤثرات الخاصة، من البيئة والحضارة والثقافة وعوامل الزمن، فتباعد بين أفرادها وتميز بينهم في الفهم والإحساس وردود الفعل ولقد احتضنت الحضارة العربية الإسلامية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى جزءاً كبيرا من هذا الفن، وخلال هذا الاحتضان تشربت القصة بكيميائية السرد العربي الإسلامي الذي انتقل عبر محطة الأندلس (وهي مجمع محطات الفكر والفن والأدب

والتجارة للرحلات القادمة من بغداد ودمشق ومصر) إلى أوروبا، وأوروبا بدورها تلقفت وتفاعلت مع هذا النوع من السرد وأضافت إليه و أعطته بعضاً من ملامح عصرها وحضارتها والتي تعيش البشرية في نهاية القرن العشرين أوج ازدهار الحضارة الغربية متمثلة في الحضارة الأوروبية (التي بدأت تأفل) والحضارة الأمريكية الحديثة .وها قد عادت الحضارات الحية من حضارات الشرق القديم لا لالتقاط ما أضافته الحضارة الغربية من القصة والرواية فقط ، ولكن لتحيي تراثا ولتعيد النظر فيه، وتمازجه مع الإبداع الجديد محاولة إبداع أدب يعكس روح كل امة ويتماشى مع العصر الإنساني الحديث.

والقصة في الحضارات القديمة كما قال عيد الناصر ، أخذت صورة الأسطورة والخرافة ، ليس من السهل تحديد الموطن الأول للأسطورة، أما الخرافة التي تجيء للتسلية، لأنها أقدم آداب الإنسانية، فهي التي يبحث العلماء عن أول وطن لها وهو أمر من الصعوبة بمكان، وتتباين فيه الآراء بشدة أو بخاصة عندما تحركها دوافع قومية أو عنصرية" ومن الأمور المؤكدة هي أن نستبعد اليونان لأن الحضارة ظهرت متأخرة في بلاد اليونان بالنسبة إلى الحضارات الشرقية، ويرجح أن الشرق كان موطناً لهذا القصص، وان جرة الخرافات كانت منه إلى الغرب، ويستدل على ذلك بأن الحيوانات والطيور التي تقوم بالأدوار المهمة فيها كالأسد والفيل والطاووس والهدهد والثعلب حيوانات آسيوية أو أفريقية والأساطير هي "الحكايات الخيالية، التي توجد عند الأمم في حالتها الأولى ، ومادتها أشخاص أو حوادث أو أعمال فوق طاقة البشر ومن الأساطير الموروثة قصص المسخ، وتحول بعض الناس إلى حيوانات بقوة سحرية .وقد تطور معنى الأسطورة في مجال الفنون الجميلة، فأصبحت تدل على حادثة قديمة، متداولة في أوساط الشعب، يطورها التقليد، ويسمو بها الخيال، فيعظمها الشعور القومي، الديني أو الوطني، حتى يخرجها الفن مخرج الشعر- مهما يكن نصيبها الجمالي- فتغدو ملحمة وطنيه، أو سيرة قدسية، أو قصة شعبية، على نحو ما نرى

في ملحمة كيريت ملك الصيداويين، وأسطورة دانيل، وأسطورة عنت، أو عناة، عند الفينيقيين، وفي الإلياذة والأوديسة، عند اليونان، ثم قصص الزير سالم، وعنتر، وحرب البسوس عن العرب، وفي أنشودة رولان عن الفرنسيين، وفي بعض حكايات أو الاسكندينافية. أما الخرافة فهي قصة أبطالها شخصيات غير عاقلة من الحيوان والجماد، ولكنها تفكر وتتكلم وتتصف بالعقل والمنطق، ولها عواطف ومشاعر كالبشر وتقوم بدور إنساني واقعي، ولها أغراض وأهداف مختلفة وقد تصاغ شعرا أو نثرا. ونقل قاموس الخرافات والأساطير لطاهر ناذنجكي عن المعجم الأدبي انه يعرف الخرافة ضمن المفهوم الشعبي والمفهوم الأدبي. فيقول عن المفهوم الشعبي انه سرد خيالي شعبي عفوي ذو معنى رمزي. وقد يتعدد مفهوم الخرافة حسب التفسير الذي يعمد إليه الشراح .

وقد تتضمن تقليداً قديماً أو حكاية عن شخصيات، وأحداث وتشير عادة إلى ظاهرة طبيعية أو مرحلة تاريخية، أو إلى مضمون فلسفي، أو خلقي، أو ديني . وهذا ما يميز الخرافة عن الرمز والمجاز المحدودي المدلول.

ويقال إن جميع الميثولوجيات العالمية انطلقت من أسس خرافية، تشعبت وتلاحمت لدى عدد من الشعوب فتكون منها وحدة مترابطة. أما من حيث المفهوم الأدبي فيقول أنها:" حكاية قصيرة نثرية أو شعرية تبرز أحداثاً وشخصيات وهمية تتراءى من خلالها أحداث وشخصيات واقعية بحيث أن الذهن يتتبع عند قراءتها أو سماعها المعنى الظاهر والمعنى الباطن في الوقت نفسه.

وقد يكون أبطالها أناساً أو حيوانات، أو حشرات، أو نباتات، أو معادن، إذا يمكننا أن نستخلص أن نشأة القصة بدأت بذورها الأولى في الخرافة والأسطورة والحكاية، ثم نمت واستوت في الاقصوصة والقصة والرواية . بمعنى أن البشرية بقومياتها ولغاتها وعاداتها

المختلفة شاركت في تشكيل هذا النوع من التواصل الإنساني عبر اللغة المحكية والخيال المنفتح. وتعتبر المحطة العربية الإسلامية هي حلقة الوصل بين مرحلة الخرافة والأسطورة والحكاية كما تعارفت عليها شعوب العالم القديم وبين الحضارة الأوروبية التي تفاعلت عطاءات الحضارة العربية الإسلامية وأعطته وطورته إلى الحالة التي نراها عليه اليوم.

ولهذا يبدو من الضروري أن نسلط بعض الضوء على حالة القصص في التاريخ العربي الإسلامي.

بعض الخرافات يكون لها مغزى وبداية لخيال مبدع ولكن بعض هذه الخرافات تسيطر وحتى الآن على عقول بعض بني البشر حتى المتعلمين.

عندما عرّف العلماء الخرافة قالوا بأنها : تفكير يقوم على إنكار العلم ورفض مناهجه، أو يلجأ في عصر العلم، إلى تفسير بعض الظواهر الجزئية في الكون، ولكن بأساليب سابقة على هذا العصر.

ويمكننا أن نميز بين الخرافات والأساطير عن طريق أمرين اثنين:

الأول: التفكير الأسطوري هو تفكير العصور التي لم يكن العلم قد ظهر فيها بعد، أما الخرافة فتكون في زمنٍ للعلم فيه قوة مؤثرة في الحياة، وفي طريقة معرفة الإنسان والعالم.

الثاني: أن الفكر الأسطوري يقدم - في إطار بدائي - تفسيراً كاملاً للعالم أو لمجموعة من ظواهره، في حين أن الخرافة " جزئية" تتعلق بظاهرة أو حادثة واحدة، ففي العصور البدائية والقديمة: كانت الأسطورة تمثل نظاماً متكاملاً في النظر إلى العالم والإنسان، وكان هذا النظام يتسم في كثير من الأحيان بالاتساق والتماسك الداخلي، أما

الخرافات فتتعلق بالتفاصيل، وهي قد تكون متعارضة أو متناقضة فيما بينها، لأن أحداً لا يحاول أن يوفق بين الخرافات المختلفة ويكوّن منها نظاماً أو نسقاً مترابطاً.

والحقيقة أننا حين نقرأ عن الخرافة والأسطورة والفرق بينهما، يبرز لنا قرن الإلحاد كعلامة ملحّة في الأذهان لهما، وتأبى - عند المنصفين - أن تخرج عنهما.

بل إننا لا نبالغ إذا قلنا أن الإلحاد هو آخر صيحة في عالم الأساطير والخرافات، ذلكم أن طريقة التفكير الإلحادي في تفسير العالم والظواهر الكونية ونظرته للإنسان تتشابه بشكل كبير مع تفسير الخرافات والأساطير لها مما يجعله -أي الإلحاد- في نفس الجهة معهما في مقابل :الدين والعلم.

نعم الإلحاد في نفس الجهة مع الخرافات والأساطير في مقابل الدين والعلم فرفضه لكثير من المبادئ العقلية) كالسببية والتلازم وبطلان الترجيح بلا مرجح وبطلان التسلسل والدور وغيرها (واستغلاله المتحيز للحقائق العلمية فضلاً عن تشبثه بالنظريات العلمية الظنية لبناء الحتميات وإطلاق التعميمات وتمسكه بكثير من القصص الخرافية) كالطوطمية!

والقرد العاري (والإسقاطات العاطفية) الخوف من الموت والحساب يجعلهم ينكرون الأديان والبعث، وصبغ الظواهر الطبيعية الغير حية بالحياة والقدرة والإرادة كالقول بأن الخالق هو الطبيعة(ومصادماتهم للبديهيات الضرورية) قولهم بالصدفة وغيرها الكثير.

وكثير من الملحدين الذين ينالون من التعليم حظاً رفيعاً، يظل متمسكاً بالفكر الخرافي في كثير من جوانب حياته، التي لا يمسها العلم مساساً مباشراً، وهكذا لا يكون

إتباعه للمنهج العلمي في المعمل أو المختبر، أو جمعه حصيلة ضخمة من المعلومات العلمية- لا يكون ذلك عاصماً لذهنه من أن يؤمن في جانب من جوانبه، بالخرافات، ويرضى بتفسيرٍ للظواهر لا علاقة له من قريب أو بعيد بالمنهج العلمي الذي يجيد استخدامه.

ومما يؤكد لنا هذه الحقيقة، هي اتجاه العقلية الإلحادية إلى التعميم السريع، بحيث يؤمن الملحد بفاعلية النظرية أو الفكرة الطارئة بل وحتميتها بناءً على نجاح أمثلة قليلة جداً يتوفر فيها القليل من المصداقية، دون أن ينتظر العلم ليقول كلمته الأخيرة فيها، الأمر الذي يجعله يعيش في مجازفة غير مبررة.

كل هذا يؤكد لنا أن الإلحاد في نفس الجهة مع الخرافات والأساطير في مقابل الدين والعلم ولكن لما سبق ذكره من الفرو قات بين الخرافة والأسطورة، حيث أن الأساطير وجدت في زمن طفولة البشرية، كان الإلحاد أقرب إلى الخرافة منه إلى الأسطورة في فصول هذا الكتاب، سنتعرض للخرافة والأسطورة من جوانبها المتشعبة في الفهم والتعريف والمصطلح والإشكالية الفكرية والنقدية والأسباب والأهداف ، وما دخل منها في الديانات والعقائد بغرض الدس والتحريف.





مفهوم ميثولوجيا الخرافة والأسطورة





الباب الأول : تعريف الخرافة

ورد في لسان العرب أن الخرف هو فساد العقل من الكبر، والخرافة هي الحديث المستملح من الكذب، وقالوا حديث خرافة ،إن خرافة من بنى عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه، فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب الناس منها ،فكذبوه ،فجرى على ألسنة الناس، وفي معجم أكسفورد معنى أكثر تحديداً وهو أنها المعتقد غير العقلاني أو الذي لا أساس له، ويعرفها د.أحمد مرسى أستاذ الأدب الشعبى بأنها خوف أو خشية غير عقلانية من أو إعتقاد غير عقلانى في شئ غير معروف ،غامض أو متخيل أو إعتقاد غير يقينى أو محير أو عادة مريبة ،وكل هذه التعبيرات تشير إلى الموقف العاطفي الذي يحكم الخرافة، ودائماً مانمنح الخرافة غطاء مبهراً فنسميها تارة حكمة القدماء، وتارة أخرى علم التنجيم أو ننسبها إلى التراث الديني كالحسد مثلاً ،الذي تأثر به حتى أصحاب النظرة العقلانية مثل إبن خلدون الذي كتب أنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى نعجة نظرة خاصة أماتها.

وعلم الميثولوجي MYTHOLOGY كما يعرفه لنا الدكتور أمين سلامة في كتابه الأساطير اليونانية و الرومانية قائلا : إذا رجع الإنسان بمخيلته إلى بدايات الزمن الغامضة وجد أنه إذا لم تنر الديانة الحقيقة ذهن الإنسان و لم تفسر له العلوم الأشياء و نشأتها فإنه قد يلاحظ مولد ما نسميه بالأساطير.

ويعرف الأسطورة أنها : هي رواية أعمال إله أو كائن خارق ما، تقص حادثا تاريخيا خياليا أو تشرح عادة أو معتقد أو نظام أو ظاهرة طبيعية.

ويعرف الميثولوجيا أنها : هي نظام الأساطير كما يرويها جنس معين ، كما يعنى هذا اللفظ أيضا دراسة الأساطير بصفة عامة أو علم الأساطير

ولننظر إلى كتب اللغة وما فيها عن كلمتي الخرافة والأسطورة :

- **المحيط : الخُرَافَة : ثِمارُ الخريف :-** .الحديث الباطل مطلقًا؛ كان الحديث نسيجَ خرافة
- **المحيط : الأسطورة** :الخرافة أو الحديث الملفَّقُ لا أصل له . حكاية يسودُها الخيالُ وقد تبرز فيها قوى الطبيعة على شكل آلهة أو كائنات خارقة للعادة ويشيع استعمالُها في التراث الشعبيِّ لمختلف الأمم؛ شاع استخدام الأسطورة في الأدب الحديث رمزاً لفكرة .
- **الوسيط : الأسطورة:** الخُرافة، الحكاية ليس لها أصل .
- **الغني : خُرَافَةٌ** : أَحَادِيثُ بَاطِلَةٌ وَاعْتِقَادَاتٌ وَاهِيَةٌ . حِكَايَةٍ عَجِيبَةٍ، غَرِيبَةٍ.

الباب الثاني : مفهوم الخرافة

لاشك ان الخرافة مرتبطة ارتباط طفولي مع العقل البشري ، وتنامت مع النمو العقلي للانسان ، واصبحت الخرافة ـ في غياب العقل ـ توفر إجابات شافية للأسئلة المصيرية الملحة التي يطرحها الإنسان عن الطبيعة والكون وحاجات الجسد، تلك الإجابات لم تكن محسوبة أو محسومة بل إنها تفتقر إلى مبرراتها الواقعية.

ولكنها حققت حضورها الفاعل في المراحل الفطرية للمجتمعات البشرية على مستوى المعتقد والسلوك والممارسة اليومية، ومساعدة الإنسان على التكيف والانسجام.

ولكون الانسان يتمتع بحس تفكيري عالي ، ويمتلك من الملكات ما يمكنه من اكتساب المعارف والمهارات والإفادة من تراكم الخبرات، عبرت المجتمعات البشرية مراحل

تطور واسعة في طبيعة الحياة الاجتماعية ووسائلها وطريقة عيشها، كذلك خضعت لانتكاسات ووضعت العقل في الامتحان تلو الامتحان مما اكسبه المزيد من الغنى المعرفي في بحثه الدائم عن الحقيقة باعتبارها وجوداً مستقلاً. وتجريدها من الزيف والضياع والإلغاء.

ومع كل ذلك لم يصل الى الحقيقة الكونية الكامله ، ولكن الأديان السماوية المتعاقبة نجحت في طمأنته، وهيأت له مسالك محددة لبلوغ الغايات النهائية، وأخرجته من حيرته ولو بشكل مؤقت على أنها لم تستطع أن تسكت لجاجته إلى الأبد.

اما العقل في كينونته الكامله فقد استطاع أن يهزم الخرافة ذات الأسس الباطلة، التي لما تبني على اسناد داعم ، أي المنجردة من الدعم المنطقي ، ولكنه ليس هو في كل زمان ومكان فبينما توجد مجتمعات قمة، هناك مجتمعات سفوح، وهناك أخرى ما زالت تحبو بل إن هناك من المجتمعات تتراجع إلى الوراء في مراحل نكوصها الحضاري، وتلك هي المنبت الخصب للقناعات والأفكار المشوهة

الخرافة إذن إيمان وممارسات وسلوكيات تبيض وتفقس في الزوايا المظلمة التي لا يصل إليها شعاع العقل، وحيثما تعطل أو غاب تفاقمت وبسطت سلطتها على ثقافة المجتمع، متخذة من المخيال الجمعي أداة لوضع الحلول والقناعات العاجلة أمام الوعي البدائي للإنسان .

يقول مالك مسلماوي - إن ثقافة شعب ما يلغى فيها العقل أو يحجر عليه لهي ثقافة عفوية متخلفة يعتورها القلق والجمود ولا يرجى منها مكسباً إنسانياً أو تحولاً وشيكاً، لأن ما يهجره العقل يستوطنه الضياع والفوضى والأفكار القاتمة، وكلها من بنات الخرافة.

الخرافة تنشط في فضاء المطلق وتفترض مسلمات مزيفة ثم تؤسس سلطتها المحكمة في تسمية الأشياء وتوصيفها ومن ثم إخضاعها مستغلة غياب المعالجات العقلانية للإشكالات الوجودية والاجتماعية، وتحيط نفسها بالحصانة الكافية من التعرض للنقد والانتقاص، وهذا ما يحدث بصورة خطيرة عندما يتحول الدين إلى مجموعة من الخرافات (المقدسة) بسبب البعد عن منابعه الأصيلة، وانفتاحه على لا نهائية التأويل.

والخرافة في اللغة تعني فساد العقل. فهي نقيض الفكر الحر، وقد تفسر على إنها الأسطورة، وهذا تفسير غير منضبط، لأن الأسطورة ترتبط بمكان وزمان معينين وتكشف عن ظواهر إنسانية واجتماعية وتاريخية لها وجودها القائم، وتعالج ثنائية الخير والشر.

والأسطورة مجموعة من الوقائع ينتظمها صراع له بداية ونهاية معلومتان. بينما لا تمتلك الخرافة مثل هذه الممكنات الواقعية، حيث إنها تبنى على محض افتراضات باطلة اكتسبت على مر الأيام القبول والتبني في مراحل ضمور الوعي الاجتماع، وتبني الخرافة يعني إبطال قاعدة العلة والمعلول التي هي دعامة الذهن الثابتة في الربط بين السبب والنتيجة.

ثم إن الأسطورة لا تنشأ إلا في المجتمعات المعقدة والتي لها رصيد حضاري مثل الحضارة الإغريقية والهندية وحضارة ما بين النهرين و بينما تتحكم الخرافة بالشعوب المتخلفة، التي لا ترقى كثيرا على مجتمع الحيوان إلا أن هناك صلة خطيرة بين الأسطورة والخرافة، ألا وهي اعتمادها على عنصر الخيال، حيث دونه لا تقوم الخرافة، وتتجرد الأسطورة من قيمتها الجمالية والأخلاقية والسحر أيضا هو عملية خيالية لنقض الواقع والتحكم فيه، ولذا كان ولما يزال حاضنا للأفكار والوقائع الناشطة في ما وراء المنطق. ولذا

يعمد إلى ممارسة عمليات سطو منظمة على الوعي مثلما يحدث في التنويم المغناطيسي لتمرير تلك الأفكار.

وعلى أساس مقياس درجة الوعي يتضح مدى الدور الذي تلعبه الخرافة في المجتمعات في ظروف مواتية، وعلى سبيل المثال، لو تصفحنا تاريخ الأقوام التي استوطنت الجزيرة العربية قبيل الإسلام لأحصينا الكثير من الخرافات والمعتقدات وليدة الحياة الصحراوية البسيطة وطابع البداوة السائد فيها، فمع وصول الديانة المسيحية وقبلها اليهودية، حافظت الجزيرة العربية على وثنيتها ولم تتخل عن عبادة مظاهر الطبيعة كالحجر والكواكب والنجوم. فلم يكن من السهل على حملة الرسالات الدينية والمبشرين أن يجتثوا تلك المعتقدات الراسخة، وحتى مع حضور المعجزة لخلخلة القناعات القائمة في الذهنية البدوية الساذجة، وبعد أن استتب الأمر للدين الجديد وجدت الخرافة رواجا وقبولا لاستفادتها من البعد الغيبي الذي تتأسس عليه النظرية الدينية.

كما أن الذين نبذوا أصنامهم في مستهل الدعوة إلى الإسلام، سرعان ما ارتدوا إليها بعد زمن قصير، مما يبرهن على ما تشكله هذه القناعات من سلطة مطلقة على المجتمعات المنغلقة.

والسؤال المهم ، حتامَ يبقى الإنسان في مجتمعاتنا يحمل خرافته على رأسه وهو يعيش في زمن الإنجازات العلمية الهائلة؟ فهل هو ذنبه أم بسبب مراحل النكوص الحضاري والتحجر والانغلاق الثقافي الذي عانى منه على مدى قرون مديدة، أم ذنب قياداته الحكيمة التي يبدو أنها كائنات خرافية غير مشمولة بقوانين التطور.

يقول الشيخ الصفار ان انتشار الخرافات هي تكبيل لدور العقل في إدارة الحياة، ومن أبرزها السحر والشعوذة، إذ بدى واضحاً تأثر المجتمع بشكلٍ كبير وبالخصوص النساء. والدين الإسلامي يأمر باتخاذ العقل مرجعاً في إدارة الحياة، يقول رسول الله ﷺ: ((دين المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له)) الا أن بعض الأوساط الدينية تُساهم على ذلك بنقلها صورةً مشوّهة للدين خارج العقل. وتُعرض سير الأنبياء والأئمة وكأنها قطعة من المعاجز والكرامات. مع أن الكون يسير وفق سنن طبيعية والسير وراء الخرافات يُبعد الإنسان عن تلك السنن.

أن النظام الذي يحكم الكون والحياة هو من أعظم وأوضح الأدلة والبراهين التي تدل على وجود الخالق سبحانه وتعالى. فليس في الحياة عبث ولا فوضى، يقول تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)، ويقول تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً). والقرآن الكريم يُوجّه الإنسان للتفكّر في هذا الكون الذي يسير وفق نظام دقيق، كما يقول تعالى: وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)، ويقول تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

أن السبب في تأكيد آيات القرآن إلى النظر للكون والتفكّر فيه هو: لكي يعرف الإنسان أن الأمور في هذه الحياة لها أسبابها وسبلها الطبيعية، وعلى الإنسان أن يسلك تلك السبل للوصول إليها، ليس على مستوى الأمور الكونية الطبيعية فقط، وإنما على مستوى الواقع الاجتماعي أيضاً، فتقدم مجتمع أو تأخره، ونهوض حضارة أو سقوطها يتم ضمن معادلة ونظام عادل. يقول تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

فالسنن الطبيعية في الحياة كما أنها حاكمة على حياة الفرد، فإنها حاكمة على المجتمعات أيضاً، فأي مجتمع يسعى للتقدم والرقي عليه أن يتخذ من السنن الطبيعية طريقاً لذلك، فليس عبثاً أن تقوم حضارة وتسقط أخرى، وليس عبثاً أن يتقدم مجتمع ويتخلف آخر.

وحول جانب الإيمان بالغيب الذي تعتبره آيات القرآن الكريم أول صفات المؤمنين، يقول تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)، أن ذلك لا يعني تجاهل السنن الطبيعية التي تُسيّر الحياة، إنما يُعطي التوازن في حياة الإنسان بين إيمانه بالغيب ومراعاته للنظام السائد في الحياة. فالإيمان بالغيب هو لتفسير ما يجري في عالم الشهود، وأن خلفه إرادة حكيمة، وقدرة عادلة.

أن البعض يعتقد أن الإيمان بالغيب يعني تجاوز السنن الطبيعية، فيطلبون من الله تحقيق آمالهم خارج نطاق السنن، وهذا خلاف نظام الكون والحياة. حيث أن البعض يكتفي بالدعاء إلى الله تعالى لبلوغ ما يُريد، وهذا خلاف ما تدعو إليه تعاليم الإسلام، يقول الرسول الأعظم ﷺ: ((الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)). كما أن المجتمعات التي تتطلع للتقدم والانتصار عليها أن تسلك السبل الطبيعية، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ). لقد نهر رسول الله بعض أصحابه الذين امتنعوا عن العمل وقعدوا في بيوتهم اعتماداً على قوله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يحتسب). كما قال لصاحب الدابة: «اعقلها وتوكل».

أن أعظم منحة منحها الله تعالى الإنسان هي العقل، وليس هناك ما هو أعظم منه. ويكفي في عظمته أنه أول ما خلق الله تعالى، يقول رسول الله ﷺ: ((أول ما خلق الله

العقل، فقال له أقبل، فأقبل. ثم قال له أدبر فأدبر. فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت أعظم منك، بك أثيب وبك أعاقب)).

لماذا منح الله تعالى الإنسان العقل، لكي يُدرك به نظام الكون، وأسرار الحياة، ولكي يستطيع أن يُعمّر الحياة، يقول تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا). مضيفاً: إن تسخير الكون والحياة لا يكون عبر القوة الجسمية، وإلا فهناك من الحيوانات ما هو أقوى من الإنسان، لذا فإن العقل هو الذي يحكم مسيرة الحياة، ولذا جاء التأكيد في القرآن الكريم على الرجوع للعقل وتحكيمه، يقول تعالى: (أَفَلَا يَعْقِلُون)، (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)، (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُون)، وقد جاء تكرار هذه الآيات في كثير من مواضع القرآن الكريم، وفيها دلالة واضحة على حاكمية العقل ومرجعيته.

و بمقدار ما يُستثمر العقل يكون هناك تقدم ونجاح في استثمار خيرات الكون، واكتشاف أسرار الحياة، وبمقدار ما يكون هناك تراجع في التعامل مع العقل، يبدأ الإنسان أو المجتمع في الانحدار، وقد يصل به المطاف ليكون مثل البهائم، إن لم يكن أضل. يقول تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

وعجبا من الإنسان الذي لا يستخدم بصره في حين أنه يُبصر، أو لا يستخدم سمعه في حين أنه يسمع، مؤكداً أن عليك أن تكون أكثر تعجّباً من الذي لا يستخدم عقله، ولا يُعمل فكره.

إن الأمم المتقدمة إنما وصلت لهذا التقدم التكنولوجي المذهل لما استخدموا عقولهم، بيد أن المجتمعات المتخلفة تخلّفت عندما تخلّت عن استخدام العقل.

و الإسلام يولي للعقل أهمية كبيرة، ويأمر باتخاذه مرجعاً في إدارة الحياة، يقول رسول الله ﷺ: ((أصل ديني العقل))، ويقول ﷺ: ((دين المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له))، ويقول الإمام علي ﵇: ((العقل رسول الحق))، ويقول ﵇: ((إنما يُستعان على الدهر بالعقل)). ومرةً امتدح بعض الأصحاب رجلاً أمام رسول الله ﷺ في عبادته، فسألهم الرسول ﷺ: كيف عقله؟ فتعجّب الأصحاب، وقالوا يا رسول الله نخبرك عن عبادته وتسألنا عن عقله، فقال ﷺ: «ان الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات على قدر عقولهم».

ان لممارسات الحمقاء التي تقوم بها بعض الفئات من الإرهابيين، مؤكداً أن الأمة قد ابتليت بهؤلاء على الرغم من أنهم يتظاهرون بالتدين، ويتحدثون بالإسلام، إلا أنهم بحماقتهم ينقلون للعالم صورةً مشوّهة عن الإسلام.

وللاسف هناك بعض الأوساط الدينية أصبحت تستخدم الدين لتجميد العقل، وهي أكبر إساءة للدين، تتلخص بما يلي :

أولاً– شوب الفهم الديني، فيقدم البعض للدين صورة خارج العقل. وتُعرض سير الأنبياء والأئمة وكأنها قطعة من المعاجز والكرامات. بيد أن حياة الأنبياء والأئمة كانت تسير وفق السنن الطبيعية، ودور المعجزة أو الكرامة كان في حدود اقتضاء مصلحة الرسالة، إلا أن هناك من يتعامل مع بعض الروايات الضعيفة ويُعطيها حجماً أكبر مما يستحق الأمر.

ثانياً– انتشار الخرافات، ومن أبرز مظاهر الخرافات والأساطير: السحر والشعوذة. ويُضيف الشيخ الصفار: مع الأسف، فإن تجاوب الناس في المجتمعات مع هذه الخرافات كبير جداً، وبالخصوص في صفوف النساء.

وهناك دراسة صدرت عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية في مصر تقول: الذين يبيعون الوهم في الوطن العربي من سحرة ومشعوذين وقرّاء الكف والفنجان يُقدّر عددهم (250) ألف إنسان، يستهلكون من الأموال خمسة مليارات دولار سنوياً. وتؤكد الدراسة أنه يوجد في العالم العربي (470) خرافة يُتعامل معها كمسلّمات، وليس لها أصل عقلي ولا منشأ صحيح.

لا يقتصر الأمر على البلاد العربية والإسلامية، ففي دراسة نشرتها مجلة المجلة تقول: في فرنسا موطن ديكارت أبو العقلانية الحديثة يوجد ما يزيد على (50) ألف منجّم ومشعوذ، يرتادهم سنوياً أكثر من (10) ملايين شخص، ويُحققون أرباحاً خيالية تُقدّرها مصالح الضرائب بحوالي أربعة ملايين دولار سنوياً لكل واحدٍ منهم.

لذا يتوجب على الناس أن يكونوا يقظين ولا ينخدعون بهذا التضليل الذي يستخف بعقولهم، ويشغلهم بأشياء لا حقيقة لها. مشيراً أن مظاهر الخرافات بدأت تنتشر في مجتمعنا وتؤثر على مجريات حياة الناس. وفي بعض الأحيان تتعرض الكثير من المنازل للخراب بسبب هذه الخرافات التي لا أصل لها.

وهناك نماذج تُكبّل دور العقل في إدارة الحياة الاجتماعية، ومن تلك النماذج ظاهرة رسائل الجوال، ومن أمثلتها: رسالة تقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. أرسلها إلى خمسة أشخاص، أمانة في عنقك إلى يوم القيامة. وأخرى تقول: لا إله إلا الله الهي بحق أم البنين أن تكشف كربي أمانة إلى تسعة أشخاص فلا ترد لك حاجة. مؤكداً أن هذه الظاهرة وأمثالها تشغل الناس وتُزيّف اهتماماتهم.

ومن النماذج: الإغراق في طلب الخيرة سواء بالقرآن أو بالسبحة، بيد انه ليست هناك رواية صحيحة حول ذلك، والرواية الوحيدة الصحيحة حول الخيرة تفيد بأن يصلي

الإنسان ركعتين ويطلب من الله الخير ثم يعمل بما وقر في نفسه، وبمراجعة تعليقات الشيخ المجلسي على روايات الكافي حول الخيرة يتبين ذلك. وأيضاً: قضية الكوامل التي تُعيق الكثير عن الزواج في ليالي معينة في الشهر، بينما بالبحث اتضح أنه لا أساس لها على صعيد الروايات، وغيرها من القضايا التي تُعيق حركة العقل في المجتمع.

لذا لا بد من تجاوز هذه الحالة وأن لا يُستهان بالعقل، فديننا يأمرنا بالرجوع للعقل. وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺحينما يتحدث عن أهداف الأنبياء يقول ﷺ: ((ليُثيروا للناس دفائن العقول)).

الباب الرابع : علم الأساطير

ظهرت الأسطورة قديما، منذ قدم الإنسان، واتسع أفق انتشارها مع تشكلات المجتمعات الإنسانية، ووجد الإنسان البدائي نفسه محاطا بكم من التساؤلات ، قبيل نزول الرسالات السماوية وحاول الناس دائمًا أن يفهموا سبب حدوث أمور معينة.

ومثال ذلك أن الناس أرادوا أن يعرفوا لماذا تُشرق الشمس وتغيب، وما سبب البرق؟ كما أرادوا أن يعرفوا كيف تم خلق الأرض؟ وكيف وُجدت الإنسانية؟ وأين وُجدت أولاً؟

واليوم يملك الناس إجابات يقينيَّة عن طريق الدين، والنظريات العلمية، لكثير من هذه الأسئلة عن العالم حولهم. وقد كانوا قديمًا تنقصهم المعرفة اللازمة لإعطاء إجابات علمية عن تلك الأمور. ولذلك فغالبًا ما كانوا يفسِّرون الأحداث المتعلقة بالطبيعة بشكل قصص عن الآلهة ذكورها وإناثها وعن الأبطال الخرافيين.

فمثلاً كان لدى الإغريق قصة يفسرون بها وجود الشر والمشكلات الأخرى. ذلك بأنهم كانوا يعتقدون بأنه فيما مضى كانت شرور العالم ومشكلاته محبوسة داخل صندوق.

وقد هرب الناس عندما قامت بفتحه المرأة الأولى، وهي المسماة باندورا . ومثل هذه القصص تسمى أساطير .

وتُدعى دراسة الأساطير عادة علم الأساطير، ولا تزال تُستعمل الأساطير في بعض أنحاء العالم لتفسير الحقائق العلمية الخاصة بعالمنا.

تتعلق معظم الأساطير القديمة بكائنات مقدسة هي الآلهة. وهذه الآلهة تتمتع عند المعتقدين بها بقوى خارقة للطبيعة تفوق إلى حد كبير قوة البشر.

ولكن على الرغم من القوى الخارقة المنسوبة إليها، فإن كثيرًا من الآلهة من الجنسين وكذلك كثيرًا من الأبطال الذين برزوا في الأساطير القديمة (الميثولوجيا) لهم خواصّ إنسانية.

فهم ينساقون وراء العواطف كالحُبّ والحسد ويمرون بالتجارب الإنسانية، كالولادة والموت، وهناك عدد من الكائنات الأسطورية تشبه البشر إلى حد بعيد، وفي كثير من الحالات فإن الصفات الإنسانية للآلهة تبرز المُثل السائدة في مجتمع ما، فالآلهة الطيبة ذكورًا وإناثًا تتمتع بصفات يُعجب بها المجتمع، بينما تتمتع الآلهة الشريرة بالصفات التي يمقتها ذلك المجتمع.

والدارس لعلم الأساطير يستطيع أن يعرف كيف أجابت المجتمعات المختلفة قديمًا عن الأسئلة الأساسية المتعلقة بالعالم ومكان الفرد فيه.

ونحن ندرس الأساطير لنعرف كيف أن شعبًا من الشعوب طَوَّر نظامًا اجتماعيًا معينًا بعاداته المختلفة وطرق حياته المتعددة، وعلى مدى آلاف السنين قدمت الأساطير المادة اللازمة لكثير من الفنون العالمية الشهيرة.

كما ألهمت الأساطير والشخصيات الأسطورية الأدباء والشعراء والفنانين إبداع روائع الأدب والموسيقى والهندسة المعمارية والرسم والنحت.

كانت الأساطير مجرد خرافات وتخيلات وأوهام ومحاولات اجتهادية لتفسير أحداث كونية ولم تكن تستند إلا إلى الظن، وهي بالنسبة للعالم المتحضر اليوم وبعد ظهور الأديان والتقدم العلمي لم تعد غير مجرد قصص تسلية، كما أنها تعين على التعرف على جانب من تفكير الأقدمين.

نستطيع أن نقسم الأساطير إلى مجموعتين هما:

أساطير الخلق وأساطير التعليل، وتحاول أساطير الخلق أن تفسر أصل الكون وخلق البشر وظهور الآلهة، أما الأساطير التعليلية فأنها تهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية. فالاسكندينافيون القدماء مثلاً كانوا يعتقدون بأن أحد آلهتهم ـ واسمه ثور ـ هو الذي كان يصنع الرعد والبرق عندما كان يقذف بمطرقة في وجوه الأعداء وقد اعتقد الإغريق القدماء بما يشبه هذا التعليل.

وهناك بعض الأساطير المتعلقة بالمرض والموت، فقد اعتقد كثير من المجتمعات القديمة وبعض المجتمعات البدائية التي لا تزال تعيش في عصرنا الحاضر أن بعض الكائنات الأسطورية هي التي تسبب الموت.

وقد تشير الأساطير المتعلقة بالأبطال الـوطنيين إلى بعـض القـيم الأخلاقيـة، وهـي أساطير يؤمن بها الناس رغم عدم استنادها إلى أي أساس، كذلك قد تجد مجموعة أسطورية أخرى ليس لها اسم معين إذ إنها ليست بشرًا أو حيوانـات وإنمـا هـي خلـيط مـن الاثـنين ومثال ذلك أبوالهول في مصر القديمة الذي له رأس إنسان وجسم أسد.

كذلك نجد بقاعًا وأماكن أسطورية ـ حسب بعض المعتقدات ـ وهي تزخر بالأرواح والعفاريت وغيرها مثل جبل فوجي أعلى جبل في اليابان.

وقد اعتقد الإغريق بوجود مواقع أسطورية تحـت الأرض مثـل ,هـاديس، إذ كـانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تعيش فيها، وعندما نقارن أساطير متشابهة لمجتمعات مختلفة نأخذ بعين الاعتبار العلاقات الإحيائية والخصائص الوراثية والتاريخية.

فالعلاقات الإحيائية تستند إلى الطرق التي يستجيب بها الناس للظواهر العامـة الـتي تحدث في محيطهم، والمثال على ذلك اعتقاد كل من قبيلة مأووري في نيوزيلنـدا والإغريـق القدماء بأسطورة تصف كيفية انفصال الأرض عن السماء.

أما عن علاقة الخصائص الوراثية في الأساطير، فقد نجد مجتمعًا كبيرًا يعتقد بأسطورة معينة عندما ينقسـم إلى مجتمعـات أصـغر، ذلـك لأن كـل جماعـة تحـتفظ بجزء مـن تلـك الأسطورة بالطريقة التي تحلو لها، فتكون العلاقة بين هذه الأساطير ذات خصائص وراثيـة. فالأساطير التي تروى عن كبير آلهة الإغريق القدماء زيوس، والمعبود الهندي القـديم أنـدرا تعتبر ذات خصائص وراثية إذ نجدهما متماثلين في كثير من الصفات، ويمكـن تفسـير هـذا التشابه بأن الإغريـق القـدماء والهنـود القـدماء قـد نشـأوا مـن أصـل حضـاري مشـترك. وتظهر العلاقات التاريخية عندما نجد أساطير متشابهة بين مجتمعـات ذات ثقافـات لا يمـت بعضها إلى بعض بصلة.

وكان الشاعر الإغريقي هسيود قد كتب قصيدته الطويلة وفيها أساطير هندية ـ يونانية كثيرة متشابهة وكذلك أساطير من التاريخ القديم للشرقيين الأدنى والأوسط.

الباب الخامس : الأساطير عند العرب

يقرر بعض دارسي الأدب أن ما وصل إلينا من تراث الجاهليين لا يدل صراحة على وجود تراث أسطوري كبير، وذلك بسبب إهمال الرواة المسلمين في عصر التدوين لما رأوه فيه مما لا يتفق وعقيدتهم الإسلامية، منطلقين في ذلك من فهمهم العام للأسطورة من حيث كونها كل شيء يناقض الواقع أو بتعبير آخر "ما لا وجود له في الواقع". وقد ورد لفظ أساطير الأولين في القرآن الكريم في تسعة مواضع في سياق تكذيب المشركين لرسالة محمد بعامة والقرآن بخاصة.

فكانوا يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين؛ أي أباطيل وخُرافات الأولين. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا – الفرقان: 5. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين – القلم: 15.

ويمكن القول إن كثيرًا من القصص التي تروى في العهد القديم وفي آثار سامية أخرى تنتمي إلى تلك الطائفة الكبيرة من الأساطير التي صيغت في قلب الجزيرة العربية من أزمنة سحيقة.

غير أن بعض هذه الأساطير قد تسرّب إلينا في قصص الأيام (أيام العرب) مشوبًا ببعض الخرافات والحكايات الشعبية كما تسرب إلى أنساب العرب.

وتعد حكايات ألف ليلة وليلة ممثلة لفن الحكاية الخرافية عند العرب. ويكفي أن نشير إلى حكاية علاء الدين والمصباح السحري وحكاية علي بابا والأربعين حرامي،

وحكاية الصياد والشبح وحكاية الشجرة المتكلمة وحكاية الطير المغني وحكاية الأخوات الحاقدات ثم حكاية الأمير أحمد.

وتزخر حكايات ألف ليلة وليلة بالجن والعفاريت والخوارق. ومن أبرز الخوارق خاتم سليمان يفركه البطل فيظهر له جنيّ يأتمر بأمره ويحقق له ما يريد كما في حكاية معروف الإسكافي.

وتتردَّد في الحكايات أدوات خارقة مثل الحصان الطائر في حكاية الصعلوك الثالث من قصة الحمَّال والبنات الثلاث، ومن مشهور الأساطير العربية الغول والعنقاء وقد أكثر الشعراء من ذكرهما وضربوهما مثلاً في القلة والندرة.

وسيطرت فكرة الهامة في الشعر العربي زمانًا وهي طائر أو دابة تخرج من رأس القتيل وتظل هائمة تطلب القصاص وتردد "اسقوني اسقوني" ولا تهدأ حتى يؤخذ بالثأر من القاتل فتروى من دمه وتسكن.

وقد وظف كثير من الشعراء والأدباء في العصر الحديث الأسطورة واتخذوها قناعًا ورمزًا لكثير من المعاني والأفكار. وقد أدرك الغربيون ما في تلك الحكايات الخرافية من سحر ورهافة مغزى وصور جديدة تأسر القارئ عن طريق روعتها التي تنبع من حياة البذخ، مما حدا بهم أن يترجموها إلى لغاتهم.

الباب السادس : الأساطير المصرية

إن أقدم المعلومات التي حصلنا عليها حول الأساطير المصرية أتت من الكتابات الهيروغليفية المدونة على جدران القبور، كما عثر على كتابات في غرف الدفن داخل الأهرام وتسمى كتابات الأهرامات.

تذكر لنا هذه النصوص أن المصريين القدماء خلال الفترة من 3200 إلى 2250ق.م. كانوا يعبدون تسعة آلهة، وتطور مصطلح التساعي ليشمل آلهة أخرى مثل ,نون. التي كانت ترمز إلى المحيط الأعظم الذي كان موجودًا حسب تلك الأساطير قبل خلق الأرض والسماء، ومن هذه الآلهة: حورس، وهاتور، وأنوبيس، وإيزيس، ونفتيس، وأوزريس، ورع، وتوت، وآمون، وبتاح، وتيفنوت، وست، وآمون- رع.

وكان لآلهة مصر القديمة والأساطير التي نسجت حولها تأثير كبير في أساطير كثير من الحضارات الأخرى المجاورة.

الباب السابع : الأساطير اليونانية (الإغريقية)

عثر على أقدم الأساطير اليونانية مدونة في اللوح الطيني الذي يعود إلى عهد الحضارة المسينية التي بلغت ذروتها خلال الفترة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وشملت هذه الحضارة عدة مدن يونانية من بينها مسينيا، وقد أشارت تلك الألواح إلى معبود مسينيا الرئيسي باسم بوسيدون، وسقطت الحضارة المسينية خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وفي القرن الثاني عشر ق.م. جاء الدوريون في شمال غربي اليونان واستقروا في أرض المسينيين، وخلال القرون الأربعة التالية المعروفة بالفترة المظلمة للإغريق القدماء اتحدت الأساطير المسينية والدورية لتشكل الأساطير التقليدية المعروفة للإغريق. وتنقسم آلهة اليونان إلى عدة مجموعات أقدمها التيتانيون بقيادة كرونوس وأقواها

الأوليمبيون الذين كانوا يتألفون من عدة درجات في أعلاها ستة آلهة أكبرهم زيوس وست إلاهات أكبرهن أثينا.

تبوأ أبطال الإغريق في أساطيرهم مرتبة الآلهة تقريبًا، وكان معظمهم أو كلهم عرضة للموت، إذ إنهم يولدون ويكبرون ويموتون ولكنهم يظلون منتسبين للآلهة، بل إن كثيرين منهم كانوا يدعون أنهم من جنس الآلهة، وهؤلاء ينقسمون إلى مجموعتين: المجموعة الأولى جاءت قبل حرب طروادة والمجموعة الثانية اشتركت في حرب طروادة، ويأتي أوديب ضمن المجموعة الأولى وقصة قتله لوالده خطأً وتزوُّجه من أمِّهِ معروفة يتداولها الفنانون والكتاب منذ أكثر من 25 قرنًا.

اندلعت حرب طروادة بين اليونان ومدينة طروادة، عندما فرت هيلين زوجة ملك أسبرطة إلى طروادة مع باريس ابن ملك طروادة، فأعد اليونانيون جيشًا لمحاربة طروادة واستعادة هيلين إلى اليونان، وتأتي معلوماتنا حول هذه الحرب مما ذكر في ملحمتي الإلياذة والأوديسة.

ومن الأبطال اليونانيين الذين اشتركوا في حرب طروادة أجَامِمْنُون القائد العام، ومنيلأوس زوج هيلين، وأوديسيوس القائد الذكي الذي دبر خطة أدت إلى سقوط طروادة، وأخيل أشهر المحاربين اليونانيين. ومن أشهر أبطال طروادة أيضًا هيكتور وباريس.

الباب الثامن : الأساطير الرومانية

يعتقد الكثيرون أن الأساطير الرومانية صورة طبق الأصل من الأساطير اليونانية، وقد احتك الرومان باليونانيين خلال القرن الثامن قبل الميلاد. ولكن قبل هذه الفترة كان للرومان أساطيرهم الخاصة بهم.

والواقع أن كثيرًا من أوجه التشابه الأساسية بين الأساطير الرومانية واليونانية ترجع إلى حقيقة التراث الهندي الأوروبي المشترك لروما واليونان.

حاول الرومان في أساطيرهم توضيح أصولهم وتاريخ شعبهم وهكذا توصلوا إلى اعتبار آلهتهم رجالاً تاريخيين، وأفضل مثال على ذلك قصة رومولوس وريموس، وكانا شقيقين توأمين ولدا من أم ماتت وأب هو مارس إله الحرب حسب أساطيرهم.

وبعد ولادتهما مباشرة وضعوهما في سلة وألقوهما في نهر التيبر فالتقطتهما ذئبة اعتنت بهما، ثم اكتشفهما أحد الرعاة وأخذهما ورباهما إلى أن أصبحا شابين يافعين.

وقرر الفتيان إنشاء مدينة في نفس المكان الذي التقطتهما الذئبة عنده على نهر التيبر، وبعد ذلك حدثت مشاجرة قتل خلالها ريموس فقام رومولوس بإنشاء مدينة روما، ويفترض أن ذلك حدث في سنة 753 ق.م.

تعاقب على حكم روما سبعة ملوك كما تقول الأساطير الرومانية أولهم رومولوس، غير أن الدارسين يشكون في وجود هؤلاء الملوك أصلاً وفي الحوادث المنسوبة إليهم، ويقولون باحتمال أن يكون هؤلاء الملوك رموزًا للآلهة تحولت بعد ذلك إلى شخوص تاريخية.

ويذكر الشاعر الروماني كينتاس أينيوس كيف أن البطل أينيس جاء بعد تدمير طروادة إلى إيطاليا وقام بوضع الأسس بين عامي 30 و 19ق.م. وقد وردت نفس الفكرة من قبل الشاعر الروماني الشهير فيرجيل في ملحمته المعروفة باسم الإنيادة. وهكذا نجد أن فيرجيل يربط بين إنشاء مدينة روما وحرب طروادة وهي حدث معروف في الأساطير الإغريقية.

الباب التاسع : الأساطير السلتية

يرجع أصل السلتيين إلى الأقوام الهندية الأوروبية القديمة، وقد عاش معظم السلتيين فيما يسمى الآن بألمانيا الجنوبية الغربية إلى القرن السادس قبل الميلاد. واستقروا بعد ذلك في أنحاء أوروبا الغربية وفي الجزر البريطانية.

وتأتي معظم معلوماتنا حول الأساطير السلتية من الرموز الأسطورية والحـوادث في الجزر البريطانية ولاسيما في أيرلندا وقد احتفظ الرهبان الأيرلنديون في العصـور الوسـطى بكثير مـن الأسـاطير السـلتية القديمـة في عـدة مجموعـات مـن المخطوطـات، وأهـم هـذه المجموعات كتاب الفتوحات الذي يتتبع التاريخ الأسطوري لأيرلندا.

وتوجد مجموعة أخرى مهمة من المخطوطات من مقاطعة ويلز تسمى مـابينوجيون. والقصص الأربع الأولى الواردة في هذه المجموعة ـ مع أربع قصص خيالية شعبية مستقلة ـ فيها وصف لتاريخ الأساطير البريطانية.

والأساطير الويلزية تتعلق بالكائنات البشرية التي قد تمتلك قوى سحرية أو تفتقدها ويتعلق معظم الأساطير الأيرلندية باللاهوت.

الباب العاشر : الأساطير التِّيُوتُونِيَّة

وهي تتألف من الأساطير الاسكندينافية والألمانية وتسمى أحيانًا بالأساطير النَّورَسِية نسبة إلى النورسين الذين عاشوا في اسكندينافيا في القرون الوسطى. والمصادر الرئيسية للأساطير الاسكندينافية أثران باسم الإيدا يشتملان على قصائد مكتوبة خلال القرن 13ق.م.

وتأتي المعلومات الأخرى من القصص الخرافية عن أشخاص وأبطال من الأدب الألماني والآثار التاريخية الخاصة بالقرون الوسطى، ويذكر كتاب الإيدا أنه قبل وجود الحياة كانت الأرض تتكون من مكانين أحدهما نار والآخر جليد ويفصل بينهما فراغ هائل تلتقي فيه النار بالجليد.

الباب الحادي عشر : الأساطير في جزر المحيط الهادئ

تنتشر الآلاف من هذه الجزر في المحيط الهادئ. وقد ازدهرت تقاليد خصبة من الأساطير والأشخاص الأسطوريين بين مختلف الثقافات السائدة في هذه الجزر حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما تحول الكثيرون منهم إلى النصرانية، وقد احتفظ غير النصارى بتقاليدهم الأسطورية وفعل ذلك أيضًا بعض النصارى الذين احتفظوا بجانب من تلك التقاليد.

الباب الثاني عشر : أساطير الهنود الأمريكيين

عندما اكتشف كريستوفر كولمبوس أمريكا كان الهنود الأمريكيون يعيشون في كل من الأمريكتين الشمالية والجنوبية وكان لهؤلاء أسلوبهم الخاص في المعيشة ولهم أساطيرهم المتميزة، غير أن تلك الأساطير المختلفة كانت لها مظاهر عديدة مشتركة.

ومعظم الهنود الأمريكيين كانوا يعتقدون بوجود القوى الخارقة للطبيعة ويقومون بإجراء طقوس دينية كثيرة إرضاء لتلك القوى وطلبًا لمساعدتهم للحصول على الرزق والانتصار على أعدائهم في الحروب، وتصف أساطيرهم نهاية العالم بأنها ستكون نتيجة كوارث تأتي بها النيران أو الفيضانات.

الباب الثالث عشر : كيف بدأت الأساطير

بحث الدارسون طيلة القرون العشرين الماضية على الأقل في كيفية نشوء الأساطير، ويعتقد بعضهم أن البداية كانت على شكل حوادث تاريخية تم تحريفها بمرور الزمان ويرى غيرهم أن الأساطير نشأت نتيجة محاولة الناس تفسير أسباب حدوث الظواهر الطبيعية التي عجزوا عن فهمها، وهناك نظريات أخرى حول هذه الظاهرة لكن لا يجيب أي منها عن الأسئلة التي تثار حولها رغم أنها تسهم إلى حد ما في فهم الموضوع.

الباب الرابع عشر : نظرية هوميروس.

كان هوميروس عالمًا إغريقيًا قديمًا في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد. وكان أول عالم يقول إن الأساطير تستند إلى حقائق تاريخية، وكان يعتقد أن على الدارسين أن يطرحوا جانبًا العناصر الخارقة للطبيعة في الأساطير.

فكان يقول مثلاً إن من المحتمل أن زيوس كان أحد الملوك العظام في كريت القديمة، وكان ذلك سببًا في خلق القصص الأسطورية عنه.

الباب الخامس عشر : نظرية مولر.

ذكر فريدتش مولر، العالم الألماني المَوْلِد، الإنجليزي اللغة الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، أن الآلهة القدماء والأبطال الأسطوريين كانوا في الحقيقة تجسيدًا للطبيعة ولاسيما الشمس.

ويفسر ذلك بقوله إن مولد البطل يرمز إلى الضحى فترة ارتفاع الشمس فوق هامة السماء، بينما سقوط البطل وموته يرمزان إلى مغيب الشمس.

وقد أكد عالم الأجناس البشرية مالينوفسكي على العوامل النفسية التي تقود الناس إلى عمل الأساطير.

الباب السادس عشر : ماذا تعلمنا الأساطير

توصل كثير من علماء الاجتماع إلى نظريات حول كيفية معرفة أحوال الناس من الأساطير التي يذكرونها.

وتؤكد بعض هذه النظريات على أهمية دور الأساطير في فهم المجتمع ككل، وتركز نظريات أخرى، على دور الأسطورة في فهم الأسلوب الذي يتصرف فيه شخص ما بطريقة معينة.

ويعتقد عالم الاجتماعي الفرنسي إميل دوركايم الذي عاش في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديَّيْن أن كل مجتمع يُوجد لنفسه عادات وأعرافًا وقيمًا اجتماعية معينة تنعكس على الدين الذي يؤمن به ذلك المجتمع، لذلك، وكما يقول دوركايم، فإن معبود مجتمع ما وأبطاله وأساطيره إنما هم تمثيل تراكمي جماعي لأعراف ذلك المجتمع وقيمه أو للأجزاء المهمة التي تشتمل عليها، ويضيف دوركايم إنه بالإطلاع على أساطير أحد المجتمعات يستطيع عالم الاجتماع أن يكتشف الأعراف والقيم والعادات الاجتماعية التي يتمسك بها ذلك المجتمع.

الباب السابع عشر :- الأسطورة مصدراً تاريخيا

يعرف الدكتور محمود إسماعيل الميثولوجيا بالأساطير والكرامات والخرافات وكل فكر مناقض للتفكير العقلاني، وبرغم دلالتها تاريخيا على بدائية الفكر أنها ظلت متواجدة حتى في عصور ازدهار العلم القائم على العقل والتجريب .

ويقول (وإذا ارتبطت بحياة العوام أساسا، إلا أنها وظفت – حتى العصر الحديث – في السياسة لدرجة أنها شكلت – على سبيل المثال – لب المشروع الصهيوني الذي تمخض عن تأسيس دولة إسرائيل ، وبرغم استنادها إلى الخيال، فهي تنطوي على حقائق تاريخية تأوي في طياتها ، الأمر الذي أهلها لتكون أحد مصادر علم التاريخ، ومع إنها وليدة تفكير العوام، فقد عبرت عنه في لغات رامزة لها خصوصيتها، وقد اعتبرها البعض نوعا من الفلسفة البدائية تاسيسا على شمولية رؤاها .

لذلك أصبحت موضوعاً للبحث والدرس والاستقصاء والتحليل والاستنباط من قبل المؤرخين والفلاسفة وعلماء النفس والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا باعتبارها معرفة غاية في الثراء والتعقيد ، وبالغة الأهمية في دلالاتها كإبداع جمعي شعبوى عرفته المجتمعات الإنسانية طوال تاريخها ولكونها معرفة ثرية – رغم بدائيتها – فقد استلهمها المبدعون في الفن والأدب ، باعتبارها نمطا في التفكير البشرى وأنموذجا في السلوك يجمع بين المعقول واللامعقول بين الواقع والخيال ، وبين الوقائع السلوكية والمثل العليا ، لذلك لم يخطئ أحد الدارسين حين اعتبر الميثولوجيا " تمثلا للذات الخالدة ودمجها في الذات الفردية " . إنها – من ثم – " مزج بين السحر والواقع يحمل منطقا خاصا ، لا مجرد عفوية خاضعة للمصادفة ". فهي لذلك نتيجة لفعل شعوري عبر عنه الخيال في لغة غاية في الخصوصية. وهذا الفعل ليس عاديا ، بل هو نتاج موقف خطير واستثنائي اهتزت له المشاعر الجمعية فعبرت به عن

طموحاتها بعد العجز عن تحقيقها بالتفكير العقلاني فهي – بعبارة أخرى – "نوع من السحر الاجتماعي يأتي استجابة لتحدى قوانين الطبيعة" .

وتنطوي الميثولوجيا على بعد ديني، خصوصاً ما تعلق "بالكرامة" التي هي وثيقة الارتباط بالأسطورة، من حيث نشأتها معا في مناخ مجتمعي واحد ، تبادلاً من خلاله آلية التأثر والتأثير . هذا فضلا عن تمحور كل منهما حول "بطل" ذي قدرات خارقة تتجاوز منطق الواقع وقوانين الزمان والمكان ، ليحقق الحلم الجمعي وفق إرادته المطلقة ، كما اشتركتا معا في الطابع الخيالي واللغة الرامزة المقنعة .

كما عبرت الميثولوجيا عن التاريخ الإنساني في مراحله البدائية والمتطورة في آن، إلى حد اعتبارها هي التاريخ بعينه في خيالات الشعوب .

ويضيف الدكتور اسماعيل لذلك – وغيره – انصب اهتمام الدراسيين بالميثولوجيا التي لم تعد – كما يتصور البعض – محض "أفكار مهوشة أو شيء ممسوخ، بل غدت "كنزا معرفيا" جرى استكشاف مغاليقه باعتماد مناهج بحثية على المستوي النظري والتطبيقي، بهدف الوصول إلى معارف متنوعة وثرية قد لا نجد لبعضها نظيرا في المدونات التاريخية، خصوصا إذا ما قاربها الدارسون باعتبارها نسقا فكريا شديد الخصوصية له منطقه الخاص أيضا.

ولعل ذلك يفسر مقاربة علماء النفس المهمومين باستبطان الميثولوجيا سواء في مضامينها المعرفية، أو في تحليل رموزها واستكناه دلالاتها ، وفي هذا الصدد أبدع "فرويد" ومدرسته دراسات غاية في الجدة والأهمية كما تنوعت نظريات اللغويين والأنثروبولوجيين، ووظف المنهج التجريبي في هذا الصدد، بما أسفر عن معارف مبتكرة جرى اكتشافها، ولم يتقاعس نقاد الأدب والفن عن تفسير ما يتضمنه الإبداع في هذا المجال

من رموز موحية تنطق بدلالات كانت غائبة، ولا مناحة في اعتماد الميثولوجيا في الكثير من المنظومات الفلسفية المثالية حتى خلال عصر الأنوار.

وللاسف ، أن المؤرخين تخلفوا عن نظرائهم في المجالات المعرفية الأخرى ، في الإفادة من الميثولوجيا في دراسة التاريخ، فقد اعتبرها البعض "بضاعة فجة" أسهمت في تشويه التاريخ بعد اختلاط الوقائع بالأساطير، والأنكى اعتماد البعض الآخر تلك الروايات الأسطورية كحقائق تاريخية في حد ذاتها ، خصوصا دارسي التاريخ الإسلامي .

لزاخر بالأساطير والكرامات والخرافات ونحوها. من هنا تتصدي الدراسة لمعالجة موضوعها ، مستهدفة عدة غايات نوجزها في الآتي :

أولاً : إثبات اعتبار الميثولوجيا مصدرا تاريخيا بكراً يمكن التعويل عليه بعض الفحص والنقد والتثمين ، استرشادا بتجارب الأنثروبولوجيين وعلماء النفس والاجتماع في هذا الصدد .

ثانيا : محاولة تطبيق المنهج التاريخي المقارن في دراسة الميثولوجيا من خلال الوقوف على تاريخيتها ، وذلك بالكشف عن الواقع الذي أفرزها، بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ثالثا : الكشف عن الكثير مما "سكت عنه" المؤرخون الرسميون – لأسباب متعددة – من خلال ما حوته ذاكرة الشعوب من مأثورات عرضت للكثير من الوقائع "المغيبة" ولو بطريقة غيبية .

رابعاً : إثبات مشروعية مقاربتنا تلك عن طريق اختيار بعض النماذج الخاصة باختطاط بعض الحواضر الإسلامية في بلاد المغرب خلال القرن الثاني الهجري .

ونوه برسوخ الميثولوجيا في بلاد المغرب في العصور الإسلامية عموما والمتأخرة على وجه الخصوص ، حيث انتشر التصوف لتصبح الطريقة "دينا شعبيا" إن جاز التعبير . كما شاعت الكرامات والشعوذة والسحر إلى حد اعتبارها علما من العلوم عرف باسم "علوم السحر والطلسمات" عند ابن خلدون الذي سلم بها كحقائق عينية . لذلك تصدي لتقنين تلك الظاهرة وتعقيدها معرفا بنشأتها وأسباب انتشارها ، بل وبفعاليتها في التاريخ ، "فهي تؤثر في الأكوان باستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية"، حسب قوله، بل اعتبار الاعتقاد بهذا التأثير "لامرية فيه بين العقلاء"وحكم ابن خلدون المدهش هذا لاغرابة فيه خلال عصر أطلق عليه "عصر الانحطاط" لغياب العقل أمام جبروت النقل، بل وجد من عقلاني الغرب من اعتقد الاعتقاد ذاته ، فقد آمن ميكيافيللى "بأن "المنجمين وقراء الطالع استطاعوا التنبؤ بالكوارث الكبرى قبل حدوثها" واعتبر فلاسفة عصر الأنوار الأسطورة" تمثيل للفلسفة في أكمل صورها .

أما عن الإيمان بالكرامات عند مغاربة العصور الوسطي ، فكان أشد رسوخا، تأسيسا على ثقل البعد الديني في تضاعيفها . لذلك اعتقدوا بقدرتها في جلب الخير والقضاء على الشر . من هنا توجه الاستشراف الفرنسي للاهتمام بالمأثور الشعبي المغربي عموما والميثولوجيا خصوصا لفهم أعمق تقسيمات الشخصانية المغربية .

وما يعنينا من تلك التقدمة هو الانطلاق منها لرصد وتحليل الأساطير والكرامات والخرافات التى نسجها المخيال الشعبى حول اختطاط بعض الحواضر المغربية ، بهدف إبراز أهميتها المعرفية عموما وقيمتها في حقل البحث التاريخي على وجه خاص .

وما نؤكده أن تلك الحقيقة تنسحب على تأسيس الكثير من الشرق الإسلامي أيضا، بلا لا يخالجنا شك بتاثير المخيال المغربى بنظيره المشرقي في هذا الصدد، كما ستثبت

الدراسة، وإذا استندت ظاهرة تأسيس المدن الكبرى في الإسلام إلى مقومات عروبية موروثة عن عصور ما قبل الإسلام، وأخرى إسلامية مستمدة من التشريع الإسلامي، وثالثة موروثة عن التقاليد الهللينية ، فقد انطوت ميثولوجيا اختطاط المدن على تلك المعطيات بصورة جلية .

وإذا جرى اختطاط تلك المدن وفق توافر شروط محددة . كصلاحية المكان للعمران وتوافر المياه والحماية الطبيعية ، فقد عكست الميثولوجيا تلك الشروط عينها . ولا غرو فقد اسهم المنجمون وقراء الطالع في اختيار أماكن الاختطاط حسب ما تنبأ به النجوم عن المستقبل السعيد لسكان المكان .

لذلك أخطأ ابن خلدون حين وصم العرب كعادته بالجهل والغفلة عن مراعاة تلك الشروط اللهم إلا تحقيق عامل الأمان . صحيح ان العرب اختطوا الأمصار الأولى لأغراض عسكرية ، لكن مدنا أخرى كثيرة جرى تاسيسها لأسباب سياسية وأغراض اقتصادية وفي بلاد المغرب ، كما هو الحال في المشرق، جرى العرف على تأسيس حواضر جديدة بتأسيس دول مستحدثة ، وسنركز في دراستنا على مدن ثلاث جرى اختطاطها لهذا الغرض، وهي سجلماسة التى أسست عام 140 هـ لتكون عاصمة دولة بني مدرار، وتاهرت التي جرى اختطاطها عام 161 هـ ، لتكون حاضرة دولة بني رستم ، وفاس عاصمة الدولة الإدرسية التى اختلف الدارسون حول تاريخ بنائها .

لقد أسس المدن الثلاثة حكام وفدوا من الشرق أو من بلاد السودان لتكون حواضر الدول معارضة للخلافة العباسية إحداها ، دولة الأدارسة – شيعية المذهب، والثانية – دولة بني مدرار – الخارجية الصفرية – والثالثة – دولة بني رستم – الخارجية الإباضية .

لذلك سنلاحظ تأثر الأساطير والكرامات التى نسجت حولها بالبعد الديني المذهبى. برغم ذلك نهت تلك الأساطير والكرامات من نظيرتها الخاصة باختطاط بغـداد ، بمايشـى بوحدة الحضارة الإسلامية، برغم الحزازات المذهبية والصراع السياسـي كمـا تـأثر بعضـها بكرامات الفاتح الورع – عقبة بن نافع – حين أسس " القـيروان " بمـا يـدل علـى رسـوخ الطابع الإسلامي العام في اختطاط المدن وازدهـار العمـران ، باعتبـار الإسـلام ديـن بنـاء وعمران ،برغم الاختلافات العرقية والمذهبية والإقليمية .

ولم يحل ذاك المشترك الأعظم ، دون بـروز بصـمات الطـابع المغربـى الأمـازيغى في اختطاط المدن الثلاث تحقيقا لما اتسمت به الحضارة الإسـلامية مـن خصيصـة " التنـوع في إطار الوحدة والسؤال الهام ؛ هو إلى أي حد عبرت الميثولوجيا التى نسجت حول اختطاط المدن المغربية الثلاثة عن تلك الحقائق ، وإلى أي مدي يمكن اعتبارها مصـدرا تاريخيـا بـالغ الأهمية .

بخصوص تأسيس مدينة " سجلماسة " التى أسست عام 140 هـ لتكون حاضرة دولة بني مدرار الخارجية الصفرية ، اختلف المؤرخون حول مؤسسها . وعكست الأساطير هذا الاختلاف ، فثمة رواية أسطورية إلى تأكيد قدم المدينة ، إذ قيل أن مؤسسها هو " الإسكندر ذو القرنين " ويقصد به الإسكندر الأكبر المقدوني لكن تشى الرواية بعدة حقائق هـي-:

أولا : قدم تأسيس المدينة، بمعني أن المدراريين أعـادوا عمرانهـا بعـد أن درسـت وأطلقـوا عليها اسمها القديم .

ثانيا : التأثر بالبعد الديني الإسلامي حيث أسبغوا صفة " ذو القـرنين " الـذي ورد ذكـره في القرآن الكريم على شخص الإسكندر الأكبر .

ثالثا : تأثير المعطيات الأسطورية الموروثة عن العصور القديمة في نظيرتها إبان العصر الإسلامي ، بمايشى بتاثير مماثل لأنموذج المدينة اليونانية – الرومانية في اختطاط المدينة الإسلامية .

رابعاً : أثبتت دراسات " ماك كوك " أن المقصود بذى القرنين هوأحد قواد الرومان " دوميتيوس الإسكندر " الثائر على الإمبراطور " ماكسينتيوس " إبان الوجود الروماني في المغرب والذي هرب بعد هزيمته إلى واحة " تافيللت " حيث توجد سلجماسة – في المغرب الأقصى واعتصم بها حتى لا يقع في أسر خصومه .

خامسا : ثمة اجتهاد آخر يرى صاحبه أن الأسطورةتدل على تسرب التأثير الحضاري اليوناني إلى بلاد المغرب بعد فتح مصر على يد الإسكندر الأكبر المقدوني بعد زيارته معبد " آمون – رع " في واحة " سيوه " ، ذلك الإله المصرى الذي رمز له " بالكبش " ، ومعلوم أن عبادة الكبش وجدت في بلاد المغرب آنذاك ، وهنا ربطت الأسطورة بين شخص الإسكندر المقدوني وبين عبادة الكبش ، فاستعارت من الكبش قرنيه واسبغته على صورة الإسكندر ، تأثراً بذى القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم .

ولا تخلو الأسطورة من خلال الحقيقة التاريخية التي تثبت تأثير النشاط الفلاحي بصره على نظيره في واحة تافيللت بالمغرب الأقصى، حيث عرف سكانها باسم " الحراثين " الذين ظلوا يمارسون حرفة الفلاحة في العصر الإسلامي حيث الخبرات المصرية في هذا الصدد . ذكر ابن حوقل آنهم " كانوا يزرعون حسب زروع مصر .

وثمة رواية أسطورية أخرى تعزو تأسيس سجلماسة القديمة إلى ضابط روماني وهو الذي أطلق عليها اسمها حيث أسماها.Sigillummesse وتدل وقائع التاريخ على

الوجود الروماني في تلك المنطقة / حيث تشير إلى حملة قادها "بولينيوس" عام 41 م وصلت إلى المغرب الأقصى نجحت في تأسيس ولاية "موريطانيا" الرومانية كما اثبت البحث الأثرى وجود أطلال مدينة رومانية في المكان الذي أسس فيه المدراريون مدينة سجلماسة عام 140 هـ ومهما كان الأمر ، تثبت الأسطورتين مدي التاثير الهللينسيتي في عمران سجلماسة ، وتلك حقيقة تنسحب على تأسيس الكثير من الحواضر الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء، كما تثبتا بالمثل حقيقة اعتصام الثائرين بواحة تافيللت في العصر الروماني ، كذا في العصر الإسلامي ، وحسبنا آن الخوارج بعد إخفاق ثوراتهم في الشرق نزحوا إلى المغرب حيث نشروا دعوتهم وقاموا بعدة ثورات ناجحة ضد الخلافة الأموية ومن بعدها القبلية ، ثم توجوا هذا النجاح بتأسيس كيانات سياسية مستقلة في أقاليم المغرب القصية ، وهم في مأمن من خطر الخلافة الشرقية .

وثمة رواية أخرى تنسب مؤسس سجلماسة إلى رض الأندلس الذين ثاروا في عهد الحكم بن هشام ، وطردهم من البلاد ، فاستقرت جموع منهم في المغرب الأقصى .

وإذا كانت تلك الرواية تنطوي على خطأ تاريخي ، نظراً لتأسيس سجلماسة قبل اندلاع ثورة الربض في الأندلس التى قامت عام 198 هـ ، إلا انها لا تخلو من دلالة على دور هؤلاء الحرفيين الأندلسيين – الذين استقروا في سجلماسة بعد تأسيسها ، في ازدياد عمران المدينة ، وهو أمر أكدته الدراسات التاريخية الحديثة ومن تلك الروايات الأسطورية عن اختطاط سجلماسة ، رواية تعزو فضل تأسيسها إلى زنجي من بلاد السودان يسمي " عيسى بن يزيد الأسود . "

وقد أخطأ الدارسون حين نسبوه إلى أهل ربض الأندلس ، كذا حين اعتبروه نصرانيا ، أو يهوديا ، والصواب – فيما نرى – أنه كان من " موإلى العرب " حسب ابن

خلدون – الذين جلبهم تجار الرقيق من بلاد السودان الغربى ، واعتنقوا الإسلام على المذهب الخارجي الصفرى ، إذ من غير المعقول أن يعينه صفوية المغرب الأقصى إماما لدولتهم الجديدة ما لم يكن على مذهبهم ، بل ما كان له آن يتولاها دون عصبية قوية من بني جلدته ، بدليل أن تنحيته عن الإمامة حدث بعد قدوم عصبية جديدة من مكناسة تمكنت من عزله وتولية زعيمها أبو القاسم سمكوبن واسول خلاصة القول ، أنه برغم اختلاف الروايات الأسطورية عن اختطاط سجلما سة؛ إلا أنها جميعا تنطوي على قدر من الحقائق التاريخية ؛ كالتاثر بمعطيات هللينية في عمران المدن، واشتراك عناصر شتى جمعها المذهب الخارجى الصفوى في بناء المدينة، وبروز البعد الديني – اليهودي والنصراني والإسلامي – كمشترك أعظم في نسج تلك الأساطير، يزكى قيمتها كمصدر تاريخيى كان مهملا من قبل الدارسين .

أما عن اختاط مدينة "تاهرت" فقد حدث عام 161 هـ لتكون حاضرة لدولة بنى رستم الإباضية التى أسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسى ، وقد نسجت الأساطير حول المدينة، شأنها شأن مدن مغربية أخرى ، منها ما يتعلق بشخص مؤسسها بهدف إبراز سمو مكانته، فجعلته ينتسب إلى ملوك الفرس القدامي برغم كونه من موالي العرب .

ويستشف من الأسطورة تبرير زعامته لدولة كان معظم سكانها من البربر ، فضلا عن اعتناقه مذهب الخوارج الإباضية ، بينما كان جل الفرس – بعد إسلامهم – من الشيعة.

تكشف الأسطورة ايضا عن حقيقته وفود الفرس إلى بلاد المغرب بأعداد كبيرة ن حيث أسهموا بدور كبير في عمران البلاد وتاسيس المدن وأعمال الرى والسقاية فضلا عن خبرات عالية في أمور الحكم والإدارة .

وفي هذا الصدد نسجت أسطورة أخرى ، وهي عبارة عن نبوءة بأن أحد الفرس سيؤسس دولة في بلاد المغرب ينتهج مؤسسها سياسة إسلامية عادلة ، مدللة على ذلك بأحاديث نبوية منتحلة وعندنا أن الأسطورة نسجها الخوارج الإباضية الذين برعوا في علم النجامة وغصت كتاباتهم بالأساطير والكرامات كما عرضت أسطورة أخرى لأهمية الموضع الذي أسست فيه تاهرت ، وكيف كان "جيد الهواء كثير الماء" ، بحيث نمت فيه الأحراش والغابات التى سكنتها الحيوانات الضارية ، وكيف ناداها ابن رستم بمغادرة المكان خلال أيام ثلاثة ، فاستجابت له ، وخرجت تحمل صغارا في أفواهها وعندنا أن الأسطورة مقتبسة من أسطورة تأسيس القيروان على يد عقبة بن نافع ، وإذ نعلم أن الفرس قاموا بالدور الأكبر في بنائها ، وأنهم اضطلعوا أيضا ببناء تاهرت ، لذلك لم يجدوا غضاضة في اقتباس الأسطورة .

وإذ فسر بعض الباحثين مغادرة الحيوانات للآجام والأحراش باضرام النيران بها ، فإن البعض الأخر يذهب إلى تطبيق الخبرات الفارسية ، وذلك بوضع مواد كيميائية منفرة جعلت الحيوانات تسرع بمغادرة المكان.

من هنا يمكن أيضا تفسير الظاهرة بما عرف عن الإباضية من الاعتقاد بالكرامات التي حاولوا إضفاءها على ابن رستم وتنطلق احدي الكرامات الأخرى من الدين ، حيث تصور اختطاط ابن رستم المسجد الجامع ، حيث سمع زئير اسد مفترس تمكن من استحضاره وقتله ، متنبأ – لذلك – بأن " هذا البلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا . "

والحقيقة أن سفك الدماء جرى نتيجة إغارة بربر صد صفهاجة على البنائين، فكانوا يهدمون بالليل ما يبني بالنهار ، الأمر الذي أفضى إلى قتالهم وإجلائهم عن المكان.

كما تقدم النبوءة تبريراً لما حدث في تاهرت بعد موت عبد الرحمن بن رستم من صراعات دامية ، قبلية ، ومذهبية وعنصرية

خلاصة القول ، أن ميثولوجيا تأسيس تاهرت تنطوي على الكثير من حقائق التاريخ . أما عن تأسيس مدينة فاس ، فثمة مشكلة بصدد مؤسسها ، ذكرت معظم المصادر – وكلها متأخرة – أنها أسست في عهد إدريس الثاني ، بينما استطاع "بروفنال" أن يثبت تأسيسها في عهد إدريس الأول ، وقد أخذنا بنظريته التى دلل عليها بأدلة مادية – كالعملة – وقرائن منطقية ، ودعمناها ببراهين جديدة في دراسات سابقة . كما أضاف أحد تلامذتنا النجباء قرائن أخرى وما يعنينا أن أساطير عديدة نسجت حول تأسيس حاضره الأدارسة ، تدور حول تمجيد فاس ومؤسسها ، معظمها كرامات مستوحاة من حقائق التاريخ ، وبعضها مقتبس من الأساطير الخاصة باختطاط بغداد ،هذا فضلا عن نبوءات ذات أصول يهودية ونصرانية وإسلامية .

منها أن أحد رهبان النصارى أخبر إدريس الثاني بأن رجلا من آل البيت يسمي إدريس سيؤسس مدينة مباركة لتكون حاضرة ملكة في موضع اختطاط فاس ، منها أيضا ، أن مكان تأسيس فاس كان مخلوط لقوم من قبيلة زواغة يعرفون باسم "بنوالخير" ، الأمر الذي جعل إدريس يتفاءل بتأسيس حاضرته في عين المكان ونلاحظ أن النبوءة الأولى لم تحدد المقصود بالمؤسس إدريس ، هل هو الأول أم الثاني ، بما يشير إلى الإشكالية التى اختلف بصددها ، بينما تشى الثانية بتفاؤل المؤسس الذي يظن بأنه إدريس الأول الذي لم يجد الأمان في الشرق من جراء اضطهاد العباسيين بني عموميتهم العلويين .

أما عن سبب تسمية الحاضرة الجديدة باسم "فاس" فقد دارت حوله أساطير مختلفة ومتعددة ، وكلها توحي بحقائق تاريخية بعضها جديد، منها أن الراهب النصراني أخبر

إدريس بأن الموضع المختار لتأسيس الحاضرة كان به مدينة قديمة درست واندثرت تسمي " ساف " فقلب الإدريس الاسم إلى " فاس " وجعله اسم مدينته ، ومنها أن إدريس قد شارك في تأسيس المدينة بنفسه فكان يحفر أساسها بفأس من ذهب وفضة ، ومنها أن إدريس بعد بناء المدينة أشار إلى أنه سيطلق عليها اسم أول قادم يمر عليها وكان اسمه " فارس " فنطق الاسم " فاس " لأنه كان ألثغا ، فسمي الحاضرة " فاس . "

وتنطوي الأساطير السابقة على الكثير من الحقائق التاريخة الثأوية بين طواياها ، نوجزها فيما يلى :

أولاً : أن إشارة الراهب النصراني إلى مدينة " ساف " القديمة تعني أن المكان كان معموراً من قبل : حيث فحص سايس المعروف بوفرة مياهه ، بما حفز إدريس إلى اختياره موضعا لحاضرته بعد جهود استكشافية مضنية .

ثانيا : أن كون الراهب نصرانيا استوطن الإقليم يتسق مع دراسات الكثيرين من المستشرقين بتواجد نصراني مكثف برغم فتحه على يد موسى بن نصير واعتناق سكان من البربر الإسلام ويرى أحدهم أن بعض العقائد المسيحية اختلطت بالإسلام في هذه النواحي بدرجة تصل إلى حد الهرطقة . ولعل هذا يفسر جهود إدريس الأول في محاولات نشر الإسلام الصحيح بين بربر الإقليم بعد أن جند جيوشه من أجل " الجهاد "

ثالثا : أن كون فأس المؤسس مصنوع من ذهب وفضة مؤشر إلى تجارة المغاربة مع بلاد السودان الغربى حيث كانوا يحصلون منها على الذهب والرقيب الأسود . كذا إلى ثراء المغرب الأقصى بمناجم الفضة .

رابعا : يشى اسم القادم إلى المدينة الجديدة وهو "فارس" ، بدور الفرس في بناء فاس لكونهم أصحاب مهارة في شئون العمران ، حيث سبق وشاركوا في بناء "تاكروان" و "القيروان" و "تاهرت . "

ثمة أسطورة أخرى – راجت في القرن السابع الهجرى – فحواها أن رجلا من اليهود كان يحتفر أساس بيته في موضع فاس ، فوجد دمية رخام على صورة جارية منفوش على صدرها بالقلم المسند عبارة " هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب ، فأقيم موضعه بيعة للعبادة" وعندنا أن الأسطورة تشىء بعدة حقائق نجملها في الآتي :

أولاً : تأكيد البعد الديني في الأسطورة كدعامة هامة من دعائمها .

ثانيا : تواجد اليهود بالإقليم ، نظرا لثرائه بمعدن الفضة وكونه متصلا بالسودان الغربي حيث معدن الذهب الذي كان يحصل التجار المغاربة عليه بتبادل كيل من التبر بمثله من الملح، كما هو معروف في المصادر التاريخية .

ثالثا : تنم الإشارة إلى الخط المسند عن الأصول العربية للأدارسة، وعن استقرار القبائل العربية في الإقليم بعد فتحه ، ووفود أخرى للاستقرار بالإقليم بعد تأسيس دولة الأدارسة، سواء من إفريقية أو من الشرق أو من الأندلس ، كما هو معروف .

رابعاً : وجود معبد يهودي منذ القدم يشىء بقدسية المكان الذي وجد به أيضا ديرا للرهبان، والذي أسس فيه الأدارسة فاس التى أصبحت حاضرة المغرب الدينية والثقافية، حتى الوقت الحاضر .

وثمة أسطورة أخيرة تذكر أن المكان كان غابة بحرية يقطن بها عبد أسود يسمي "علون" كان يقطع الطريق على المارة ، فضلا عن الوحوش الضارية ، وأن إدريس تمكن من

القبض عليه وقتله وصلبه على شجرة وعندنا أن الأسطورة تفضى بالعديد من الحقائق التاريخية التي نجملها فيما يلي :

أولا أن كون المكان موضعا لغابة كثيفة تسكنها الوحوش ، نغمة مشتركة في الأساطير التي نسجت حول المدن المغربية، ودلالة على تعاظم ظاهرة العمران المديني في بلاد المغرب بعد استقلالها عن الخلافة العباسية .

ثانيا : وجود الغابة يؤكد أيضا توافر المياه كشرط أساس في اختيار مواضع المدن الإسلامية .

ثالثا : تشير مسألة العبد الأسود إلى حقيقة وجود عناصر سودانية وفدت إلى بلاد المغرب نتيجة الصلات التجارية المشار إليها سلفا .

رابعا : يفهم من معظم الأساطير السابقة أن فحص سايس الخصيب استطونته جموع من المسلمين العرب والبربر فضلا عن اليهود والنصارى والوثنيين السود . وأن الصراع بينها كان ضاربا تأسيس فاس حيث تعايشت في سلام بفضل سياسة التسامح التى درج عليها الأدارسة .

خامسا : غلبة الطابع الديني في معظم الميثولوجيا المتصلة ببناء فاس يتسق مع كون الأدارسة من " أل البيت، من ناحية ومكانة فاس الدينية المتميزة كما أسلفنا القول .

وليس أدل على ذلك من أن إدريس خطب في المسجد الجامع بفاس بعد اكتمال عمرانها ، فقال " اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه ، واكفهم مئونة أعدائهم ، وأدر عليهم الأرزاق ، واغمد عنهم

سيف الفتنة والشقاق والنفاق ، إنك على كل شئ قدير" خلاصة القول أن الميثولوجيا تعد بمثابة مصدر هام لدراسة التاريخ ، بل هي التاريخ المعبر عن الوجدان الجمعي بانكساراته وطموحاته .

الباب الثامن عشر : ثقافة الخرافة والأسطورة

وبحسب الخبير باسم محمد حبيب ان هناك فرق يجب أن يدركه كل من يتعرض لهذا الموضوع (أي سلطة الخرافة في الثقافة) بين الخرافة التي تنطلق من وجود منطق راسخ في العقل طبيعته لا عقلانية بوجه عام وبين الخرافة ذات المنطق العقلي (الأسطورة) لان هذا التفريق هو ما يحدد هوية ملفنا الذي اعتقد انه يرنو إلى النوع الثاني من الخرافة لعلاقته بالواقع العراقي لان الهدف المطلوب كما أرى ليس في فتح موضوع معين بقدر ما يرتبط ذلك بالواقع العراقي والحالة التي نحن فيها مدركونان هذا الواقع يشهد حاليا أو دائما هيمنة الخرافة بافرازاتها وتأثيراتها الواضحة ما يضعنا أمام مسؤولية البحث عن الأسباب والعوامل التي جعلت الثقافة لدينا مكبلة بسلطة الخرافة وليس شرح تبرير منطق الخرافة في العقل الذي هو أمر عام ولا يخصنا وحدنا وان اختلفت درجته تبعا لمفهوم الخرافة العام الذي ربما يتواشج مع هذا الأمر صعودا أو نزولا ما يطرح بالتالي فرضية الأصل المشترك لنوعي الخرافة المعروفين أو على الاقل تمازجهما في فترة من الفترات لان بدايات حقبة الخرافة تعود إلى عهود قديمة ليست بعيدة على الأرجح عن بواكير الوعي البشري وبالتحديد إلى خط الشروع الذي تعود إليه ثقافيا كل المجتمعات البشرية بغض النظر عن أي تفسير للأساس الذي انطلق منه هذا الأمر الذي لا نستبعد ان يكون له جذر حيواني ما يعني أن الخرافة بأعمق صورها ربما تكون وريثة الخزين اللاشعوري السابق لمرحلة الإنسان (تبلوره كشكل إنساني كامل) وان تمظهرها المثيولوجي قد يكون تعبيرا عن المحاولة

الأولى لفهم العالم وكما يقول اغريمال وهو احد الباحثين المثيولوجيين (ان مكان الأسطورة هو في جذور التفكير الأولى عندما كان الفكر لا يزال مجرد خطة عامة مجردة الفعل وهذا الموقع هو الذي يفسر سبب امتلاك كل الاجناس ومن دون استثناء أساطير خاصة بهم لأنه دون الأسطورة يصبح الفعل مستحيلا) لكن على ما يبدو فان العقل الذي كان يعيش اللحظات الأولى لمشروعه تفاجأ بسحر الخرافة ومنطقها التبسيطي ليضعها كإجابة كاملة مفروزة سلفا أو وسيلة لاراحته من أي جهد عقلي تفرضه الحاجة إلى جواب معين مع ان انتاج هذا الامر آنذاك أي مفهوم الخرافة ربما له علاقة بالحضور السابق للمنطق اللا عقلاني وتمظهره الجديد كمنطق عقلي أي هو بالتحديد رصيد حاضر لحالة جديدة ذات بعد مختلف وربما من تلك اللحظة انطوت الخرافة على بعد معرفي ولم تعد مرتبطة بالمفهوم الآخر المنطلق تحديدا من المنطق اللاعقلي ، ذلك المفهوم الذي اخذ يتراجع تدريجيا منذ تلك اللحظة ان لم يكن قبلها بكثير ما يضعنا امام تفسير ممكن للطريقة التي ظهرها في الوعي الذي ربما نتج من انحسار ظل الوهم السائد في تلك الفترات .

لكن انحسار المنطق اللاعقلاني لا يعني انه تم تجاوزه نهائيا بدليل ان النشاطات التي مارسه ترسبت اخيرا في اللا شعور لتغدو عمقا للمنطق العقلاني الذي انكشف لحظة التحول إلى الإنسان وامتلاك ميزة العقل أو الوعي ليظهر بالتالي منتوج ثقافي مهم جمع بين خزين المنطق اللاعقلاني وخطوة العقل الأولى تمثل بالأسطورة النتاج الفكري البدائي للعقل القديم وبالتالي خرجت الأسطورةلتعبر ليس عن وهم أو خرافة بل عن محاولة ذات هدف فكري معين وهو ما عبر عنه شتراوس بقوله (وراء كل أسطورة هدف ما أو رسالة مشفرة).

وبمرور الأيام تكررت هذه المحاولات التي أخذت عناصر الأسطورة فيها تنحسر تدريجيا بسبب التطورات العقلية والعملية التي شهدها المجتمع الإنساني آنذاك ولذلك وجدنا ان الأساطير في المراحل المتأخرة كانت أكثر تطورا من الأساطير التي سبقتها في الزمن كما هو الحال مع ملحمة كلكامش الرافدينية التي يعود زمن تدوينها إلى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وكذلك الأساطير الهندية والفارسية واليونانية ما يعني أننا ربما نسير إلى عقل بلا خرافة أو إلى انهيار تام للمنطق اللاعقلاني البعد الآخر للخرافة لكن انهيار الخرافة الفكري لا يعني بالضرورة انها باتت ايلة إلى الزوال وان العالم سيتخلص سريعا من اعوانها (الخرافويين) لان مشروعها الثقافي والمصلحي لم يزل قائما ويمتلك قدرة البقاء لاطول فترة ممكنة لارتباطه بالدين وتدرعه بالقداسة وسيكون على أية محاولة اصلاحية ان تواجه الدين نفسه لكي تحقق هدفها المنشود وهو ما يجعلها عرضة لسيف التحريم القاطع .. هذا السيف الذي نزل غير مرة ليطيح بأكثر من محاولة اصلاحية بما في ذلك المحاولة الاهم في تاريخ الاسلام (حركة المعتزلة) بعد ان ادركت السلطة السياسية القائمة انذاك ان نجاح هذه الحركة يهدد مصالحها وينسف من الجذور مشروعها الخرافي لذلك بادرت إلى ضربها سياسيا قبل ان يتم الاجهاز عليها دينيا وثقافيا في معركتين تاليتين بالتحريم السياسي للتفقه خارج اطار المذاهب الاربعة (قرار المقتدر العباسي) وظهور التمرد الفكري الاشعري (نسبة إلى ابو الحسن الاشعري) ثم جاءت الضربة الكبرى عندما نشطت الحركة السلفية والتقديسية لتلف الواقع الاسلامي بردائها ولتضع العقل تحت طائلة الحجر الفقهي بالقرارات القاطعة حرام، كفر، خروج عن الاسلام، بدعة، ضلالة، مروق.

ما يعني ان الشعار الذي رفع خلال الف سنة من عمر هذا الحجر يحمل صفة ديكارتية معاكسة (لا تفكر ولا اهمية لان تكون موجوداً) الامر الذي مرر العشرات من الحركات المتشددة والسلفية والتقديسية التي اخذت تتسابق لوضع اكبر القيود على العقل. فان وجود الارهاب واعتماد العنف بهذا الشكل البشع لاسباب خرافية هو ابلغ دليل على متانة حضور الخرافة في عقليتنا وحاجتنا الماسة لمواجهتها ثقافيا وسياسيا.

ويقول عقيل صاحب الشويع - واذا كان المقصود بالثقافة، مجموع الأنساق السائدة والشغالة في تعاطيها المنظم بجدلية ذات وتيرة تحكمها ظروف انتاجها (أي الانساق) والطريقة التي تُغذى بها لتعيش في وجدان المجتمع، و اذا كان تعدد الانساق الثقافية ميزة للشعوب الحيّة، فأن البديهيّة التي لا خلاف عليها، تكمن بالإجابة (نعم) على السؤال التقليدي المطروح: ما مدى احتمالية أن يُحكم على ثقافة شعب بالخرافة؟ بمعنى هل بإمكاننا أن نجد شعباً أو أمة يحكمها نسق خرافي؟ أقول هذا وأنا مؤمن بأن الخرافة قد تشربت في مجتمعنا العراقي وقد أصبحت ضمن التركيب الجيني للثقافة العراقيّة (الشعبية والنخبويّة) وما بينهما يترجرج أفق الثقافة المنظور بعين (القلّة) ولا يجدون ثمة جدوى لموت مُبكر ثمنا لكلمة قد تجرح جمهرة يُعتّد بها ممن يقدسون الأوثان في طقوس تحرسها الشياطين.!

المشكلة تتفاقم عندما يفقد المجتمع ثقته بالثقافة بعد أن يفقد الثقة في كل شيء، الرمز السياسي، الرمز الديني،الرمز الاجتماعي، بفعل الاستبداد السياسي القهري الذي يحوّل ويشوّه المنظومة القيميّة، وبالتالي (ونحن نتحدث عن المجموع لأن الأنظمة الشمولية لا تؤمن بالفرد و اذا آمنت فهي ليست شموليّة وليست هناك أدنى مشكلة، ومن هنا يخلق الحاضن الخرافي) فأن الفرد = المجموع يفقد الثقة بالطرح الثقافي لأنه يكف عن كونه صدى

لاغترابه أو رسولاً أميناً لرسالته وضنكه في الوجود، هكذا تبدأ الحكايات دائماً، الثقافة تتحول إلى مؤسسة جهويّة،وتبدأ التصفيات، و يُلغّم الفكر ويفتح المنفي أبوابه للذين لا يبيعون عقولهم لقاء ثمن خرافي ! الانظمة الشموليّة، أنظمة خرافيّة وفقا لمنطق الأشياء،وعندما تفرض أطلاقياتها فهي تفرض خرافتها، والتفكير الخرافي يقع في المنطقة الضد من العقلانية والفاصل بينهما هوّة لا قرار لها،على عكس المقارنة التي يمكننا أن نجعل طرفيها العقلانيّة والأسطورة، فالأسطورةلها ضرورتها في التفكير العقلاني لأنها تُشكّل بُعدا احتماليا ومتخيلا سرديا يُغذي النتاج الأبسيتمولوجي والعلمي والخلق الفني ليساعد البشر على استبصار الدروب التي تذهب بهم إلى أعماق الكون وخفاياه لاكتشاف المعرفة الجديدة، بالإضافة إلى كون الأسطورةالتي تتواتر مع الزمن والتي عاشت في أذهان الناس على أنها ضرب من التفكير الخرافي، لم تعد كذلك بفضل تضافر العلوم الحديثة وبحثها المُضني عبر الزمن، بفضل الفيزياء والفلك والآثار والجيولوجيا وهندسة الوراثة أصبح للكثير من الأساطير معنى ملموس يساعد في كشف المزيد من الخرافات التي بدأت المساحات تضيق بها وتتهافت تلقائيا أمام العقل الذي غيبته الخرافة لزمن طويل، وربما تترتب على ذلك نتائج مُثيرة، تغيّر مسار التاريخ وتُسخّف قراءاته الكثيرة، والمفارقة الكبيرة التي تترتب على ذلك أيضا هي أن يتحول تضاد الثنائية الشهيرة (الخرافة / العقلانية) إلى ثنائية ضدية تبدو أكثر دهشة (الخرافة/ الأسطورة) عند ذلك تكف الأسطورةعن كونها متخيلاً لأنها تصبح الحقيقة الأكيدة التي يُقرأ التاريخ من خلالها قراءة لا عناء فيها، و سنلفظ جميعا عهداً من الهشيم الذي أجبرنا على الاعتقاد به والتعايش مع إرهاصاته، لنقف بكامل وعينا على تخوم البدايات الجديدة ، و لكن هل الأمر بهذه السهولة ، وهل تنتهي الخرافة بحُلم شعب، مُهجّن و مجبر على الإصغاء للهذيان وطقوس

الظلام ، وهل هناك وجود فعلي لدينامية واعية لمجتمع، للخلاص ذاتيا بـلا نقـد للواقـع و مهيمناته، الجواب: هذه المرة (كلا(، ليس لأن المجتمع لا يرنو إلى الخلاص في لحظة تاريخيـة مهمة، وهو مؤمن بما هو عليه، بل لأن الآفاق مقفلة أمامـه بشـكل نهائي،فتصبـح القضـية الحقيقية التي علينا تنويرها لعموم الناس،هي الكشف الدقيق عن أساليب التعمية الفكريـة والتغييب التي تمارس ضدهم بشكل منظم ومدروس،ممن تعاهـدوا و تقاربـت مشـتركاتهم وهم فئات من الشعب والمجتمع نفسه لها مصالح ضـيقة لا يمكـن أدامتهـا ووراثتهـا دونمـا أشعار الأغلبية بأن أهدافهم هي أهداف المجموع وان التضحية بكل شـيء مـن أجـل تلـك الأهداف ستضمن للفرد مكانا مميزا في) عليّين) وليس في هذه الدنيا التافهة،(الـدنيا ذاتهـا التي يقتتلون عليها بضرأوة (هذا هو منطق الخرافة في كل الأزمان، فما دامت هناك (ثقافـة خرافة): وهي نسق التخريف المنظم الذي لا يرتكز على أية مقومات عقلانيـة،اذن فهنـاك بالضرورة (مثقف خرافي :(وهو كائن بشري يسخر معرفته وسعة اطلاعه لخدمة (مشـروع خرافي)، وهذا (المثقف (المُركّب الخطر ، هو ما ينبغي علينـا مكافحتـه وأبعـاده عـن شـبكة أنتاج الفكر الصرف والخلق الفـني، الـتي ترتقـي بالإنسـان وتعطيـه دورا حيويـا،(المثقـف الخرافي) يعمل على عقلنة الخرافة بأساليب الفبركة والتعميـة و البراغماتيـة مسـتغلا أميّـة المجتمع الأبجديّة والحضارية .

وثمة من يقول الآن: أن مجتمعا يرتفع فيه منسوب الأميّة، جديرٌ بهيمنة الخرافة ومن يكرسها. ونحن نقول وما هـو دور الأنتلجنسـيا، هـل تتراجـع أمـام الخرافـة أم أن دورهـا الحقيقي يبدأ من حيث تشعر أن الأغلبية المهمشة قد ذهبت نهباً لألاعيب النتوئات النـافرة، وماذا بعد، هل نذهب جميعنا إلى تخوم البلد الذي نعيش ننتظر حلاً كما فعل الأثينيـون في العهود السابقة وهم ينتظرون البرابرة، فبرابرتنا أتـوا بالفعـل تـاركين الحلـول خلفهـم

متأبطين برامجيات الخرافة والشعوذة، فهل نحن أفضل حالا من الطروادين وهم ينتظرون الحل،وهل تصلح مقارنة ما نمر به بأسطورة الطرواديين كما يصفها الشاعر الكبير (قسطنطين كافافي) في قصيدته الخالدة "بانتظار البرابرة"، أم أننا لا زلنا لا نفرق بين الأسطورةوالخرافة، كانوا يتهيئون لأستقبال البرابرة ومجلسهم ذلك اليوم لم ينعقد لأن البرابرة سيأتون ويسنّون القوانين، يجلس إمبراطورهم على أبواب المدينة مرتديا تاجه لاستقبال قائد البرابرة، لقد كانوا نوعا من الحل، ومن حسن حظهم أن البرابرة لم يأتوا،لأنهم لو أتوا لحلّت الخرافة ، فأن تحلم بحلول البربر يبدو أكثر أمتاعا من بشاعة وصولهم وحكمهم على بقايا أحلامنا بالفناء.

الباب التاسع عشر :الخرافة والعقل

لا توجد كلمتان متضادتان متنافرتان كالعقل والخرافة كما يبين سلام حربه – ويقول أن المرحلة التاريخية التي اسست للخرافة والوهم في تاريخ البشرية مشخصة معرفيا ومحددة زمكانيا في المراحل اللاحقة من قبل الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع،ان الظهور الأول للخرافة كان مع بداية نشوء العقل البدائي وأول تفتح للتفكير في العماء الكوني فالإنسان حين لا يجد للكثير من الظواهر البيئية والكونية والمناخية والشعورية من تفسير فانه يلجأ إلى التعامل مع هذه الظواهر والحالات إلى استحضار انماط التخيل الذاتي بحيث انه يسبغ عليها طبقات من التفكير السطحي والخيال الجامح فتكتسب هذه الظواهر بعدا خرافيا ينسجم مع تأثيراتها العميقة في النفس ويلبسها لباس الوهم فتتشكل عنده تشكلا لامنطقيا ولا عقليا بحيث ان الصور المنتجة سواء أكانت دينية أم شعورية تبدو فنطازية وغرائبية ولا تمت إلى حقيقتها بصلة،هذه التصورات شكلت في التاريخ الإنساني بداية الشعور الديني واجابة لأولى الاسئلة الكونية عن ماهية الإنسان وكينونته،وقد اقترنت

تلك الصور الحياتية الغريبة مع طقوس السحر والشعوذة وانواع الفنون الواقعية والرمزية والتجريدية والطوطمية التي وجدت على جدران الكهوف والمغاور التي كان يعيش بها الإنسان البدائي بداية تجلياتها فكانت تجسيداته الفنية والانطباعية تعبر عما يعتمل في داخله من هواجس واسئلة وظنون لكل ما لم يجد له تفسيرا في منظومته الفكرية والمعرفية البدائية وقد شكلت صياغة الخرافة بداية تكوين للوعي الإنساني،ان الخرافة اقترنت بمرحلة الظلام الفكري،والتماعة للسراب في جب الظلام ، المرحلة التي كان العقل فيها مضببا كما هو الضباب السديمي الذي يلف الكون كله، فالخرافة سابقة على التفكير العقلي وهي أول انماط التفكير الإنساني البدائي بشكوكه وغرائزيته ، وحين ابتدأ الضباب بالانقشاع وتبدت الصور اكثر وضوحا وتجانسا وابتدأ الإنسان يميز ما حوله ويدقق في تكوينه وماهيته وعلاقته بالواقع وبالاخرين ابتدأت الاسئلة الوجودية بالتشكل كما ابتدأت حياته بالتعقد من ازدياد المطالب النفسية والوجودية والغرائزية وقد تطلب هذا التفكير بعمق اكثر فيما يواجهه من مخاطر وتحديات،

ان هذا الكشف عن الذات والموضوع والتأمل في الكينونة الإنسانية وفي الظواهر الكونية الكبرى يعد البداية الأولى لتفتح بذرة الوعي وتجليات اللاشعور فخرج الإنسان من مرحلة الخرافة والأوهام إلى مرحلة خلق الأساطير وصياغة عوالم الالهة لترويض كل الظواهر العصية والمبهمة وجعلها تحت الهيمنة العقلية ومنظومة الخيال فكانت الصور وقصص الالهة والملاحم اللاحقة اكثر موضوعية واكثر التصاقا بالواقع..لقد كان لتشكيل الأساطير في الحياة الإنسانية المرحلة الاهم لما شكلته من نقلة نوعية في التطور العقلي وخطوة جديدة للتحرر من الأوهام السابقة ولا يعني هذا بأن الخرافة والوهم لم يعد لهما مكان بل ان المناطق المظلمة في العقل البشري والتي لم يصلها نور الوعي والحقيقة ، والتي

تعشعش بها الموروثات التاريخية المتحجرة من طقـوس وقصـص وعـادات ، ظلـت علـى حالها منتجة عظيمة للخرافات والأوهام عبر العصور وقد استمرت هذه الحالة حتى يومنـا هذا فما ان يظلم العقل وتنحسر الحرية وتضيق الآفـاق حتـى تُنـتج الخرافـات والاباطيـل وتتسـيد المصـائر الإنسـانية في الامـاكن المظلمـة الفقـيرة بالمعرفـة والـوعي والعلـم، ان العقل السياسي البراغماتي ومنذ اليوم الأول لتولد الحساسية الفردية بين الإنسان واخيه الإنسان وظهور أوائل الغرائز الاقتصادية والاستغلال حاول الطرف المهيمن علـى اشـاعة الخرافات والأوهام عند الطرف الاخر المستلب من اجل السيطرة عليه وتوجيهـه بالطريقـة التي يريدها وابتزازه والتسيد عليه وممارسة العبودية ضده وجعله اسيرا للتصورات الخرافية المنتجة قِبْليا كمقدسات للحاضر والمستقبل وتكبيله بالعقائد والممارسات الشـاذة وهـذا مـا سيبعده عن التأمل بحياته وبواقعه ومستقبله فيعميـه الجهـل ولا يبتعـد عـن دائـرة الغرائـز الحيوانية ويسهل توجيهه بالطريق التي يُشاء بها وتستلب حقوقه الإنسانية وحريتـه ويكـون اداة طيعة للنوايا العدوانية والشريرة ولذلك لم ينقطع انتاج الخرافة حتى يومنا هذا لارتباطه بالواقع المرسـوم قصديـا كحاضنة مثلـى للخرافـة.

ان معظم الخرافات التي انتجت في بدايـة الحيـاة الإنسـانية وتجسـدت في الـذاكرات الجمعية تناقلتها الاجيال عبر العصور سواء أكانت كتابيا شفاهيا أم تصويريا يضاف اليهـا ما أُنتج في زمن مجتمعاتنا الحديثة من تطويع لنصوص دينية ورموز تاريخيـة رغـم اخـتلاف ظرفي الزمان والمكان واختلاف اساليب الحياة العصرية لكن البعض من الـتفكير السياسـي والديني يعمل على انضاج آليات تشكيل الخرافات وادامتهـا لتتناسـل عـبر الزمـان بحيـث يصبح اللاعقلي عقليا في ثقافة الماضي وبنيـة الحاضـر ومترسـخا في الـذاكرة الجمعيـة وفي الهوية الاجتماعية والنفسية فعمدت إلى تحريف بعض الشخوص والقادة والامراء والملوك

والاحداث الموغلة في القدم المروية في الكتب والحكايا والسير الشعبية والعمل على حرف هذا التاريخ وذلك الزمن بعيدا عن السياق التاريخي الموضوعي وتقديس كل مفردات حياتهم فزمنهم وبطولاتهم وكلامهم وحتى فصائل دمهم ليس اسطوريا بل خرافي يقترب من المعجزات وبعيدا عن اهواء البشر وتصوراتهم، هذه المرويات تتضخم عبر الزمان بتأويلات جديدة وبطبقات من الاحكام والتصورات اللامنطقية عليها بحيث اصبحت حقيقية في نظر المجتمع لا مجال على دحضها وتفنيدها وتشكل هوية وجودية وحضارية معا،ان اعظم الازمنة لنمو الخرافات هو زمن الانقطاعات الحضارية وانحسار العلم كما حصل للمجتمع العراقي نتيجة للمرحلة الظلامية السابقة والممتدة زهاء الاربعة عقود ، لقد كان هذا الانقطاع سببا في استحضار كل الخرافات عبر التاريخ وخاصة من الازمنة الغنية بها مضافا اليها ما يُنتج من ظلام الواقع الجديد ،هذا الواقع خرافي في كل المقاييس، والذي يريد ادامته البعض من اصحاب النوايا المريضة التي تحاول ان تهيمن بهذه الخرافات على عقلية المجتمع لتحقيق بعض المآرب السياسية والمصالح الشخصية ساعدها في ذلك ان البلد بلا بنى تحتية علمية قادرة على انتاج الافكار والقيم التنويرية العقلية والتي تأخذ بالمجتمع نحو الحداثة والمستقبل..فليس من المعقول ونحن في القرن الواحد والعشرين ولا نستخدم الا كان واخواتها ونقوم بتدأول وتصديق كل الخرافات الماضية والتي لا تعد ولا تحصى وكأنها الحقائق المفروغ منها لا بل انها المثال الحي لحياتنا القادمة ولا يعنينا الحاضر ولا المستقبل الا بقدر ارتباطهما بالماضي وبخرافات الماضي فلا يمكن الاجهار بالكثير من الحقائق العلمية كونها تدخل في تقاطع مع هذه الخرافات وبالتالي سيدخل مروّج هذا العلم في خانة الزندقة وافساد الناس..

ان الخرافة والعلم عدوان ينفي احدهما الاخر ، فان غاب العلم حضرت الخرافة وان حضر العلم غابت الخرافة ،ان محاصرة الخرافات وتضييقها يتم من خلال العلم والتفكير العقلي في المجتمع ..لان الواقع هو الحامل لهذين المفهومين المتخاصمين كالعملة النقدية، فالظلام منتج للخرافة والنور منتج للعقل والحقيقة،الخرافة في النور تموت في الذاكرة والوجدان، الخرافة التي ولدت في طفولة العقل البشري وتحاول ان تبقيه في بدائيته وهمجيته فمن الظلام لا يخرج الا الظلام.

ولعل رؤية العقل البدائي وتصوراته تنظر إلى ما يحيط بها من زاوية ثنائية لقوى الخير وقوى الشر، فكل ما يتوافق مع بقاء الإنسان وديمومة حياته واطمئنانه يعد من قوى الخير، وكل ما يتعارض معها يعد من قوى الشر وقد ظهرت سلوكيات ذات منحى غيبي للتقرب من منابع الخير وخرافات لتماشي قوى الشر في سبيل تجنب غضبها.

ان معظم التصورات الغيبية والخرافية ذات مرجعيات بشرية محضة، ولابد من الاشارة إلى ان ذلك افرز ما يمكن تسميته بـ«الوهم التراتبي » وهذا التصور يعبر عن تراكمات وهمية للتصورات الإنسانية ابتداء من فكرة التعامل مع احداث الواقع ومتغيراته بطريقة بعيدة عن المنطق ما يندرج تحت صفة الأوهام التي تفرز الخرافة، حتى تداعيات تضع التصورات اللاحقة وتقدم سلسلة من القصص الخرافية والتعليلات، ولقد تعززت بالقناعات البدائية والعقول الجاهلة لانها ذات منشأ تتجاوز حدود طاقة الإنسان وامكاناته كالرعد والبرق والمرض والموت والرياح والفيضانات .. الخ، ناهيك عن تعبيرها عن قيم الشعوب وعاداتها ورؤاها لذلك لم يكن يسمح لاي انسان بمناقشة تلك الرؤى الغيبية المبالغ فيها أو التشكيك في صحتها ومن ثم وضعت في نطاق المحرمات الفكرية.

ويبدو ان ذلك الوهم التراتبي الذي اشرنا اليه لا ينفي وجود منظومة تظلل تلك التصورات الخرافية التي يؤمن بها الإنسان البدائي، وما يدل على ذلك اتباع التفكير المنظم في عملية صياغة تلك التصورات مثل تصنيف القوى التي توصف بانها متحكمة بالطبيعة واستنادا إلى ذلك ظهرت تصورات عن عوالم الجن وطبقاتهم، وعذاب القبر وعالم البرزخ والارواح الشريرة والخيرة والعوالم العلوية التي تمثل الطموحات السامية ومستقر قوى الخير المتحكمة من عل، مع تأكيدنا ان انماط هذا التفكير تعزز دائما بمرجعيات ذاتية- فطرية ولعل تضخم الخرافة أو انحسارها يستند إلى رؤى التفكير الإنساني في اطار آليات تتأثر بمدى التطور الحضاري، من هذه الآليات كما شخصها بعض الدارسين:

1) التفكير الانفعالي: تأثرا بالخوف والامن
2) التعامل مع المشكلات غير المحسوسة من خلال التجسيم المادي.
3) مقارنة الغامض بالجلي والظاهر.
4) البحث عن علاقات ثابتة في الأوساط العشوائية.
5) توظيف تكرار الظواهر لاستنباط علاقات وقواعد ثابتة.
6) الايمان بعلاقات خفية تربط عناصر بين عناصر الوجود.

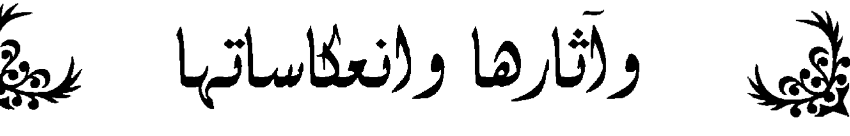
تتحدد طبيعة علاقة الإنسان بالخرافة بالعلاقة المتبادلة بين البشر ومحيطهم الواقعي بوصف هذه العلاقة تستند إلى رغبة البقاء والوصول إلى حالة مثلى من الانسجام مع الوجود والبحث عن سبل ارقى للعيش من خلال الافادة من عناصر الطبيعة ودرء مخاطرها فضلا عن محاولة تعليل العلاقات الغامضة وتفسيرها والتي تحكم الوجود، فالحضارات الإنسانية لا تولد من نقطة الصفر بل هناك سلسلة طويلة من المتغيرات تحكم

تطور حضارة اية امة، ولعل الخرافة تشكل الخطوة الأولى لمنطق الحضارة البدائي، هذا المنطق، ان صح التعبير، يحاول ان يمنح ضباب العشوائية علاقات ثابتة، اعتمادا على وجود النظام الثابت في الحياة، وهذه الثوابت اساس القواعد التي تحكم العلاقات لذلك حاول البدائي ان يوفر السبل لاستدرار النتائج نفسها من خلال توفير المتغيرات والظروف لحالة معينة لاجل الوصول إلى النتائج نفسها من جانب اخر مثلت الخرافات الداعم المعنوي للانسان وهو يشق طريقه في مراحل تطوره فكانت تقدم اليه الذخيرة النفسية لمواجهة المصاعب والظروف النفسية وتجعله يتخطى المعوقات وتدفعه إلى البحث المتواصل عن الافضل وتوحى اليه بعدم اليأس وبأن هناك ابواباً اخرى اذا استنفذت الشبل، فحيثما تداخلت الاشياء وغاب التفسير المنطقي تقدّم الخرافة الحلول لتوضيح وتعليل الغوامض.
ان الإنسان البدائي يمتلك القابلية على جمع الظواهر والافكار المجردة واعادة تشكيلها ليصل إلى مواقف معينة تجاه قضايا كبرى تعترض حياته مثل الموت والحياة، الليل والنهار، المطر والعواصف، ويرى البدائي وجود كائنات روحية تؤثر في مجرى الوجود فيحاول ان يتفاعل معها فليس امامه سوى الخرافة حلا، ولعل بقاء ذيول الخرافة في مجتمعاتنا المتحضرة هو خلل في الجانب الفكري وشعور بالاحباط من الواقع وتمكن الجهل في نفوس بعض ابناء ذلك المجتمع.



الفَصْلُ الثَّانِي

الخرافة والأسطورة في حياة الأطفال وآثارها وانعكاساتها



الخرافة والأسطورة في حياة الأطفال

وآثارها وانعكاساتها

الباب الأول : تمهيد

اخذ عدد كبير من علماء النفس والتربويون الاهتمام بالاسلوب القصصي الذي يسرد للاطفال لما له من دور في تبسيط المعلومات المقدمة لهم لتوسيع عالم الخيال الذي يلازم الطفل منذ سنواته الأولى وهو يسمع حكايا وقصص ما قبل النوم، فعالم الخيال امر طبيعي لا بد من تنميته والاسلوب القصصي احد اهم وسائل تنمية الخيال الذي اكد عليه هو الاخر من قبل المختصين بعد ان ثبت دوره في تكوين شخصية الطفل. ولابد من مراعاة ما يتلى من قصص تمكن الطفل من ترسيخ صورة واضحة المعالم في مخيلته عن الواقع الذي يكتشفه من حوله.

في حين من الصعوبة بمكان محو الانطباعات الاولية التي تتشكل في مخيلة الصغار اذا ما كان سيئاً، وللاسف فقد كان الطفل في السابق يتعرض إلى سماع قصص عن الساحرة والعفاريت واللصوص والوحوش وغيرها مما كنا نسمعه من حكايا الجدات وحتى الكتب والمجلات فمحتوى قصصها لا يلائم مخيلة الطفل وهذا كله يساهم في ارباك تفكير الطفل ويؤثر على مخيلته وصوره المستقبلية دون شك.

وثمة من يؤكد على ضرورة الالتزام بالاسلوب العلمي في التعامل مع الطفل وبالشكل الذي يفسح المجال امام خياله ليتوسع وينفتح على العالم وفق الاسس الصحيحة وتوجيه الخيال وبصورة غير مباشرة لما يسمى الابداع والابتكار، وفي الوقت نفسه الوقوف بوجه الخيالات الخارقة والتي قد تكون نتائجها هدامة للمجتمع من اذهانهم كي تقوم

خلال سؤاله والاستفسار عما يشغل فكره.ويبقى دور ما نحكيه من قصص له اهمية في تكوين فكرة

الباب الثاني : مصادر الخرافة عند الاطفال

ان تعلق الأطفال بالخرافة يأتي في وقت مبكر وعادة ما تكون الأم هي الراوي الأساسي لهذا النوع القصصي .

وقد يستمر وَلَع الأطفال بها في بعض البيئات البدوية ، إلى أن يبلغوا مرحلة الشباب، حينما تنتقل سهرات السمر من البيت إلى الحي ، وتنتقل الرواية أيضاً إلى واحد منهم، وهذا الوَلَع بالخرافة مَردّه إلى استجابتهم للنزعة التخيلية لديهم ، التي تحقق لهم الرغبة في انفلات من حدود الزمان والمكان .

فالأحداث تَنفَلِت من الزمن المباشر الصريح ، لتدور في عالم الممكن المطلق ، وهو عادة قديم الزمان ، سالف العصر والأوان ، وتشغل حَيّزاً مكانياً غير محدود ، هو بلد من بلاد الله ، وبهذا الاستهلال السحري تلغي الخرافة كل قيود الزمان والمكان ، وتشكل نوعاً تعبيرياً ملائماً للأطفال .

إذ يتداخل الحلم والواقع عندهم تداخلاً يزيل كل الفواصل بينهما ، حيث يمكّنهم خيالهم من أن يزوروا الأماكن البعيدة ، والممالك القديمة ، ويكونوا هنا وهنالك في اللحظة ذاتها .

وتتميز الخرافة عن الأشكال السردية الأخرى بغلبة الخوارق على نسيجها القصصي، التي تكيِّف طبيعة الشخصيات فيها ، وتتحكم في سير أحداثها، إذ تفقد الحركة

القصصية تطورها الطبيعي بعد أعمال غيبية، كالجن، والعفاريت، والطلاسم، لتغير فجأة مسار الأحداث نحو اليسر أو العسر ، بحسب طبيعة تلك القوى وغايتها .

وهي بذلك قد تعمل على تعطيل انتزاع الأزمة - بمعنيَيْها القصصي والنفسي - ، أو تعجل بحلّها ربما قبل الأوان ، لذلك كانت منذ القديم أداة تعليمية ، مساعدة في تربية الأطفال .

ويرى بعض الدارسين أن للخرافة بُعداً أساسياً في الحضارة ، وإن توظيفها في تأهيل الأطفال وإعدادهم - لكي يكونوا عناصر فاعلة في إطار الجماعة التي ينتمون إليها - أمر لا يخفي على أحد .

خاصة تلك الخرافات التي تروى في نطاق الأسرة ، والتي تتوجه أساساً إلى تربية الطفل ، وتنمية خياله وقدراته ، الذهنية والوجدانية ، حين تقدم له نماذج من السلوك الإنساني ، فتكون أداة للمعرفة في تشكل تصوراته عن الكون ، والمحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه ، ورغم هذا الدور التعليمي التربوي المنوط بالخرافة ، فإنَّ من الدارسين من يعترض على استخدامها في أدب الأطفال .

بل يعترض على كل الأنماط الحِكائية التي تستخدم الخيال الواسع والوسائل السحرية ، والتي ترتكز على ارتحال الأبطال إلى عالم المجهول ، عالم الأرواح ، والشياطين ، والأشباح ، دون الاهتمام بتفأوت هذه الأنماط في تصويرها لهذا العالم ، وعلاقته بالعالم الواقعي .

وتستند هذه النظرة إلى القول : إنَّ هذا العالم الخرافي أو الأسطوري من شأنه إبعاد الطفل عن معرفة ذاته ، وتغريبه عن محيطه ، وكيفية التعامل معه ، وتقديم حلول جاهزة

للمشاكل العويصة التي تتطلَّب نِضالاً مريراً في بعض الأحيان ، لذلك نرى بعضهم ينادي بعَقْلَنَة ما يقدَّم للطفل في هذا المجال ، ومراعاة الفئات العُمْريَّة التي توجه لها هذا النوع من القصص .

ويعود هذا الموقف الداعي إلى إسقاط الخرافة من أدب الطفل إلى نظرة بعض علماء الأنثروبولوجيا (علم الأجناس البشرية)، الذين استندوا إلى نظرة تطورية، ترى بأن الأسطورة تختص بزمنٍ تاريخي معين، كان فيه العقل الإنساني بدائياً، ولا يمكن أن تبقى حيَّة في العصر الحديث، الذي يسيطر عليه العلم سيطرة تكاد تكون مطلقة.

لكنَّ دراسات أخرى رفضت هذا التقسيم الحادّ لتطور العقل الإنساني ، فالإنسان - كما ترى - يلجأ إلى القُوى الغَيبيَّة ، المتمثِّلة في الأساطير ، في أية مرحلة من مراحل تطوّره، كلما واجهته صعوبات لا يستطيع السيطرة عليها أو تفهمها .

واتجهت دراسات أخرى إلى نفي التعارض بين الأسطورة والعلم، لأنَّ كُلاً منهما يعمل في مجال خاص به ، ويُلبِّي حاجات مختلفة في النفس الإنسانية، ونجد كذلك لدى بعض علماء التربية ما يبدد مخاوف هؤلاء الدارسين من استخدام الخرافة في الأدب الطفولي .

فيقول و. د. وول في كتابه (التربية البنَّاءة للأطفال) - الذي تولَّت منظمة اليونسكو نشره لأهميته - : (إذا كان الكبار أنفسهم في حاجة بين الحين والآخر إلى أن يذهبوا مع تيَّار أوهامهم ، وأن يختلقوا حكايات ، ويبتدعوا خيالات ، فإن الطفل يهتم بقدر ما يكبر بالسببية ، وإن دور التربية هو تسهيل التفكير العلمي بخصوص الأسباب ، دون القضاء على الإبداع الحر ، وعلى الخيال) .

بل إنه يرى في استخدام الخرافة في أدب الأطفال مسألة صحية ، فيقول : (يتَّصل اهتمام الطفل بالقصص الخرافية بحاجته إلى إعطاء شكل درامي للمشاكل التي تعترضه ، ولإبداعات خياله ، فالعديد من عناصر الفلكلور (الفن الشعبي) ومن القصص الخرافية بما في ذلك المشاهد العنيفة ، تتطابق مع عالم الطفل الباطني ، ويمكن لهذا الأخير أن يتقمص بسهولة مختلف مظاهر الحكاية) .

إن جزءاً من التراث الشعبي مشترك ، ومتداول في مختلف البيئات العربية ، بحكم الظروف الفكرية الواحدة ، والتجانس الجغرافي .

وإن كان يصعب على الباحث أحياناً أن يحدِّد بدقة تاريخ تنقل أنماطه في هذا البلد أو ذاك ، والدوافع التي تقف وراء ذلك ، والسبل التي سلكتها ، ومنها : المَغازي ، وقصص الأنبياء (عليهم السلام) ، والزهاد ، والأساطير ، والخرافات ، ولا شك أن بعضه انتقل عن طريق الرواية ، وأن أكثره وصل عن طريق مدوَّنات ذات طابع تاريخي أو أدبي ، مثل : المَغازي ، التي ما زالت رائجة في بعض البيئات الشعبية .

وتروي وقائع الفتوحات الإسلامية بعد أن أشاعها القصَّاصون والرواة ، معتمدين على أعمال قصصية متأخرة ، أخذت مادتها من كتب السِّيَر والمَغازي ، التي ظهرت نماذج منها في زمن مبكر - القرن الأول الهجري - ، وحوت ما كان متداولاً مشافهة عن الفتوحات الإسلامية .

والخرافة من بين هذه الأنماط القصصية التي أخذت صياغتها في اللهجة المحلية ، وخضعت أثناء تدأولها إلى التعديل في بنائها بما يناسب البيئة الاجتماعية ، وتبدو بعض هذه الخرافات العربية متماثلة ، لا تختلف إلا في بعض الجزئيات ، نتيجة ظروف كل بيئة ، وتقادم الزمن ، وتعدد الرواة .

ولهذا فكاتب الأطفال في هذا البلد أو ذاك ، يستقي مادته من نفس المصادر التي يستقي منها الكاتب الذي يقطن المساحة الجغرافية ، أو اللغوية ، أو الدينية ذاتها بشكل عام .

إن الالتفات إلى التراث أمر إيجابي بلا شك ، فهو من المكوِّنات الأساسية في بناء الحضارة الإنسانية ، ووسيلة مُهمَّة لتحصين الشخصية الفردية في مواجهة أي غزو ثقافي ، أو إعلامي ، قد يُفقِد الطفلَ ثِقتَه بنفسه ، أو مجتمعه .

لكن صياغة حكاية خرافيةٍ ما للأطفال تقتضي تجنيب الطفل كل ما لا يتلاءم مع مستواه الإدراكي ، والنفسي ، والاجتماعي ، وكل ما لا يتلاءم مع مفاهيم التربية الحديثة ، غير أن بعض القصَّاصين لم يتنبهوا إلى هذا الأمر ، فجاروا منطق الحكايات بدل تشذيبها وتطويعها ، ولم يضعوا في اعتبارهم أن فيها جوانب إيجابية وأخرى سلبية .

ومن المظاهر السلبية : العنف الشديد ، وغير ذلك من القصص التي حوَت مضامين هابطة بالقيم الاجتماعية ، ولا نجد فيها ما يوحي بتحقير تلك الأفعال أو إدانتها .

غير أنَّ كُتَّاباً آخرين عمدوا إلى تهذيب هذه الحكايات، مما فيها من مواقف عنيفة، وقسوة شديدة ، أو علاقات شاذة ، منافية للأخلاق والدين، فاختلفت بذلك تفاصيل الحكاية الواحدة من كاتب لآخر ، وهنا تبرز مَهارة القصَّاص في الملائمة ما بين عناصر الحكاية ، ومعالجة ما قد يترتب عن تلك التعديلات والإسقاطات، من فجوات وتفكك يَمسّ بُنْيَة الحكاية .

ومثل هـذا الجهـد الإبـداعي يُـبرز التفاعـل الحـرّ بـين قـدرات الكاتـب الذهنيـة، وأحاسيسه الجمالية مع الـتراث ، كـأن يضـيف شخصـيات جديـدة إلى القصـة الأصـلية، ويتخلَّص من مشاهد العنف ، ويلائم الأحداث للأبعاد التربوية والتعليمية .

الباب الثالث : الشخصيات الخرافية في قصص الأطفال

تتميز القصص الملقاة على الأطفال باحتوائها على الصراع بين الخير والشر ، بـين أشخاص عاديِّين ، ومخلوقات عجيبـة ، مـن الجـن، والعفاريـت، والغـيلان، والوحـوش ، وغيرها ، وهي كائنات كثيراً ما تتشابه في أوصافها وسلوكها في النص الأصـلي ، والـنص المقتبس للأطفال، فهي تتميَّز بالشكل المخيف، والقوة الهائلة.

غير أن هذه الكائنات الضارية قد يكفيها الخيـال المبـدع لتغـدو في بعـض القصـص وديعة ، طيبة ، تخدم الناس وتُحسِن إليهم ، وهي بِمَلْمَحَيْهَا - الخير والشر - تحافظ علـى ذات السمات التي أُثِرت عنها في المصادر القديمة .

فقد لزمت الكائنات الخرافية الذهنية العربية قبل الإسلام ، وتسلَّطت عليها تسـلُّطاً مهولاً ، وشكَّلت مادة خصبة دارت حولها الأساطير العربية ، وقد لعب الوصف والسـرد القصصي - بلا شك - دوراً مهماً فيما وصل إلينا عن تشكّل أوصاف هـذه الكائنـات إلى جانب ما أَمْلَتْه الشروح والتـأويلات المختلفـة لهـا ، ومـا زالـت هـذه الكائنـات إلى اليـوم موضوعاً شَيِّقاً تنسج حوله حكايات كثيرة في المجتمعات .

وامتدَّ ذلك إلى ما يُقدَّم للأطفال من قصص تُسلِّيهم وتُبهِجهم ، وتـزوِّدهم بـأدوات معرفية تساعدهم على التخلص مما قد يعترضهم من مواقف مُحرِجة في مستقبل أيامهم .

وإن ممّا تركّز عليه قصص الأطفال التي أبطالها الغول والجن والعفريت - كما في الخرافات - على جدليَّة القوَّة والحيلة ، فالكائنات الضعيفة تجدُ مخرجَها - مما يحيطها من مخاطر وشرور تسببها كائنات ترمز إلى الظلم والتسلط - بالاعتماد على الذكاء ، وبذل الجهد الصادق، وهو ما يريح نفسية الطفل ، ويوحي له بقدرة الإنسان .

وقد تتلون هذه الكائنات التي تشكل هذا العالم الخرافي ، فتتحوّل إلى قوَّة كامنة في أدوات سحرية، مانِحة للخير والأمل، والمَغزَى التربوي المتوخَّى من ذلك كله ، هو الإشادة بالقِيَم الإيجابية، والمكافأة على التمسك بها، وفي الوقت نفسه التنفير من القِيَم السلبية.




الفصل الثالث

الخرافة والأسطورة في حياة اليهود

اليهودية هي دين موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل الذين ينحدرون من أصول عبرانية. وينتسب إلى هذه الديانة اليوم نحو 13 مليونًا في العالم ينحدرون من أصول متباينة.

يعتقد اليهود أن الله اتخذ عهدًا مع إبراهيم بمباركته هو وسلالته،لأنهم عبدوه وظلوا مخلصين له، وأن هذا العهد تجدد مع إسحق ويعقوب الذي يُعرف أيضًا بإسرائيل وسُمي أبناؤه من بعده بني إسرائيل أو الإسرائيليين، وأنزل الله فيما بعد على بني إسرائيل عن طريق موسى عليه السلام، الوصايا العشر وقوانين تبين لهم كيف يقيمون حياتهم ويبنون مجتمعهم.

ويُسمِّي اليهود أنفسهم شعب الله المختار أي الذي اختاره الله ـ بزعمهم ـ لأداء واجبات معينة وتحمل مسؤوليات خاصة، مثل إقامة مجتمع عادل وعبادة الله الواحد. وهكذا فإن العهد يضمن لليهود محبة الله وحمايته، ولكنه يجعلهم أيضًا مُحَاسَبين على خطاياهم وتقصيرهم. ولا يسعى اليهود، خلافًا للديانات الأخرى، إلى دعوة الآخرين لدينهم ولكنهم يقبلون من يختار الدخول في اليهودية.

الكتب المقدسة عند اليهود

لليهود مجموعتان من الكتب المقدسة :**الكتاب المقدس** العبري **والتلمود**. الكتاب المقدس العبري .ويتضمن: التوراة وأسفار الأنبياء والكتابات والكتب غير القانونية التوراة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم وتسمى أسفار موسى الخمسة. وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ من بدء الخليقة وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام. والأسفار هي:

1) سِفْر التكوين ويضم خمسين فصلاً أو إصحاحًا ويدور حول خلق العالم وتكوينه. كما يحكي قصص آدم ونوح والطوفان وإبراهيم وسلالته وخاصة إسحق ويعقوب. وينتهي بقصة يوسف ومجيئه إلى مصر ولحاق أبيه وإخوته به.

2) سِفْر الخروج ويتكون من أربعين إصحاحًا. ويبدأ باضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل، ثم مولد نبي الله موسى عليه السلام وحياته حتى نزول الوحي عليه، وعمله على إخراج قومه من مصر.

3) سِفْر اللاويين أو الأحبار ويتكون من سبعة وعشرين إصحاحًا تهتم بالشرائع والطقوس الكهنوتية.

4) سِفْر العدد ويتكون من ستة وثلاثين إصحاحًا، وسُمي بذلك لاهتمامه بالأعداد المتعلقة بالأشخاص أو المعلومات 5- سِفْر التثنية ويُسمى تثنية الاشتراع، وفيه ثنَّى (أعاد) موسى عليه السلام على بني إسرائيل الحوار الذي دار بينه وبين الله مرة ثانية، ويشتمل على أربعة وثلاثين فصلاً أو إصحاحًا.

وبالرغم من أنّ التوراة كتاب أنزله الله على موسى عليه السلام إلا أنه وقع فيه تحريف وتبديل، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى :(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) البقرة: 75 . وقوله سبحانه :(يحرِّفون الكلم عن مواضعه) المائدة: 13 . كما أن نصوص التوراة الآن تحمل دلائل تحريفها، من وصف لله بما لا يليق به، وطعن في أنبياء الله ورُسِله.

أسفار الأنبياء تتضمن تاريخ العبرانيين بعد موت موسى عليه السلام ودخولهم أرض فلسطين مع يوشع بن نون إلى أن خرجوا منها على يد الإمبراطور الكلداني بختنصّر، فيما يُعرف **بالسبي البابلي** .وتشتمل الأسفار على الأنبياء الأوائل:

أ. يوشع بن نون 24 إصحاحاً.

ب. القضـــاة 21 إصحاحًا

ج. صموئيل 31 إصحاحًا

د.الملوك الأول 22 إصحاحًا، هـ- الملوك الثـاني 25 إصحاحًا.

الكتابات تسُمّى أيضًا الحكمة أو هجيوغرافيا، وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعرًا ونثرًا. وبعضها يتضمن تراثًا من القصص والحكم. وهي أسفار:

- مزامير داود.
- أمثال سليمان.
- أيوب.
- نشيد الإنشاد.
- روث.
- المراثي.
- الجامعة.
- أستير
- دانيال.
- عزرا
- نحميا.
- أخبار الأيام.

الكتب غير القانونية يسميها بعض الدارسين الكتابات غير المقبولة وتنقسم إلى قسمين:

1) **كتابات تاريخية مثل:** سفر المكّابيين الأول والثاني، وأسفار النبي عزرا غير القانونية.

2) **نصوص عقائدية**، وهي ضد عبادة الأصنام، وتتضمن بيان قدرة الله ومعجزاته.

التلمود .يتكون التلمود من نصوص مقدسة تُسمى **المشناة** باللغة العبرية. والمشناة مجموعة من الشرائع المروية شفاهة، ومن ثمَّ تُسمَّى **التلمود**، ويَعُدُّها اليهود المصدر الثاني للتشريع بعد التوراة.

وينقسم التلمود إلى ستة أقسام، يتضمن كل منها أبوابًا فرعية هي:

1) كتاب **زراعيم**، أي البذور، ويتضمن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة.

2) كتاب موعد، أي العيد أو الموسم، ويتضمن الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة.

3) **تاشيم**، أي النساء، ويتضمن الأحكام والنظم الخاصة بالزواج والطلاق.

4) كتاب نزيقين، أي الأضرار، ويتضمن جزءًا كبيرًا من الشرائع المدنية والجنائية.

5) كتاب قداشيم، أي المقدسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل.

6) كتاب **طهاروت**، أي الطهارة، ويتضمن الأحكام الخاصة بما هو طاهر ونجس، وما هو حلال وحرام من المأكولات والمشروبات وغيرها .

ونتيجة لاختلاف الشرائع وظهورها في بيئتين مختلفتين هما فلسطين والعراق، ظهر تلمودان:

1) التلمود الغربي أو الأورشليمي

2) التلمود الشرقي، ويُسمَّى التلمود البابلي.

المعتقـدات

اليهود من أهل الكتاب الذين آمنوا بإله واحد، ولكن تصورهم للإله دخله كثير من التحريف، بل إنهم لم يستطيعوا في معظم فترات تاريخهم الالتزام بعبادة الله الواحـد الـذي دعاهم إلى عبادته الأنبياء والرسل. إذ تأثر اليهود بالأمم والشعوب من حولهم، فسيطرت عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين والاعتقاد بـالأرواح، وكـانوا في تصـورهم واعتقادهم يميلون إلى التجسيم ووصف الله بصفات البشر. وقد أشـار القـرآن الكـريم إلى الكثير من هذه العقائد والتصورات الخاطئة ورد عليها.

النبوَّات .وصف اليهود الأنبياء بصفات لا تليق بهم؛ فالتوراة المُحرَّفة تصف الأنبياء بأنهم غير معصومين من الخطأ والذنوب، ويجوز عليهم ارتكاب المنكرات.

اليوم الآخر لا تهتم التوراة المُحرَّفة باليوم الآخـر، أو البعـث، أو الحسـاب. ولـيس فيها إشارة إلى الحياة الآخرة. ولم يرد في اليهودية شيء عن الخلود. وما ورد مـن إشـارات إلى الجنة والنار في التلمود يبدو في صورة مضـطربة أقرب إلى الخرافة والأساطير.

المسيح .يعتقد اليهود أن الله سيرسل مسيحًا لإنقاذهم، ولا يـزال كـثير مـن اليهـود يتوقعون مجيء المسيح، بينما يعتقد آخرون أن ذلك سيكون في صورة المملكة الموعودة التي يسود فيها العدل والسلام.

نظام اليهودية

ليس لليهودية رئيس واحد ولا هيئة عالمية لها سلطة على الممارسـات الدينية. ومن أهم معـالم نظام اليهـودية الديني ما يلي :

الكنيس .معبد اليهود ومركز لتعليمهم اللغة العبرية وتاريخ اليهود، كما أنه مركز لممارسة الأنشطة الاجتماعية للطائفة اليهودية. ويُطلق على الكنيس أيضًا اسم الهيكل، تذكيرًا بهيكل سليمان عليه السلام .

الحاخام .القائد الروحي والمدرِّس والمفسِّر للقانون اليهودي .

قائد جوقة الترتيل .يرتل الصلوات أثناء العبادة ويقود فرقة المنشدين.

العبادة

تختلف شعائر اليهود التَّعبديّة من طائفة إلى أخرى، بل إن الطائفة الواحدة تختلف فيما بينها حول ذلك. ويؤدي اليهود الأرثوذكس صلواتهم فرادى وجماعات في المنازل والكنيس، ويقومون بذلك ثلاث مرات في اليوم: عند الفجر ونصف النهار وعند المساء .

ويغسلون أيديهم قبل بدء الصلاة ويضعون رداء صغيرًا على الكتفين، كما يغطون رؤوسهم .وتتكون الصلاة عمومًا من قراءة من التوراة، وترتيل صلوات خاصة من كتاب خاص بذلك يُسمَّى **سِدُّور** .

وفي كنيس الأرثوذكس، أي التقليديين المحافظين، يجلس الرجال والنساء منفصلين. وتؤدَّى الصلاة بالعبرية، بينما نجد عند المحافظين التراثيين والإصلاحيين أن الرجال والنساء يجلسون جنبًا إلى جنب. ومعظم الصلاة تؤدَّى بلغة القطر الذي يعيشون فيه، وقد تتضمن العبادة عند هؤلاء مواعظ وموسيقى.

مواسم اليهود وأعيادهم الدينية

عيد السبت، العيد الأسبوعي عند اليهود ويبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت. وفي هذا اليوم لا يعمل اليهود ولا يسافرون بل يحرِّمون السعي

في الرزق والاشتغال بحرفة أو صناعة. ولا يعقدون زواجًا ولا يقودون حربًا هجومية وإنما يحضرون صلاة في الكنيس ويتناولون وجبة خاصة وتجتمع الأسر في المنازل.

رأس السنة اليهودية،ويُسمُّونه روش هشانا، وهو احتفال بخلق الله للكون. ويعتقد اليهود أن الناس يُحاسَبون في هذا اليوم على ما قدموه من أعمال خلال السنة الماضية. وتستغرق طقوس الاحتفال مدة يومين يقعان في أوائل أكتوبر.

يوم الغفران (يوم كِيبور، بالعبرية(، اليوم العاشر من بداية السنة العبرية. وفي هذا اليوم يصوم اليهود الليل والنهار ويعبِّرون عن ندمهم على ما اقترفوه من آثام خلال السنة المنتهية، وعن أملهم في القيام بأعمال صالحة خلال السنة المقبلة.

عيد الفصح .يحتفل فيه اليهود بذكرى خروجهم من مصر، ويقع في مارس أو أبريل. ويحتفلون به في المنازل فيقيمون وليمة يسمونها سيدر.

عيد الحصاد .يقع بعد خمسين يومًا من بداية عيد الفصح عند اليهود. وهو احتفاء بذكرى إعطاء التوراة لموسى في جبل سيناء.

عيد الظلل .يبدأ بعد خمسة أيام من عيد الغفران ويبني فيه اليهود أكواخًا صغيرة لتذكرهم بالأكواخ التي كان يعيش فيها اليهود في فترة التيه.

عيد النور أو الحانوكة .احتفال بإنقاذ الله لليهود عام 165 ق.م وهزيمتهم للسوريين الذين أرادوا إجبارهم على ترك اليهودية. ويحل هذا العيد في 25 ديسمبر، ويُحتفى فيه بإيقاد الشموع في مكان خاص بها.

عيد البوريم (المسخرة .(يقع في فبراير أو مارس وهو احتفاء بذكرى إنقاذ يهود فارس من مؤامرة دُبِّرت لإبادتهم. وفيه يقرأ اليهود سِفر أستير، المسمَّى باسم المرأة التي

كانت وراء إنقاذهم حيث يحكي أحداث تلك القصة. ويسميه العرب عيد المسخرة أو عيد المساخر لإسراف اليهود في شرب الخمر ولبس الأقنعة التنكرية في هذا العيد.

أحكام الشريعة اليهودية

لليهود قوانين وأحكام مستمدة بصفة عامة من سفر اللاويين وسفر التثنية، يتعلق بعضها بالزواج والطلاق والحلال والحرام في الأكل والشرب. فمن طرائف شريعتهم ومعتقداتهم في الزواج أنهم يوجبون على اليهود التزاوج فيما بينهم ويحرّمون الزواج من غير اليهود، كما يحرِّمون التعدد بفتوى متأخرة ترجع إلى العصور الوسطى، ويجعلون الطلاق بيد الرجل. ويجعلون للابن البكر السلطة المطلقة في التصرف الكامل في ثروة أبيه. ويحرِّمون الربا فيما بينهم، بينما يبيحونه إذا أقرض اليهودي غير اليهودي مالاً.

آداب الطعام والشراب .أحل اليهود من الحيوانات ذوات الأربع كل ما له ظلف مشقوق وليست له أنياب ويأكل العشب ويجتّر. وحرَّموا ما ليس له أظلاف مشقوقة كالخيل والبغال والحمير، أو ماله خف كالجمل، أو له ناب كالخنزير والسباع.

وحرموا من الطيور كل ما له منقار معقوف أو مخلب أو كان من أوابد الطير التي تأكل الجيف والرمم. ويشترطون في الحيوانات والطيور الأليفة أن تكون سليمة من العطب والجروح والكسور والأمراض وأن تُذبح من منحرها بطريقة شرعية بعد ذكر اسم الله عليها. ويسمّون الطعام الذي يُعَدُّ وفقًا للشريعة كوشير أي حلال.

أما الأحياء المائية فيحل منها الأسماك ذات الزعانف والقشور ـ ويحرِّمون ماعداه من صيد البحر كالأسماك الملساء وأنواع الأخطبوط والجمبري والروبيان والسرطان

(الكابوريا) والمحار. ولا يجيز اليهود الجمع بين اللحم، واللبن والحليب وأي شيء يمت إليهما بصلة في طعام واحد.

فـرق اليهـود

ظهرت خلال التاريخ طوائف وفرق يهودية عديدة تختلف فيما بينها حول المعتقدات والسلوك والمصادر المعتمدة لدى كل طائفة. ومن أشهر هذه الفرق؛ الفريسيِّون والكتبة أو النسّاخ والصدقيون والقرَّاءون والسامريون والأسيون (الأسينيون والأبيونيون) الفقراء إلى الله)، والقناؤون. وتنقسم اليهودية الآن إلى ثلاث طوائف رئيسية:

1) اليهودية الأرثوذكسية

2) اليهودية الإصلاحية

3) اليهودية المحافظة.

اليهودية الأرثوذكسية .تعترف بكل التوراة والتلمود، وتقبل كل النواميس، وتعتقد أن الله أوحى بذلك كله إلى موسى مباشرة في جبل سيناء. ويلتزم الأرثوذكس بكل القوانين اليهودية من طقوس وعبادة وعادات.

اليهودية الإصلاحية .بدأت مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، إذ شكك بعض اليهود في كيفية ظهور الكتب المقدسة، وانتهوا إلى الزعم بأن التلمود عمل بشري غير موحى به، ومن ثم ضعفت مصداقيته لديهم. ولا يؤمن هؤلاء إلا بالتوراة. ويعتقد الإصلاحيون أن التعاليم الأخلاقية والسلوكية أهم أجزاء اليهودية، ولا يولون أهمية للطقوس بل إنهم نبذوا كثيرًا من التقاليد اليهودية.

اليهودية المحافظة) التراثية). نشـــأت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. ورغم إيمانهم بالتوراة والتلمود، إلا أنهم ذهبوا إلى وجوب تفسـير النصـوص المقدسـة في ضـوء المعارف العلمية الحديثة والثقافة المعاصـرة. وهـم كـاليهود الإصـلاحيين لم يهتمـوا كـثيرًا بالطقوس، ولكنهم يمارسون العادات، ويتمسكون بالتقاليد أكثر منهم.

يقول الشيخ والعلامة المبجل ابن حزم في الفصل في الأهواء والملل والنحل (الكلام على اليهود) : الفرقة السامرية من اليهود لهم توراة غير التوراة الموجود عند سائر اليهـود ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ويقولون ان القدس هي نـابلس .... الخ ويبطلـون كـل نبوة كانت في بني اسرائيل بعد موسى وبعد يوشع ويكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا وزكريا وأرميا

هناك فرق يهودية لا تعترف بأساطير بني جلدتهم ، لكن أهل المشرق الذين يقولون ان اليهودية هي مجرد خرافات وأساطير يعترفون بها كمرجع علمي .

من هو هذا سام وحام ويافت ؟

حسب اليهود نوح كان سكيرا :

يقولون في سفر التكوين الإصحاح 9 - 20 إلى 22 : وابتـدأ نـوح يكـون فلاحـا وغرس كرما 21 وشرب الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه 22 فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا ...

- **سفر التكوين الإصحاح 5 – 32** : وكان نوح ابن خمسمئة سـنة وولـد نـوح سـاما وحاما ويافث
- **سفر التكوين الإصحاح 6 – 10** : وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث

- **سفر التكوين الإصحاح 7 – 13** : في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافت بنو نوح وامرأة نوح وثلث نساء بنيه معهم إلى الفلك
- **سفر التكوين الإصحاح 9 – 18** : وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافت، وحام هو أبو كنعان

كلمة سامي هي كلمة عنصرية بحتة انتشرت كثيرا في عصر النهضة والتنوير بالدول الغربية، وتعني متشبث بالدين ويؤمن بالخرافات.... ولا يعمل بالعقل، وأعتمد أهل الغرب على مفهوم بولس لليهود حيث قال :

1) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيثوس الإصاح الأول – 22 : لأن اليهود يسألون آية واليونانيون يطلبون حكمة .... (بولس رد عليه الحكيم والعلامة ابن حزم : اللعين بولس .... هذا النذل بولس أيضا في بعض رسائله الخسيسة : اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة (الفصل في الملل والأهواء والنحل – ذكر بعض ما في كتبهم من الكذب والكفر والهوس) وقيّد أهل الغرب وسجن الإسلام بسلسلة من الحديد مع اليهود باليهودية.

سأترك August Ludwig Sholzer صاحب نظرية اللغات السامية والعهد الذي عاش فيه وكيف بدأ اليهود يتحركون ويفتشون عن مكان يستقرون به لكي يتخلصوا من تتبعات الكنيسة لهم . بكلمة سام وضعنا حدا للمكان والزمان .

حسب الأسطورة اليهودية عمر الكون لا يفوت 7500 سنة ، وهل هناك عاقل يصدق هذا.

2) تاريخ أسطورة الخلق حسب اليهود والمسيحيين ، وكلهم اعتمدوا على اليهودية:
يوليوس سكنوس الإفريقي (مات 240 م) قال الكون خلق سنة 5502 ق م و Pandorus قال خلق آدم سنة 5493 ق م اليهودي هلال الثاني مات 300 م قال الكون خلق يوم 7 أكتوبر 3761 ق م لكن لوتر في : Supputatio annarum mundi يقول لوتر ان عمر العالم سيكون 6000 سنة فقط قال السنة الأولى بعد الخلق تقابل 3960 ق م 3831 كانت ولادة شيثا sets واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 – 3 3726 كانت ولادة أنوش Enos واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 – 63636 كانت ولادة قينان kenan واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 – 9 3566 كانت ولادة مهللئيل mahalaleel واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 - 12 3031 موت آدم واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 – 242905 ولادة نوح واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 5 – 24 2305 الطوفان2205 بناء برج بابل 2013 ولادة ابراهيم واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 11 – 26 1913 ولادة اسحاق واعتمد على سفر التكوين الإصحاح 21 – 5 1853 ولادة يعقوب واعتمد على سفر التكوين الإصحاخ 25 – 26 1558 ولادة موسى وأعتمد كذلك على انجيل متى الإصحاح 1 – 17 وانجيل لوقا الإصحاح 3 – 23.

هل هناك عاقل يصدق ان تاريخ المشرق لا يفوت بضعة آلاف السنين ؟ هل سنربط الأهرام بتاريخ قبيلة لا يعرف شخص تاريخها ؟

هل تاريخ المشرق كله مرتبط بقبيلة ربها مدير شركة عقارات يوزع الأراضي مثلما يحلو له، هل العالم يتحرك حسب قانون اللامنتهي في المكان والزمان والمشرق سيبقى مقيدا بأساطير لا يفهمها أي شخص .

Sir William Jones عندما أتى بنظرية الشعوب الهندو أوروبية بنت له شركة Honorable East India Company تمثالا لأنه قدم لها خدمات كبيرة جدا ومهد لها الطريق للتوسع ، مع العلم ان هذه الشركة أرغمت الشعوب التي رفضت الإحتلال على تناول الأفيون ليتم إحتلالهم واذلالهم . لقد نشر فكرة جذر واحد ، شعب واحد، ملكة واحدة وإمبراطورية واحدة ، وغيروا مفهوم الدولة مثلما يحلو لهم.... الرب يعاقب داود (2صمو12 :11) فقال له الرب. لأنك خدعتني وأخذت امرأة أوريا الحتي: ها أنذا أقيم عليك الشر في بيتك وآخذ نسائك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك ويضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس.

(تكوين 9 :20) وشرب نوح من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه فأبصر حام عورة أبيه(2صمو19 :23) وكان روح الله على شاول، فخلع هو أيضًا ثيابه وتنبّأ هو أيضًا. فانطرح عريانًا ذلك النهار كله وكل الليل. (2صمو6 :20) ورقص داود أمام الناس وأمام الله. (خروج 15 :20) وكذلك فعلت أخته مر يم النبيّة ، وأخذت دفًا هي والنساء ورقصت. (قضاة14: 19) وحل روح الرب على شمشون فقتل ثلاثين رجلاً. (قضاة15 :5) وذهب وأمسك ثلاثمائة ثعلب وأخذ مشاعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ثم أضرم المشاعل نارًا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون. (قضاة16 :1) ثم ذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها (أيّوب24: 1) والله لا ينتبه إلى الظلم.

(أيّوب29: 16) إليك أصرخ فما تستجيب لي يومًا. أقوم فما تنتبه إليّ. تحوّلت إلى جاف من نحوي( ). التّغزّل بثدي المرأة (أمثال 5: 16) وأفرح بامرأة شبابك الظّبية المحبوبة والوعلة الزّهيّة: ليروك ثدياها في كلّ وقت. سفر نشيد الأنشاد: نصوص غراميّة (نشيد 1: 13) صرّة المر حبيبي لي: بين ثديي يبيت. ها أنت جميلة يا حبيبتي. ها أنت جميل يا حبيبي وحلو سريرنا أخضر. حبيبي بين البنين: تحت ظله اشتهيت أن أجلس أدخلني بيت الخمر شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني.

(2ملو 5: 15) ليس إله في كلّ الأرض إلا في إسرائيل. (تثنية 7: 6) إيّاك يا إسرائيل قد اختارك الرب إلهُك لتكون له شعبًا خاصًّا من جميع الشّعوب الذين على وجه الأرض. (اشعيا 43: 4) إذ صرت عزيزًا في عيني مكرّمًا وأنا قد أحببتك: أعطي أناسًا عوضك وشعوبًا عوض نفسك.

اقتل النّساء والأطفال والبهائم (حزقيا 9: 5) اعبروا في المدينة وراءه (أي يهوذا) واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا: الشّيخ والشّابّ والعذراء والطّفل والنّساء: اقتلوا للهلاك... نجّسوا البيت واملأوا الدّور قتلى للرّبّ سيف قد امتلأ دمًا (عدد 31: 1) وكلّم الرّبّ موسى قائلاً: " انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين. فتجند بنو إسرائيل على مديان كما قال الرّبّ: وقتلوا كلّ ذكَر وسبَوْا نساء مديَن وأطفالهم. ونهبوا جميع مواشيهم وكلّ أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حص ونهم بالنّار.

فخرج موشى وألعازار الكاهن وكلّ رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلّة. فسخط موسى على وكلاء الجيش. وقال لهم: هل أبقيتم كلّ أنثى حيّة؟ إن هؤلاء كُنّ في بني إسرائيل سبب خيانة للرّبّ. فكان الوبأ في جماعة الرّبّ. فالآن اقتلوا كلّ ذكر من

الأطفال. وكلّ امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النّساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر: أبقوهنّ لكم حيّات.

(يشوع 6: 16) قال يشوع لبني إسرائيل: اهتفوا لأنّ الرّبّ أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكلّ ما فيها مُحرّمًا للرّبّ كلّ الذّهب والفضّة وآنية النّحاس والحديد تكون قدسًا وتدخل في خزانة الرّبّ... وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ: حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السّيف. (ارميا 51: 2) أنت لي فأس وأدوات حرب فأسحق بك الأمم وأهلك بك الممالك وأسحق بك الرّجل والمرأة. وأسحق بك الشّيخ والفتى، وأسحق بك الغلام والعذراء، وأسحق بك الرّاعب وقطيعه. قتل وخطف واستعباد (يشوع 16: 10) فسكن الكنعانيون في وسط أفرايم إلى هذا اليوم وكانوا عبيدًا تحت الجزية( ) .

(2صمو 8: 1) وضرب داود المؤابيين وقاسهم بالحبل. أضجعهم على الأرض. فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء. وصار الآراميون عبيدًا لداود. (2صمو 4: 12) وأمر داود الغلمان فقتلوهما وقطّعوا أيديهما وأرجلهما وعلّقوهما. (قضاة 21: 10) فاتّفق بنو إسرائيل في عهد بنيامين بعدما قدّموا قرابين إلى الله أن: اذهبوا إلى سكّان يابيش جلعاد واضربوا بحدّ السّيف النّساء والأطفال تحرمون (أي تقتلون) كلّ ذكر وامرأة عرفت اضطجاع ذكر.

فوجدوا من سكان يابيش جلعاد أربع مائة فتاة عذارى لم يعرفن رجلاً بالاضطجاع مع ذكر. فرجع بنيامين في ذلك الوقت فأعطوهم النّساء اللّواتي استحيوهن من نساء يابيش جلعاد.

سرقة النّساء واغتصابهنّ (قضاة 21: 20) ثمّ أوصوا بنيامين قائلين: امضوا واكمنوا في الكروم وانظروا: فإذا خرجت بنات شيلوه ليدرن في الرّقص فاخرجوا أنتم من الكـروم واخطفوا لأنفسكم كلّ واحد امرأته من بنات شيلوه. ففعل هكذا بنـو بنيـامين. واتّخـذوا نسـاء حسـب عـددهم مـن الرّاقصـات اللّـواتي اختطفـوهنّ، اقتلـهم واسـلب أمـوالهم (تثنية 20: 10) حين تقرّب مدينة لكي تحاربهم: اسـتدعها إلى الصّـلح. فـإن أجابتـك إلى الصّلح وفتحت لك: فكلّ الشّعب الموجود فيها يكون لك للتّسخير ويستعبد لك.

وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصرها. وإذا دفعها الرّبّ إلهـك إلى يـدك: فاضرب جميع ذكورها بحدّ السّيف. وأمّا النّساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة: كـلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرّبّ إلهك.

و جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية للدكتور أحمد زكي بدوي وفي مادة " الأسطورة legend" أن " الأساطير هي المعتقدات المشبعة أو المحملـة بـالقيم والمبـادئ الـتي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها ، ويرتبط كل مجتمع بنسق من الأساطير يعبر عن الصور الفكرية المعقدة التي تتضمن في الوقت نفسه كل نواحي النشاط الإنساني . "

ومن هذا التعريف نستخلص مدى تعلق الجماعة الاجتماعية بهذا الفكر والذي قـد يعوض الدين في بعض المجتمعات ذات الطابع الانغلاقي والتي لها مرجعية ثابتـة في تفسـير الأشياء والحوادث ، هذه المرجعية تتخذ من الخرافة مصدراً شرعياً لها .

لقد لزم الفكر الخرافي الإنسان الأول منذ بداية الخليقة ، ومازال ساري المفعـول إلى أيامنا هذه ، رغم التقدم التكنولوجي للإنسانية ، وبلوغ الكائن البشري مراحـل عليـا مـن الحضارة ، والعقلانية ، إلا أنه مازال يجنح ويعتقد بعـض التفسـيرات الـتي تتنـافى وقيمـه المعاصرة ، ومن ذلك الطوطم totem الذي تحدث عنه الأنثربولوجيين والسوسـيولوجيين

بصفة مفصلة كونه يلعب دوراً أساسياً في حركية المجتمع المحلي ، أو القبيلة المعنية، ولقد جاء في تعريفه أنه " حيوان أو نبات أو جسم محسوس ينظر إليه الرجل البدائي في احترام، وخشوع دون أن يكون هناك سبب معقول يدفعه لذلك . ويعتقد الناس في القبائل الطوطمية أنهم ينحدرون عن ذلك الطوطم كما تسمى القبيلة باسمه أي أن الطوطم عندهم هو رمز للأب أو الجد وبديل عنه ومن ذلك اعتقادهم أن أي خروج عن العادات والتقاليد المتبعة تستوجب غضب هذا الأخير ، والذي قد يزلزل بهم الأرض، أو يوقف عنهم المطر، ولذا كانت تمارس طقوس محددة لكسب رضاه ، والتقرب منه كما هو معروف في عدة مجتمعات التي توصف بـ" الما قبل " صناعية ، أو حتى في المجتمعات الحديثة، وسوف نذكر لمع من هذه الأساطير أو الطقوس في مقالنا هذا ، لها تأثيرها على الضمير الجمعي في مجتمعنا على وجه الخصوص ، اطلعنا عليها عن طريق الروايات الشعبية الشفهية .

المشروع الصهيوني (قيام دولة اسرائيل)

يقول ماجد كيالي في بحثه المشروع الصهيوني ، من دون إغفال إسهامات العوامل الخارجية والأوضاع المحلية، أو التقليل من الجهد الذي بذلته الجماعات الصهيونية، لإقامة المشروع الصهيوني، فإن هذا المشروع يدين بقيامه، أيضا، إلى عدد من الأساطير التي تحولت، بقيامة إسرائيل (كتتويج وتجسيد لهذا المشروع)، إلى نوع من الأيديولوجيا التي يحرّم المساس بها.

وكانت الأساطير التي فبركتها الصهيونية تمحورت حول ضرورة قيام "وطن قومي لليهود"، حيث تم اختيار فلسطين، بين مجموعة خيارات، على أساس أسطورة أخرى مفادها أن فلسطين هي بمثابة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وباعتبارها "أرض الميعاد"، حسب

الرواية التوراتية) الخرافية (بالنسبة للشعب (شعبها) معلوم أن الصهيونية انطلقت من أسطورة مفادها اعتبار اليهود بمثابة شعب واحد على أساس الدين، برغم تحدرهم من قوميات وحضارات وبلدان مختلفة ومتباعدة، ما يعني اعتبار الدين بمثابة هوية قومية، كما انطلقت من رفضها إدماج اليهود في مجتمعاتهم، بدعوى الاستثناء اليهودي.

وبالنتيجة فإن فكرة "الخلاص" لديها انبثقت بدورها من أسطورة نفي المنفى، التي تفترض عودة اليهود إلى فلسطين، عبر تهجيرهم للاستيطان فيها، بدعوى أنهم يعودون لأرضهم التاريخية، التي ظلوا يحلمون بها، طوال القرون الماضية.

المفارقة أن الصهيونية تذرعت ببعض وقائع اضطهاد اليهود في أوروبا، متناسية تحالفها مع أوروبا) أي مضطهديها) لإنشاء كيانها السياسي، على شكل دولة وظيفية، في منطقة لم تشهد قط اضطهادا لليهود لكونهم يهودا، سيما أن هذه المنطقة هي مهد الأديان السماوية، وضمنها الديانة اليهودية.

وما يؤكد هشاشة هذه الأساطير عدم رواجها بين اليهود أنفسهم بدليل أن بضعة ألوف من اليهود فقط، هم الذين استطاعت الحركة الصهيونية جلبهم إلى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، وقبل وعد بلفور (1917) الذي قطعته الحكومة المنتدبة على فلسطين (بريطانيا) آنذاك .

فقط في ظروف الحرب العالمية الأولى بدأت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالازدياد، ثم تصاعدت في ظروف الحرب الثانية؛ ومع ذلك فإن عدد اليهود في فلسطين عام 1948، أي لدى قيام دولة إسرائيل لم يتجاوز 700 ألف شخص، برغم جهود نصف قرن من الزمن، والمعطيات الدولية والإقليمية المواتية.

بدورها، فإن إسرائيل، بعد قيامها، عملت على صياغة أساطيرها الخاصة، مع استمرار استغلالها لأساطير الصهيونية، ومنها، مثلا، أنها قامت كثمرة لكفاح حركة التحرر القومي للشعب اليهودي، للتخلص من الانتداب البريطاني، وأنها استطاعت هزيمة سبعة جيوش عربية في حرب 1948، وأن العرب فوتوا الفرص التي قدمت لهم للسلام معها، وأنها مجرد دولة صغيرة وضعيفة يتهددها الأعداء من كل جانب للقضاء عليها بسبب انتمائها للغرب وتبينها الديمقراطية والحداثة.

في هذا السياق لا تبدو أسطورة التحرر الوطني مقنعة البتة، فإسرائيل أصلا قامت بفضل وعد بلفور البريطاني، وبدعم الدول الاستعمارية آنذاك، ثم أن الحركة الصهيونية جلبت اليهود عبر الهجرة (وعمليات الترغيب) في ظل الانتداب البريطاني. والمعروف أن حكومة الانتداب هذه شجعت على تنمية المؤسسات التمثيلية والخدمية لمجتمع المستوطنين اليهود في "اليشوف"، كما شجعت على تنمية مؤسساتهم السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، كتمهيد لإقامة كيان بمعنى الكلمة لهم، ما يفيد أن حركة التحرر المزعومة هذه (الصهيونية) وجدت قبل وجود التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين.

المعنى من ذلك أن إسرائيل نشأت بصورة مصطنعة، وقسرية (إزاء غيرها)، فهي لم تنشأ بصورة طبيعية وعبر مسار تاريخي تدرجي، وهي ليست نتاجا للتطور الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي لمجتمع المستوطنين اليهود، بقدر ما هي نتاج لتضافر إرادة سياسية جسدتها الحركة الصهيونية ومؤسساتها، مع المعطيات الدولية (إرادة الدول الاستعمارية الكبرى خاصة بريطانيا ثم الولايات المتحدة) التي كانت سائدة في النصف الأول من القرن العشرين؛ والتي تواطأت بشكل غير مباشر مع هشاشة الأوضاع في المنطقة العربية.

أما بالنسبة لهزيمة الدول العربية في حرب 48 فهي أسطورة أخرى، تسعى من ورائها إسرائيل لتعظيم قدراتها من ناحية، ولإظهار نفسها بصورة الضحية التي يحيط بها الأعداء.

وفي الواقع فإنه من الصعب الحديث عن حرب جيوش بمعنى الكلمة، فالدول العربية، حينها كانت نالت استقلالها للتو، وبالكاد كان لديها جيوش في ذلك الوقت. وللعلم فإن أفراد هذه الجيوش (التي لم تكن موحدة) لم يتجاوز الأربعين ألفا، في حين أن القوات الصهيونية التي جرى توحيدها بلغ عديدها زهاء 90 ألفا، من حوالي 700 ألف مستوطن؛ من دون أن نتحدث عن الفارق الكبير لصالح القوات العسكرية الصهيونية لجهة العتاد والإدارة.

وطوال أكثر من نصف قرن من الزمن ظلت إسرائيل تتبجح بأسطورة أنها دولة محاصرة وأن العرب يريدون القضاء عليها ورميها في البحر، في حين أنها هي التي كانت تعتدي على العرب وتحتل أراضيهم. ثم أنها تعتبر أقوى دولة في المنطقة من الناحية العسكرية، لاسيما أنها تحتكر التسلح النووي، وتتمتع بضمانة أكبر دولة في العالم لأمنها ولتفوقها الاقتصادية والتكنولوجي والعسكري .

يبقى أن إسرائيل تحاول دائما التسلي بأسطورة أن العرب يتحملون المسؤولية عن كل ما يجري، من صراعات وحروب، بدعوى أنهم يضيعوا فرصة تلو الأخرى. في حين أن إسرائيل عملت منذ العام 1948 على انتهاك قرار التقسيم، باحتلال جزء من أراضي فلسطين المخصصة للدولة العربية المقترحة، ثم أنها حالت (مع عوامل أخرى) دون تمكين الفلسطينيين من السيادة على الأراضي التي بقيت لهم) الضفة والقطاع)، وتملصت من مجمل قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية. وإسرائيل هذه عملت على تقويض عملية التسوية التي انطلقت من مؤتمر مدريد (1991) وهي المسؤولة عن انهيار

اتفاق اوسلو (1993)، ثم أنها هي التي رفضت المبادرة العربية للسلام (مارس 2002) التي أقرتها قمة بيروت، وجدد لها في قمة الرياض (2007(، وهي التي عملت على التملص من خطة خريطة الطريق التي تدعمها إدارة بوش .

واضح أن إسرائيل ستظل تواصل نهجها في فبركة الأساطير، وهي تشتغل على ذلك بدأب وبجاحة منقطعة النظير. ولعل أكثر ما يثير السخرية، والمرارة أيضا، ادعاء إسرائيل أنها ضحية! وأن الفلسطينيين الذين تحتل أراضيهم وتغتصب حقوقهم وحياتهم ومستقبلهم هم المسؤولون عن ممارساتها القمعية ضدهم، وهم الذين يتحملون وزر التشوهات الأخلاقية التي تلحق بها!

من كل ذلك يبدو أنه ثمة أهمية كبيرة لتفنيد وتعرية الأساطير الإسرائيلية، ونزع القناع الأخلاقي والحضاري الذي تحاول إسرائيل أن تتلطى خلفه، وإظهارها على حقيقتها باعتبارها مجرد ظاهرة استعمارية عنصرية استيطانية، وأخر الظواهر الاستعمارية الباقية من القرن العشرين (الماضي).

المهدي الموعود.في عقيدة الشيعة واليهود

يقيم الشيعة الاثنا عشرية كل عام احتفالات ما يسمى "بولادة إمام الزمان"، الملقب بالمهدي المنتظر. والمنتظر هو الإمام الثاني عشر الغائب عند هذه الفرقة التي تشكل قصة المهدي محور عقيدتها، التي تعد المرتاب فيها خارجًا عن المذهب والدين المبين

وهذه الأسطورة الخرافية، شأنها كسائر الأساطير والخرافات التي توجد لدى الكثير من الفرق الدينية في العالم، والتي تحولت مع مرور الزمان كعقائد ثابتة لدى هذه الفرق.

قد بلغ الأمر برجال الدين الشيعة مبلغًا دفعهم لإعطاء مهديهم المزعوم، أو ما يسمى في أدبياتهم العامة، بإمام الزمان، مكانة تعلو مكانة الأنبياء وخصوصًا نبي الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما صرح به علانية روح الله الخميني الهندي في خطبته التي ألقاها في يوم السبت 15/ 8/ 1400هـ الموافق لـ28/6/1980 م، في طهران بمناسبة الخامس ع شر من شعبان ذكرى ولادة المهدي المنتظر، قال فيها: إن قضية غيبة الإمام هي قضية مهمة تبين لنا أمورًا من بينها: أنه لم يكن لإنجاز عمل عظيم كهذا – وهو تطبيق العدالة بمعناها الحقيقي في العالم بأسره – في جميع بني الإنسان أحد سوى المهدي المنتظر سلام الله عليه، الذي ادخره الله تبارك وتعالى للبشر. فكل نبي من الأنبياء إنما جاء لإقامة العدل وكان هدفه هو تطبيقه العدالة في العالم، لكنه لم ينجح، وخاتم الأنبياء نبينا) صلى الله عليه وسلم) الذي كان قد جاء لإصلاح البشر وتهذيبهم وتطبيق العدالة، فإنه هو أيضًا لم يوفق، وإن من سينجح بكل معنى الكلمة ويطبق العدالة في جميع أرجاء العالم هو المهدي المنتظر. (كتاب مختارات من أحاديث وخطابات الإمام الخميني صفحة(42) ويصر الشيعة على وجود إمامهم الغائب معتبرين غيبته أمرًا إلهيًا، مستدلين على ذلك ببعض الأحاديث التي وردت بشأن المهدي الموعود، على الرغم من أن هذه الأحاديث ليس لها أية علاقة "بإمام الزمان" المزعوم التي اتخذه رجال الدين الشيعة وسيلة لتضليل البلهاء من أتباعهم ,فالأحاديث الواردة تشير إلى مصلح من ذرية الرسول والذي سوف يعمل بدين الإسلام لا أن يأتي بدين جديد كما تدعيه الكتب الشيعية .

وقد وردت تلك الأحاديث عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه والحاكم والطبراني وغيرهم. ولكن اختلف العلماء إذا ما كانت هي من قسم المتواتر أم لا فقد ذهب بعضهم

إلى أنها كذلك، وذهب آخرون إلى أنها لم تبلغ حد التواتر، وأن بعضًا من شروط المتواتر لا تنطبق عليها، فلا يقطع بثبوتها، ويقولون: إن دعاوى التواتر ما أكثرها، لكنها لا تثبت عند التدقيق والتحقيق، ويذهب فريق ثالث إلى إنكارها رأسًا، معتمدًا على بعض الدلائل العقلية والنقلية. ولكن الأهم من ذلك كله هو أن القرآن الكريم لم يخبر عن هذا المهدي المزعوم، إلا أن رجال الدين الشيعة ومن خلال تحريف الآيات باسم التأويل، والذي هو في حقيقة الأمر نوع من أنواع محاربة القرآن، يحاولون زورًا إثبات هذه الأسطورية الخرافية.

ومن الاستدلالات الشيعية على نظرية وجود المهدي الغائب الادعاء بوجود السفراء الأربعة الذين يقال: إن المهدي وكّلهم تباعًا ليكونوا صلة الوصل بينه وبين الشيعة، ومهمة هؤلاء السفراء كانت تتلخص بجمع الأموال والإجابة على الأسئلة الفقهية. وإذا ما تمعن الباحث في قصة "إمام الزمان أو المهدي الغائب" الشيعية، وأسطورة المسيح اليهودي الموعود، سوف يتبن له بوضوح أن فكرة إمام الزمان الشيعية ليست سوى نسخة أخرى من أسطورة المسيح اليهودي المنتظر. ويتبين ذلك التماثل من خلال النقاط التالية :

1) **تقول الرواية اليهودية:** إن المسيح المزعوم بعد أن يظهر يقوم بتجميع يهود العالم في القدس. وتقول الرواية الشيعة: حين يظهر إمام الزمان يقوم بجمع الشيعة في مسجد الكوفة .

2) **تزعم الرواية اليهودية**، عند ظهور المسيح يخرج الموتى من قبورهم ويلتحقوا بجيشه. وهكذا الأمر بالنسبة لإمام الزمان الشيعة، فعند ظهوره يقوم بإحياء موتى الشيعة ليلتحقوا بجيشه .

3) **يقوم مسيح اليهود** المزعوم بإخراج جثث المذنبين من قبورهم ليشهد اليهود تعذيبهم. وهكذا يعمل إمام زمان الشيعة؛ فهو يقوم بإخراج جثث صحابة النبي (أبي بكر وعمر) من قبورهم ويبدأ بتعذيبهم ويحرق مسجد النبوي. (بحار المجلسي 52/ 386 ودلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري ص242، والرجعة: الإحسائي ص186-187 .

4) **المسيح المزعوم** يقوم بمحاكمة جميع الذين اضطهدوا اليهود وظلموهم. وهذا ما يفعله إمام زمان الشيعة؛ فهو أيضًا يحاكم ويقتص من جميع الذين اضطهدوا الشيعة .

5) **مسيح اليهود المزعوم** عند ظهوره يقتل ثلثي العالم، ومهدي الشيعة المزعوم يقوم بقتل ثلثي العالم أيضًا .

6) **عند خروج المسيح المزعوم** تتغير أجسام اليهود وتطول أعمارهم. (التلمود وتاريخه: ظفر الإسلام خان ص60). وعند ظهور القائم (المهدي) تتغير أجسام الأمامية وتصبح قوة الواحد منهم تعادل قوة أربعين رجلاً (روضة الكافي، الكلينى 8/ 241، وبحار المجلسي 52/ 317 .

7) **حين ظهور المسيح اليهودي** تنتشر الخيرات والنعماء في الأرض، ويسيل من الجبال لبن وعسل، ويخرج الحرير من الأرض! وعندما يظهر المهدي يجري في مدينة الكوفة نهر من لبن يشرب منه شيعته .

ومن الدلائل الأخرى التي تثبت ترابط هاتين القصتين "اليهودية والشيعية" ببعضهما هي كثرة الروايات الواردة في كتب الشيعة التي تأكد أنها ترجمة حرفية للنسخة اليهودية، ومنها على سبيل المثال :

1) حين يخرج المهدي يناجي الله باللغة العبرية وليس العربية !

2) يفتح المدن بالتابوت اليهودي وبيده عصى موسى، ويقوم بتوزيع المن والسلوى .

3) يحكم بين الناس بحكم آل داود، وليس بحكم القرآن! (الكافي ص156) ولم تنس الروايات الشيعية أن تساوي بين أرقام عدد الذين يقتلون على يد المسيح اليهودي المزعوم وعدد من يقتلون على يد مهدي الشيعة المنتظر .

وقد استندت الأسطورة الخرافية الشيعية إلى مبررات دينية اعتقادًا منها أن ذلك يحصنها من النقد والتجريح ,متناسية أن الإسلام وقف ليعلن مسبقًا بأنه لا توجد علاقة بين الأسطورة والدين. فقد حدثنا القرآن الكريم عن ذلك في سورة الفرقان الآية 5: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً}، أي هناك اتهام بأن ما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أسطورة، وهذا ما يعطي دلالة فكرية على التمايز ما بين الوحي الأسطورة ,وفيها تقرير على أن العربي يعرف ما هي الأسطورة وما هو الوحي، لذلك كان جواب الرحمن مباشر لهم بقوله تعالى: {قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً} [الفرقان آية 6.

وجاءت السنة النبوية لترفع اللبس وتحدد المسار؛ في مسند الإمام أحمد بن حنبل إصدار القطر المصري صفحة 281، ذكر الحديث التالي (عن عائشة أم المؤمنين قالت: حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ذات ليلة، فقالت امرأة: يا رسول الله، كأن الحديث حديث خرافة، فقال: أتدرون ما الخرافة، إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية، فمكث فيهن دهرًا طويلاً ثم ردوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة). وعند هذا الحديث يعطي رسول الله الفاصل ما بين الدين من يقين وبين فعل هو أدنى من الدين ومتعلق بالجن وعالم أرواح

سفلي، ومن هذا الحديث نستنتج أن الخرافة عمل خارق خراج نطاق البشر، إلا أنه غير إلهي، وليست أفعال القائم بها أفعال إلهية .

ومن هذا الحديث يخرج رسول الله الدين ويحرره من سطوة الخرافة، كما أخرج القرآن الدين من سطوة الأسطورة. وفي حديث روي في الصحاح الستة عن حادثة وفاة إبراهيم عليه السلام ابن ماريا القبطية زوج رسول الله، أن في هذا اليوم حدث خسوف وكسوف كظاهرتين طبيعيتين في الكون، وقد تطاير أصحاب رسول الله من الحدث واعتبروها نذير شؤم بسبب الوفاة، فوقف رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال كلمته المشهودة: (اعلموا أن الشمس والقمر لا يخسفان ولا يكسفان لموت أحد)، وبهذا الجواب العلمي أخرج رسول الله الحوادث البشرية وأعطاها حجمها الطبيعي دون غلو ودون تصورات خرافية أو مسحة أسطورية لقداسة لأحد أبنائه .

إن الإسلام موطنه العقل ومرجعيته العقل، لذلك فالإنسان في معتقدنا كمسلمين يُسأل: من هو ربك ومن هو نبيك وما هي قبلتك وما هو كتابك، هي أسئلة ذات بعد يقيني أساسها العقل، وإن كان الاعتقاد بغيب إلا أنه غيب مبني على اليقين وليس على مجموع قصص مبنية على الأسطورة تفرغ العقل من فاعليته، كما هو الحال عند رجال الدين الشيعة الاثني عشرية وخصوصًا ما يتعلق منها بعقيدة المهدي الموعود .

فلو رفع الغطاء عن أسطورة الخروج الإعجازية لشخصية المهدي، وتم تجاوز التكوين الإلهي للإمامة كونها فعلاً خارجًا عن إرادة البشر كما يراها الشيعة، والتي تعتقد أنها عملية تكوينية والإمام في رحم أمه ولا دخل له بالاختيار، لذا فهو إمام مسبق، وهو يحمل من الصفات ما تحمله النبوة إلا الوحي المنزل، وهو يشكل "محور العقيدة الشيعية، والمرتاب في هذا الأمر يعد خارج الطائفة والدين" حسب ما يؤكده محمد تقي المدرسي أحد

مراجع الشيعة الإيرانيين المقيم في كربلاء العراقية في رده على الأستاذ أحمد الكتب الذي شكك في الرواية الشيعية لقصة المهدي .

ولو تم تجريد وإلغاء المسحة الأسطورية للإمام من التفكير الجمعي لدى الشيعة، لكان يمكن اعتبار المدرسة الأمامية هي اجتهاد فقهي حالها كحال أي مدرسة فقهية أخرى .

خلاصة القول: إن الإسلام يبرأ من كل هذه التصورات الأسطورية والمبالغ بها التي تعطى للرموز الدينية، فقد كان أئمتنا الكرام يسلم الأمانة وينتقل إلى الرفيق الأعلى وهو لا يعلم أهو إمام أم هو من عوام الناس، ولكن ذهبت الناس مذاهب شتى في الغلو والإضافات وحملوهم ما لا يطيقون، ومن أشد الآفات على الإسلام هذا الغلو في العقيدة الشيعية والتي تحولت إلى وبال على الإسلام، ومن هذه الأجواء إذا أضفت لها عوامل سياسية واقتصادية، ودول تحرك وأخرى تهدم ستعلم أن الإسلام بريء من كل ذلك، فقد قالها رسول الله: ((من قال لا إله إلا الله مؤمنًا محتسبًا أدخله الله الجنة))، والناس تثقل على الإسلام حتى بدا الإسلام ثقيلاً على أهله.

قلعة ماسادا اليهودية.. الأسطورة والوهم

ان ظاهرة العنف قتلا للنفس واقتلاعا من الوطن وتدميرا للعمران بحسب هيثم كيلاني ليست بجديدة على الصهيونية، فقد أعادت كتابة التاريخ اليهودي وفسرته على أنه تاريخ فرادة وتفوق واستكبار، وهذه النظرة في كتابة التاريخ وتفسيره هي التي تربط بين "أسطورة ماسادا" و"مرج الزهور" حيث نفي الفلسطينيون من وطنهم. إن خيطا سلوكيا أخلاقيا يمتد من قلعة ماسادا في العام 73م إلى مرج الزهور في العام 1993م.

تروي "الموسوعة اليهودية" قصة ماسادا بجوهرها الأسطوري، محاولة أن تفرغها في مفهوم الخرافة وأسسها، باللجوء إلى البحوث التاريخية والاكتشافات الأثرية والتنقيب في التراث اليهودي.

تقول الموسوعة إن ماسادا تقع على قمة صخرة عالية منعزلة على طرف الصحراء ووادي البحر الميت، وتبعد عن هذا البحر نحو 25 كلم، وتنحدر الصخرة في سفحها الشرقي انحدارا حادا يبلغ نحو 400 متر مقابل البحر الميت، ويبلغ ارتفاع الصخرة عن سطح البحر نحو مائة متر، وطول قمتها نحو 600 متر وعرضها نحو 300 متر، ويصل إليها الإنسان بممر جد متعرج اسمه "ممر الثعبان" وبممر آخر اسمه "الصخرة البيضاء".

والمصدر الوحيد للمعلومات عن ماسادا أسطورة وخرافة، جغرافيا وتاريخيا، هو كتابات يوسيفوس، يقول يوسيفوس هذا إن ماسادا كانت في الأصل محصنة، وتقول الموسوعة إن هيرود "ملك اليهود الذي نصبه الرومان على القدس" حول صخرة ماسادا إلى قلعة حصينة بين عام 37 وعام 31 قبل الميلاد، وهنا تنقطع المعلومات عن ماسادا بعد موت هيرود - والرواية دائما للموسوعة اليهودية - ويحتمل أن تكون حامية رومانية أقامت في القلعة من عام 6 إلى عام 66 بعد الميلاد.

اندلعت حرب بين اليهود أنفسهم فهرب مناحيم بن يهودا الجليلي من القدس ومعه جماعة من القنائين وهاجم القلعة واحتلها بالحيلة والخداع، وبعد أن قتل مناحيم هذا التحق ابن أخيه واسمه إليعازر بالقلعة، وأصبح قائدا لحاميتها حتى سقوطها عام 73 بعد الميلاد، وخلال هذه الفترة كان بعض القنائين يلتحقون بالقلعة حتى بلغ عددهم 960 رجلا وامرأة وطفلا.

في عام 72 بعد الميلاد سار الحاكم الروماني فلافيوس سيلفا إلى ماسادا آخر قلعة للقنائين على رأس الفرقة العاشرة وبعض القطعات المساعدة، وآلاف من أسرى الحرب اليهود، وبعد حصار طويل فتح سيلفا ثغرة في سور ماسادا، وبدأ إليعازر يقنع أتباعه بأن ينتحروا فيقتل بعضهم بعضا، وهكذا حتى يفنوا جميعا، فذلك خير من أن يقعوا بين أيدي الرومان، وقد أطال يوسيفوس في وصف الساعات المأساوية الأخيرة لماسادا: خطاب إليعازر وانتحار 960 رجلا وامرأة وطفلا، وحرق الأبنية ومخازن الأغذية.

وتقول الموسوعة في ختام روايتها "الأسطورة/ الخرافة" إن المؤرخ يوسيفوس أخذ الحكاية كلها عن امرأتين اختفتا في كهف مع خمسة أطفال، فلم يشتركوا في "الانتحار الجماعي".

وبعد يوسيفوس جاء مؤرخ صهيوني معاصر هو الجنرال ييغال يادين، فأصدر كتابا في عام 1966 هدف فيه إلى جعل الأسطورة/ الخرافة لماسادا، حقيقة تاريخية، إذ أجرى في القلعة حفريات أثرية ورسم لها خرائط ومخططات وأعاد بناء بعض البيوت والمرافق.

هذا ما روته "الموسوعة اليهودية" عن ماسادا، وليست هذه الحكاية، إذا ما عرضت للتحليل التاريخي والنفسي وتحت ضوء خصائص العقيدة الصهيونية سوى أحد إفرازات الفكر الصهيوني وهو فكر مغرق في معاداته للتاريخ، وحينما يقرأ الصهيونيون التاريخ يحولونه كما فعلوا بماسادا، إلى أسطورة تضم تفصيلات يبدو عليها أنها بسيطة ومحايدة ولكنها تخدم هوى صانعيها، ولعل قراءة الصهيونية لتاريخ فلسطين على أنها أرض خالية من السكان تنتظر ساكنيها الأصليين من اليهود، "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" أكبر مثل على ذلك، وهكذا يختفي الشعب الفلسطيني بكامله من القراءة الصهيونية للتاريخ، ويصبح من "الأغيار" أو من "غير اليهود" على حد تعبير وعد بلفور، ويصبح بضع المئات من اليهود الذين سكنوا فلسطين لأسباب دينية محض "الشعب" الذي يجب أن يسكن فلسطين لأنه صاحب "الحق" بالسكنى والأرض.

هكذا تزور الصهيونية التاريخ وفي إطار هذا التزوير تنطوي حكاية ماسادا، لتغدو مثلا تقليديا على تزييف التاريخ وتسخيره لخدمة الرؤية الصهيونية، فقد حول المؤرخون الصهيونيون هذه الحكاية/ الخرافة إلى أسطورة، ثم أحاطوها بالهالات الصوفية وجعلوا منها رمزا "للشعب" الذي يفضل النضال والانتحار على الاستسلام، فأصبحت ماسادا بذلك تجسيدا لفكرة "الشعب الواحد" الذي يختار دائما أن يعيش منفصلا، فإذا مست مقدساته القومية فإنه يثور ثورة عارمة لا تبقي على أحد حتى ولا عليه ذاته. وتسهم إسرائيل في إشاعة هذه التصورات الرومانتيكية عن "الذات اليهودية" فتقوم أسلحة الجيش الإسرائيلي بترديد يمين الولاء على قمة ماسادا، ويقسم الجنود الجدد أن الماسادا لن تسقط ثانية، كما تنظم السلطات المختصة دورات سياحية لليهود والسائحين وطلاب المدارس

الإسرائيليين وتدخل زيارة ماسادا في برنامج زيارات الزعماء الأجانب الذين يزورون إسرائيل، وفي عام 1969 أعادت إسرائيل "دفن المنتحرين" وفق مراسم الدفن اليهودية إمعانا في تعميق جذور الأسطورة الخرافة في "الوجدان اليهودي"، أسطورة "الشعب" الذي يفضل الانتحار على الاندماج والتعايش.

وإذا ما نظرنا إلى أسطورة ماسادا نظرة فاحصة متأنية ظهر لنا أن المؤرخين الصهيونيين أخرجوها من مساقها التاريخي، فأخفوا مجموعة من التفصيلات التي لا تلائم رؤيتهم المثالية العنصرية، فالثورة اليهودية التي تشكل الخلفية التاريخية الاجتماعية لأسطورة ماسادا لم تكن ثورة "قومية" كما تدعي الكتابات الصهيونية، وإنما كانت حركة اجتماعية جاءت تعبيرا عن شقاء فقراء اليهود ضد أثريائهم المتعاونين مع روما، الذين كانوا يحكمون فلسطين لصالح الإمبراطورية الرومانية ولخدمة مصالحهم الشخصية وثرائهم، والذين كانوا يحاربون مع الرومان جنبا إلى جنب.. وقد استمر الصراع الطبقي بعد ازدياد استغلال الرومان لمستعمراتهم في الشرق، فتكون تحالف بين بعض الفئات اليهودية الفقيرة المضطهدة، وكان القناءون عصب الحركة لأنهم كانوا سواد اليهود الفقراء، وقد بلغ الصراع الطبقي حدا دفع القنائين إلى قتل عدد من الأثرياء اليهود.

والقناءون إحدى الفرق اليهودية تشكلت في فترة ظهور المسيح عليه السلام وتزعمها يهودا الجليلي عام 6 قبل الميلاد، لحث اليهود على رفض الخضوع لسلطان روما، وقد تبعته في حركته الجماهير اليهودية التي أفقرها، كما ذكرنا، حكم أثرياء اليهود المتعاونين مع الرومان، ويتسم فكر القنائين بأنه فكر شعبي مشبع بالأساطير والخرافات، ويرى بعض المؤرخين أن هذه الفرقة مجموعة من المتعصبين الذين لجأوا إلى القيام بأعمال الاغتيال والفوضى ضد الرومان وضد اليهود أنفسهم، وكانوا يرتكبون جرائمهم علنا في

الطرق ويمارسون أعمال النهب واللصوصية والفتك، ولهذا فقد أطلق عليهم "السفاكون" ومن أجل هذا يعد المؤرخون هذه الفرقة ضمن الفرق السياسية أو فرق العصابات.

تشويه الوقائع

أسقط المؤرخون الصهيونيون من أسطورة ماسادا هذا البعد الاجتماعي الذي يشكل قاعدة الحركة ومنطلقها، وبذلوا الجهد لكي يحولوا الصراع الذي انتهى في ماسادا من صراع اجتماعي داخل الفئات اليهودية إلى صراع أزلي بين اليهود و"الأغيار"، وهكذا ارتسم معلم جديد لمعالم هذا الصراع القومي بين هذين القسمين من البشر، يمتد إلى الأبد ويبلغ أقصى درجات العنصرية والشوفينية والتمييز العنصري.

وإضافة إلى هذا الفصل الواضح المقصود لأسطورة ماسادا عن مسار التاريخ، ركز المؤرخون الصهيونيون على محور يؤدي في نهاية المطاف إلى تغيير موضع الواقعة من التاريخ وفرض اتجاه أزلي محدد ومعنى متميز على التاريخ، فالكتابات الصهيونية التي أرخت لماسادا قدمتها على أن ما حدث في ماسادا هو القاعدة وليس الاستثناء، وينهار هذا المحور في إطار الحكاية ذاتها، فماسادا لم تكن سوى قلعة واحدة ضمن ثلاث قلاع أخرى كانت تشكل القلاع الأخيرة التي التجأ إليها القناءون، وكان الهجوم الروماني عليها جميعها بالتتالي، فقد سقطت القلعة الأولى "هيروديام" دون مقاومة، واستسلمت الثانية "مكاريوس" بعد مقاومة بسيطة، وقد تم استسلام المحاربين في هاتين القلعتين بعد أن وعدهم الرومان بالسلام والأمان، ولم تنتحر إلا ماسادا. فجعلها المؤرخون الصهيونيون بعد أن فصلوها عن مسارها التاريخي، وبعد أن فصلوها عن المواقع الجغرافية المجاورة، القاعدة، وأسقطوا ما حدث في القلعتين المستسلمتين الأخريين.

وقد نتساءل هنا: لماذا لم تستسلم ماسادا كما فعلت القلعتان الأخريان، ولا يجيب المؤرخون الصهيونيون عن هذا التساؤل فقد أشرنا - نقلا عن الموسوعة اليهودية - إلى أن اليهود كانوا قد استولوا على ماسادا عام 66 بعد الميلاد بالحيلة والخداع، وتنطوي هذه الحيلة على إعطاء الحامية الرومانية الأمن والسلام، وبعد أن استسلم الرومان أبادهم اليهود عن بكرة أبيهم، وبخاصة أن هذه الفئة من اليهود كانت تضم مجموعة كبيرة من الشحاذين وقطاع الطرق ورجال العصابات، ولقد خشي يهود ماسادا أن يلقوا من المهاجمين الرومان المصير ذاته الذي لقيته الحامية الرومانية في ماسادا قبل سبعة أعوام، فآثروا الانتحار على الموت قتلا بيد الرومان، وليس مستبعدا أيضاً أن يكون القائد الروماني سيلفا قام بذبح يهود ماسادا بعد استسلامهم ثأرا لمذبحة عام 66 بعد الميلاد ولكن المؤرخ اليهودي يوسيفوس وهو المصدر الوحيد لحادثة ماسادا، حول المذبحة إلى انتحار جماعي قومي، وهكذا نجد أن إغفال تفصيلات "الحيلة" يحسن من صورة اليهود في التاريخ، ويجعل "الانتحار اليهودي" واقعة أزلية تشكل محور التاريخ اليهودي.

وإذ فصل المؤرخون الصهيونيون ماسادا عن التاريخ ومساره وقوانينه، أهملوا أية إشارة إلى موقعها من الاحتلال الروماني لفلسطين، فالتاريخ يذكر أن القائد الروماني تيتوس رحل عن فلسطين بعد أن أخمد الانتفاضة اليهودية، وترك موضوع تصفية القلاع الثلاث ومنها ماسادا إلى الحاكم الروماني في فلسطين، فضرب هذا حصارا حول القلعة لمدة ست سنوات ثم اقتحمها بعد أن اخترق أسوارها، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن الانتفاضة اليهودية كحدث لم تكن مصدر قلق للإمبراطورية الرومانية، وأن الانتفاضة ذاتها لم تكن ذات خطورة على كيان الإمبراطورية، حق لنا أن نستنتج أن حادثة ماسادا حشرت في التاريخ اليهودي حشرا وركب معظم أجزائها تركيبا مصطنعا، أدى في نهاية

الأمر إلى فصلها عن مسار التاريخ، وكان هذا الفصل نتيجة حتمية لتكوين الحادثة واصطناعها.

تقويم مصدر الأسطورة

ومن أبرز وقائع التزوير والاصطناع في أسطورة ماسادا، ، إغفال الكتابات الصهيونية ذكر حقيقة أن هناك مصدرا وحيدا للأسطورة، وهذا المصدر مشكوك ومطعون فيه، وهو كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس "38- 100 بعد الميلاد".

وتاريخ حياة يوسيفوس يلقي ضوءا على أسطورة ماسادا التي انفرد بها وحده في الدنيا ودون مؤرخي عصره فقد كان بلا ضمير وخان قومه حين سلم للرومان عام 66م المنطقة التي كان يحكمها، وهرب إلى روما حيث بدأ يكتب تاريخه، وحاول في كتابه أن يلتمس الأعذار لانشقاقه عن بني جلدته ويرد عن نفسه تهمة الخيانة التي ألصقت به، وقد صور الحرب اليهودية ضد الرومان على أنها من صنع بعض المهووسين القنائين، أي أنها حرب لم يردها اليهود قط وإنما فرضت عليهم فرضا من قبل جماعة من اللصوص لم تترك إثما إلا اقترفته، على حد قوله، وقد وصفت الموسوعة اليهودية هذا المؤرخ بأنه لا يعتد به كمؤرخ، فطموحه كان أساسا طموحا أدبيا كما وصفت كتبه بأنها ذات قيمة أدبية بالدرجة الأولى.

وبالرغم من كل هذه الشكوك التي تحيط بيوسيفوس من النواحي الأخلاقية والنفسية والعلمية، استندت الصهيونية إلى روايته كمصدر وحيد لتخلق أسطورة ماسادا، ومن ثم عقدة ماسادا. لقد ركز يوسيفوس على التفصيلات الدقيقة، حتى يزيد من استمتاع القارئ بهذا العمل الأدبي، وليمكنه من معايشة التجربة المثيرة قدر المستطاع،

وجعل يوسيفوس من شخصية إليعازر قائد اليهود المحاصرين، شخصية بطولية خارقة، فهو أول من توصل لفكرة الانتحار وشخصيته كما رسمها يوسيفوس ذات أبعاد خرافية تشبه شخصية شمشون الجبار وأنبياء العهد القديم.

سجل يوسيفوس خطبة إليعازر الطويلة وفيها يطلب أن يقتل الأطفال أولا ثم الزوجات، ثم "يقتل الواحد منا الآخر ولكن قبل كل شيء فلنتلف نقودنا وقلعتنا بالنيران حتى يخفق الرومان في الإمساك بأجسادنا أو الاستيلاء على أموالنا، مما سيدخل على قلوبهم الحزن".

وتصل الأحداث المثيرة في حكاية يوسيفوس إلى قمتها في المشهد الأخير، حينما ينظر آخر الأحياء في مسادا إلى جميع الجثث ليتأكد من أن جميع اليهود وعددهم 960 قد ماتوا وحينما يتأكد من ذلك يضرم النار في القصر، ثم يغمد سيفه في جسده ويخر صريعا إلى جوار المنتحرين الآخرين.

ويلتقي يوسيفوس إحدى قريبات إليعازر، وهي المرأة التي اختبأت في كهف ومعها امرأة عجوز وثلاثة أطفال، فينقل عن هذه المرأة الخطبة بكاملها، على أنها حفظتها على طولها، عن ظهر قلبه، وتروي له هذه المرأة وكانت مختبئة مسلسل المشاهد بدقة وتفصيل وكأننا أمام فيلم سينمائي أنفقت على إخراجه أموال طائلة وحشد له أشهر الممثلين والمخرجين والمصورين.

سقوط الأسطورة

هكذا يتبين لنا أننا لا نتعامل مع واقع تاريخي وإنما نتعامل مع عالم أدبي أسطوري خرافي فقد كتبت الباحثة اليهودية ويبسي روز مارين "جريدة جويش بوست 24/ 8/

1973 " أن نتائج دراستها تؤكد أن ماسادا محض خرافة وأسطورة، وأنه لا يمكن التدليل على سلامة الاكتشافات الأثرية "وهي اكتشافات الجنرال يادين" التي تستند إليها هذه القصة.

ولعل تاريخ حياة إليعازر هذا يلقي ضوءا على تركيب الأسطورة فقد كان إليعازر- كما جاء في كتابات يوسيفوس نفسه - أحد خوارج ثلاثة كانوا سببا في خراب القدس، ووصفه يوسيفوس بأنه كان "جبارا فاتكا داعرا حراميا" وأن جماعة انضمت إليه من "الحرامية" وأهل الشر، فكانوا يمضون إلى الشمال فيقتلون وينهبون ويعودون ثم صاروا يفعلون ذلك في مدن اليهود.

تلقفت الحركة الصهيونية أسطورة ماسادا ودفعت بها إلى أقصى حدود التقديس والإجلال، والتعميم والترسيخ، ورفعتها إلى ذروة المثالية والفداء والتضحية، وعنف المقاومة، والصبر على الشدائد حتى الموت، والإخلاص "لقومية الشعب اليهودي" وتفرده بين شعوب العالم.

لقد قرر إليعازر فرض ماسادا فرضا لأنه كما يقول يوسيفوس لم يفر "ولم يسمح لأحد بالفرار" وعلى هذا فقد فرض إليعازر الانتحار على فئة من يهود القلعة كانت تريد الفرار أو الاستسلام، وجعل إليعازر - بقراره هذا - يهود ماسادا محور التاريخ مدعيا معرفته بإرادة الله..

ثم جاءت الحركة الصهيونية من بعد وادعت لنفسها مثل إليعازر محورية تاريخية فهي تقف ضد مسار التاريخ وتفرض على اليهود - مثل ما فرض إليعازر على أهل القلعة الانتحار - تصوراتها بخصوص ما تسميه بالشخصية اليهودية الانتحارية، ثم تلقي بالإسرائيليين في أتون الحروب والمعارك، المرة تلو المرة، مدعية أن "الوطن اليهودي" هو

الوطن الأسمى في العالم، وأن "الشعب اليهودي" هو الشعب الذي لا يرقى إليه أي شعب في التاريخ، قديمه وحديثه.

وحتى لا تسقط ماسادا ثانية دعت الصهيونية يهود العالم جميعهم إلى الهجرة إلى "ماسادا - فلسطين" ولم تدخر أي أسلوب ولو كان إجراميا من أجل تنفيذ هذه الدعوة.

لقد عبرت المجموعة اليهودية عن نفسيتها ونزعتها الانتحارية في أسطورة ماسادا، وكانت هذه الأسطورة وليدة تصور المجموعة اليهودية نفسها أنها "شعب الله المختار" وأنها "متفردة" و"حالة غير عادية" في التاريخ، وأنها "خالدة إلى الأبد" وأنها "وحيدة" في الوجود بصفاتها وعناصرها، ولذلك فهي "معزولة" عن العالم، وأن العالم "الأغيار" معاد لها، وليس لها إلا أن تسيطر عليه وتقوده في مصيره، وتجعله في خدمتها إلى الأبد.

ومن خلال هذه العقدة "عقدة ماسادا" يمكننا تفسير سلوك إسرائيل في احتلال الأرض والتوسع فيها وهدر فرص السلام، وتنكب السلاح إلى الأبد وامتطاء مركب "القتال والحرب" وقتل الأطفال وإبادة الشعب الفلسطيني، وطرده من وطنه، وسعيها إلى فرض إرادتها على ما حولها من أقاليم ودول.

العقيدة اليهودية وثنية قامت على الخرافة

يقول البروفيسور (إلس روفكن) في كتابه "صياغة التاريخ اليهودي": "أن فكرة التوحيد وتطبيقها لدى اليهود، لم ترتكز على أسس دينية أو روحية بقدر ما ارتكزت على ضرورات سياسية واقتصادية". ويكشف أنها عقيدة وثنية تؤمن بتعدد الآلهة، قائلاً: "ظهرت فكرة التوحيد لدى اليهود ورسخت بناء على مقتضيات معينة تاريخها محدد بدقة، وهو تاريخ الكتبة والفريسيين في بابل، أي حوالي العام 400 قبل الميلاد، وهي الفترة التي "ألفوا"

فيها الأسفار الخمسة الأولى من التوراة. ومن هؤلاء المشككين من يعتمد على برهان لغوي ظريف، إذ أن أول كلمة كتبت من قبل الفريسيين هي "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين 1:1)، وفي النص العبري (في البدء خلقت الآلهة السماوات والأرض)، وفيما يلي ذلك، وبناء على استنتاج البروفيسور رفكن، اعتمد الكتبة صفة المفرد عوضاً عن الجمع لوصف الإله".

أما الفكرة المنتشرة والشائعة عند المؤرخين وعلماء الآثار من مسلمين وغير مسلمين، عن أخذ اليهود عن الكنعانيين فكرة "الإله الواحد" فأنها فكرة خاطئة، وإلا ما كانوا اعتبروا (اليهودية دين سماوي). وذلك لأن بني إسرائيل الذين دخلوا فلسطين كانوا يعرفون فكرة "الإله الواحد" عن طريق أنبيائهم، وأجدادهم من لدن إبراهيم عليه السلام مروراً بموسى عليه السلام إلى وداود وسليمان عليهما السلام.

ولكن الصواب: أن اليهود بعد إقامتهم في فلسطين لأن نفوسهم مريضة وجبلتهم شريرة، ولأنهم معاندون ومكابرون، وطبعهم الكفر والمعصية، فقد عمدوا إلى أحد آلهة الكنعانيين فعبدوه، وأعطوه الصفات الشريرة التي تتناسب وطبائعهم وميولهم النفسية، وكذلك غذوه باتجاهاتهم السياسية منذ البداية.

إله اليهود كنعاني

ذلك أنه بلغ تأثير (الحضارة الكنعانية) على اليهود إلى درجة أنها غزتهم في عقيدتهم، حيث اقتبس اليهود منها كل ما استطاعوا، حتى فكرة "الإله الواحد"، كما يقول المؤرخين. يقول رجاء جارودي: "فحين التقى الكنعانيون والعبرانيون في المرحلة الأولى كان هناك رفض متبادل بين المؤمنين بالإله (يهوه) والمؤمنين بالإله (إيل) ثم ضعف اهتمام

العبرانيين بإلههم مع استمرار توطنهم في كنعان، وقوي إحساسهم بإله المواطنين الأصليين حتى أنهم تبنوا اسمه (إيل) وجمعوه على (إيلوهيم)".

وقد أدخلوا عليه بعض التغييرات يقول (ول ديورانت): "يبدو أن اليهود (الفاتحين) لفلسطين عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها وجعلوا منه إلهاً صارماً ذا نزعة حربية صعب المراس". كما أن "يهوه" بقي عند اليهود إله لا يُحدد ولا يُوصف، وأن طبيعته لا يحدها قيد ولا شرط، وبناءاً على ذلك لم يضعوا له تمثال، ولم يتخيلوه على أي صورة كالكنعانيين وغيرهم. كما أننا لا نجد له زوجه أو ولد كآلهة الكنعانيين. وكثيراً ما كان يغضب الرب على شعبه لأنه كان يعبد آلهة الكنعانيين ويشعل لها ناراً، ويبني لها معابد...إلخ، وهذا دليل على أن "يهوه" كان إله مثله مثل بقية آلهة الكنعانيين.

وهذه هي الحقيقة التي يتفق عليها العلماء أكثر من غيرها، إذ يرون أن "إله اليهود (يهوه) هو تطور طبيعي وبطيء من مرحلة تعدد الآلهة التي مر بها اليهود، شأنهم شأن القبائل البدائية الأخرى، تلك الآلهة التي كان (يهوه) مجرد واحد منها، إلى مرحلة الإله الواحد، وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحرب الشعواء التي يشنها (يهوه)، من خلال التوراة، على غيره من الآلهة والتي بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعددي الآلهة بالفطرة". كما أن "يهوه" خلال تطوره البطيء كما يقول (هومير سميث) قد اتخذ "(في فوضى تعدد الأديان، الكثير من خصائص آلهة إسرائيل المتعددة)، والصفة المشتركة لأكثر آلهة القبائل القديمة هي الحجر والنار، وتشترك هاتان الصفتان معا لتشكلا جبلاً بركانياً، وهو رمز القوة الهائلة: "هو ذا اسم الرب (يهوه) يأتي من بعيد غضبه مضطرم والحريق شديد

وشفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة وروحه كسيل طاغ يبلغ إلى العنق فيغربل الأمم من البوار .. إشعيا 30: 27 ـ 28".

كما يعتبر الأستاذ أندرسون عقيدة التوحيد اليهودية عقيدة وثنية، فيقول: "إن الوحدانية التي كانوا (الكنعانيون) يدركونها في ذلك الوقت لم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب". ويصف الدكتور (أنيس فريحة) "يهوه": "إن (يهوه) كما تصوره الكاتب اليهودي مجرد إنسان قدير عظيم ينزل إلى الفردوس ليتحدث إلى آدم ويأمر قابيل وهابيل أن يقدما قرابين فيقبل لواحد منهما ويرفض قرابين الآخر".

إله يهودي له زوجة وأبناء

إذن فكرة "الإله الواحد" أو التوحيد عند اليهود، التي تم استعارتها من الكنعانيين هي فكرة وثنية، تقوم على توحيد الآلهة في إله واحد. أو تغليب إله على بقية الآلهة. وهذه العقيدة خلاف عقيدة الوحدانية التي دعا لها جميع الأنبياء والرسل، والتي كان عليها بني إسرائيل قبل إقامتهم في فلسطين، وتأثرهم بـ(الحضارة الكنعانية). وقد يكون أصل فكرة التوحيد عند الكنعانيين يعود إلى ما كان عليه "ملكي صادق" الذي عرف عبادة الله العلي القدير، وبارك سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما عاش في ضيافته، كما ذكرت التوراة، وقد يكون ملكي صادق أحد أتباع أنبياء الله هود وصالح عليهما السلام، الذين يؤكد المؤرخون هجرتهم بعد نزول العقاب الإلهي بقوميهما الكافرين إلى فلسطين وجوارها من بلاد الشام.

وإن كان اليهود في بداية عهدهم لم يتخذوا لإلههم زوجة مثل الأقوام الأخرى؛ إلا أنهم في بعد ذلك أصبح لألههم زوجة وأبناء كما يكشف ذلك البروفيسور اليهودي (إسرائيل شاحاك). الذي يؤكد على ما ذهب له العلماء السابقين من أن الديانة اليهودية ليست ديانة توحيدية كما يتوهم البعض ـ على حد تعبيره ـ ولكنها ديانة وثنية! فقد كتب: "أن الديانة اليهودية هي، وكانت دائماً، ديانة توحيد كما يُعرف في الوقت الراهن كثير من العلماء التوراتيين، وكما تُبين أي قراءة متأنية للعهد القديم بسهولة، فإن هذا الرأي اللا تاريخي خاطئ تماماً. هناك في كثير من ، إن لم نقل في كل أسفار العهد القديم حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة، لكن يهوه أقوى الأرباب، غيور جداً من منافسيه ويحظر على شعبه عبادتهم. ولا يظهر إلا في نهاية التوراة فقط، لدى بعض الأنبياء المتأخرين، إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه".

ويواصل حديثه بالقول: أن ما يعنينا هنا ليس اليهودية التوراتية (أي ما ورد في التوراة) بل اليهودية الكلاسيكية، إن الثانية خلال بضع مئات من سنواتها الأخيرة، كانت بمعظمها بعيدة كل البعد عن التوحيد الخالص. وهذا ينطبق أيضاً على الحقائق المهيمنة في الأرثوذكسية اليهودية في الوقت الراهن، وهي استمرار مباشر لليهودية الكلاسيكية، لقد جاء انحطاط التوحيد من خلال انتشار الصوفية اليهودية (القبالاه) التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث عشر. وبحسب اعتقاد القبالاه فإنه {لا يُحكم الكون من جانب إله واحد بل من جانب أرباب عدة ذوي شخصيات وتأثيرات مختلفة تنبثق من علة أولى بعيدة مبهمة. وإذا أقصينا كثير من التفاصيل جانباً، نستطيع تلخيص تلك المنظومة على النحو التالي: هناك أولاً إله يدعى (الحكمة) أو (الأب) ثم إلهة تدعى (الحكمة) أو (الأم) وقد انبثقا أو ولِدا من العلة الأولى. انبثق عن زواج الاثنين زوج من الآلهة الأصغر: (الابن)

يدعى أيضاً بأسماء كثيرة أخرى مثل (الوجه الأصغر) أو (المبارك المقدس)، والابنة تدعي أيضاً (السيدة) أو ("ماترونيت" وهي كلمة مشتقة من اللاتينية) و(شخينة) أو (الملكة) ..إلخ، ثمة ضرورة لتوحيد (الابن) و(الابنة) إلا إن مكائد الشيطان تحول دون ذلك، وهو يمثل في هذه المنظومة شخصية هامة جداً ومستقلة.

وقد تولت العلة الأولى كي تتيح لهما التوحد، لكنهما أصبحا أكثر بُعداً من السابق بسبب السقوط (أو الهبوط) وتمكن الشيطان، فعلاً، من الاقتراب كثيراً من (الابنة) المقدسة وحتى من اغتصابها (سواء بالرمز أو الواقع. تختلف الآراء) وقد خُلق الشعب اليهودي لسد القطيعة التي أحدثها آدم وحواء، وفي جبل سيناء تحقق هذا الأمر لفترة معينة: و(الابن)، الذي تجسد في موسى، توحد بالابنة (شخنية). ولكن. لسوء الحظ، تسببت خطيئة العجل الذهبي بالانفصال مرة أخرى، لكن توبة الشعب اليهودي رتقت الشَق نوعاً ما.

بنفس القدر، يقترن كل حدث في التاريخ التوراتي اليهودي باتحاد أو انفصال الزوجين السماويين}.

يقول الدكتور صياح عزام عندما زار الرئيس الأميركي (بوش) إسرائيل مؤخراً بمناسبة احتفالاتها بالذكرى الستين لقيامها على أرض فلسطين، كان من اللافت للنظر المشاعر الفياضة التي أبداها تجاه هذه (الدويلة) التي اعتبرها النموذج المبهر، وراح يتحدث عنها بمثابة حاخام أو أكثر، ولدرجة اعتبر قيامها انتصاراً للخير على الشر، وأنها أصبحت بعد ستين عاماً نوراً للأمم ناضلت بشراسة من أجل العدالة والحرية والإنسانية.

مقابل هذه الصورة التي رسمها(بوش) لإسرائيل، كان هناك- وبهذه المناسبة- جدل إسرائيلي في الوسط الثقافي يتسم بالتشاؤم حول مستقبل إسرائيل.

-وعلى سبيل المثال، وصف رئيس البرلمان الإسرائيلي الأسبق الذي اعتزل الحياة السياسية عام 2004) ابراهام بورغ)وصف إسرائيل في كتاب بعنوان(الانتصار على هتلر) بأنها تسير على درب) هتلر) وتنتظر المصير نفسه، وأنها دولة فاشية تقودها زمرة من الفاسدين الخارجين على القانون طالما تتمسك بالأفكار الصهيونية، وتستخدم العنف لإخضاع الفلسطينيين وسحقهم.

الأستاذ بجامعة تل أبيب (شلوموساند) تحدث في كتابه (كيف تم اختراع الشعب اليهودي- من التوراة إلى الصهيونية) عن اختراع أسطورة الشعب اليهودي المختار من قلب الخرافات والأساطير التي حفلت بها التوراة.

إيلان بابي (الأستاذ في جامعة حيفا تحدث في كتابه (التطهير العرقي لفلسطين) عن الجرائم والمذابح التي ارتكبها الصهاينة بحق شعب فلسطين، والتي تكذب ادعاءات أن الفلسطينيين هم من تركوا أرضهم وباعوها.

وانتهى به الأمر إلى الهرب إلى بريطانيا للعمل في إحدى جامعاتها، هذه أمثلة عن باحثين إسرائيليين تحدثوا عن وجه إسرائيل القبيح وتاريخها الملطخ بالدم الفلسطيني الذي تجاهله (بوش).

وقد احتل هذا الجدل الإسرائيلي مساحات في الصحف الإسرائيلية، فقد نشرت صحيفة (هآرتس في 14/ 4/ 2008 حواراً مع البروفسور والوزير السابق وأستاذ القانون في جامعة تل أبيب أكد فيه أن إسرائيل لايمكن أن تستمر في البقاء لسببين اثنين: أحدهما التهديد الخارجي من قبل العرب، والثاني هو التهديد الداخلي الذي يتجسد في الفساد وتآكل ما أسماه(منظومة القيم الصهيونية) إضافة إلى أن ممارساتها جعلت الصراع معها يأخذ بُعداً إسلامياً وليس عربياً فقط، الأمر الذي وسع رقعة العداء لها، كما تطرق

(روبنشتاين) هذا إلى مظاهر تحلل التجمع الإسرائيلي، مثل ميل الشباب إلى عدم التضحية، وتراجع الحماسة للانضمام إلى الجيش، وهذه النقطة أشار إليها أيضاً مدير مدرسة (إعداد القادة) في تل أبيب(ايرز ايشل) في مقال نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت في 3/ 4/ 2008 قال فيه: إن قادة الدولة لم يعودوا مثالاً يحتذى به للشباب الإسرائيلي، ففي الوقت الذي يشنون الحروب يستثنون أولادهم من تحمل عبئها مدللاً على ذلك بأن ابني (أولمرت) سافرا إلى الخارج تهرباً من الخدمة العسكرية.

الجنرال)شلوموغازيت) الرئيس الأسبق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية انتقد في مقال صحفي نشر في 9/ 4/ 2008 رفض إسرائيل التجاوب مع رغبة العرب في السلام، معتبراً أن الوضع القائم هو الذي سيؤدي إلى تصفية إسرائيل، طالما أنهاالاتعود إلى حدود عام 1967.

كبير المعلقين في صحيفة(يديعوت أحرونوت) المدعو(ناحوم برنيع) الذي توقع فشل إسرائيل في حربها على لبنان صيف عام 2006 من أول يوم فيها، أشارفي مقال له في 19/ 4 الماضي إلى أن الناس في إسرائيل يفقدون الثقة ببقائها ومستقبلها، وأن هناك نوعاً من اليأس بين مواطني إسرائيل ليس من الحروب التي وقعت أو القادمة منها، بل بسبب عدم القدرة على توفير الأمن لليهود الذين يعيشون فيها رغم مظاهر القوة العسكرية والاقتصادية والعلمية التي تتمتع بها.

وذكر (برنيع (أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لايزال حتى مجرد وجودها مثيراً للجدل ,في حين لايشك أحد في العالم بحق الفلسطينيين في إقامة دولة. ويعدد الباحثون والمفكرون الإسرائيليون المظاهر التي تدعم تنبؤاتهم بالمستقبل المظلم لإسرائيل، فما هذه المظاهر.

1) قرار الوكالة اليهودية بالتوقف عن محاولات إقناع يهود العالم بالهجرة إلى إسرائيل، ما يعني فشل قوة الدفع التي اعتمدت عليها الصهيونية العالمية طويلاً، ويؤكد(إفراهام تيروش (سكرتير ثاني حكومة شكلها(مناحيم بيغن) في مقال له نشر في 28/ 2/ 2008 أن اليهود في أرجاء العالم باتوا يرون بأم أعينهم مخاطر العيش في إسرائيل بأنها تفوق مخاطر(اللا سامية) في أوروبا، ويدلّل على ذلك أن دراسة أجريت بين اليهود الأميركيين أكدت أن 70% منهم لم يزوروا إسرائيل ولايرغبون بذلك، وأن 50٪ منهم لايعيرون اهتماماً لزوال إسرائيل من الوجود!.

2) المظهر الآخر الذي يدل على تغلغل اليأس في نفوس الإسرائيليين من مستقبل كيانهم هو السعي المتزايد للحصول على جوازات سفر أوروبية لمغادرة إسرائيل عند توفر الفرصة المناسبة، إلى جانب ماينتج عن هذه الظاهرة من انقسامات في المجتمع، وتباينات فكرية واجتماعية، لأن البعض يحصل على مثل هذه الجوازات، والبعض الآخر لايتمكن من ذلك.

3) إن عزوف يهود العالم عن الهجرة إلى إسرائيل يعود لكفرهم بالأساطير التي قامت عليها إسرائيل، وهذا ما أكده (يولي غولد شتاين) من قادة الجالية اليهودية في (كندا) في مقال نشر جريدة(هآرتس) بتاريخ 22/ 3/ 2008،عندما أشار إلى أن الأساطير التي كانت تحاك لإقناع يهود العالم بالهجرة إلى إسرائيل لم تعد تنطلي على أحد، وذكرت في الوقت نفسه أن85 %من اليهود في مدينة(مونتريال) التي تضم أكبر تجمع في (كندا) قد هاجروا أصلاً من إسرائيل التي بذلت جهداً كبيراً لجلبهم من الاتحاد السوفييتي السابق.

لاشك بأن مثل هذه الشواهد والأدلة التي جاءت على لسان إسرائيليين حول التشاؤم بمستقبل الكيان الإسرائيلي تشكل مفارقة لافتة إذا ما قورنت مع المديح الهائل الذي كاله (بوش (لإسرائيل كما أشرنا.. باختصار شديد، مهما توفرت من شواهد وأدلة على مستقبل غامض ينتظر إسرائيل، فإن هذا يجب ألا يكون موضع رهان ودافع إلى انتظار ما هو آتٍ، بل على العرب استمرار اليقظة والحذر، والسعي لامتلاك عوامل القوة والمنعة لأن مثل هذا الامتلاك هو وحده الذي يضعف إسرائيل، ويردعها عن السعي للهيمنة على الوطن العربي بدعم من الولايات المتحدة الأميركية.

بهيموث في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس، منجم المخلوقات الأسطورية يُظهر لنا كائن جديد ، أسطوري فريد، صديق مُقرب للوثيان، له ارتباط وثيق به بحسب التلمود والتقليد اليهودي، مذكور له أوصاف خرافية في الكتاب المقدس، كالعادة دلست الترجمة العربية الفاندايك واستبدلت إسمه بإسم فرس البحر المعروف بالعامية بـ سيد قشطه ، والعجيب هو أن هذا الكائن هو أول أعمال الله بحسب الكتاب المقدس ، وبعون الله سوف نكشف الستار عن هذا الكائن الأسطوري العجيب .

صورة لبهيموث مع صديقه لوثيان



هناك علاقة حميمة بين لوثيان وبهيموث فمصيرهما مرتبط ببعضهما البعض بحسب التقليد اليهودي.

صورة لبهيموث مع صديقه الديك الحيه الطائر



بهيموث مع الديك الحية الطائر ملك الأفاعي , وكأنها عائلة من الوحوش الكتابية المقدسة.

بهيموث مخلوق مذكور في سفر أيوب . الكلمة غالباً صيغة جمع لـ بَهيمَة، تعني وحش أو حيوان ضخم . قد تكون نوع من أنواع الجمع في العبرية تعبر عن العظمة أو التعظيم للفظ ، بهذا يكون بهيموث هو أكبر وأعظم وأقوى الحيوانات في الوجود المقطع يصف بهيموث بهذه الطريقة : خلق مع الإنسان ، حيوان آكل النبات، لديها عضلات

وعظام قوية ، وتعيش في الوحل . هناك أسطورة أن اللوثيان والبهيموث سوف يتعاركا في نهاية الزمان . الإثنان سوف يقتلا بعضهما، والرجال الناجون سوف يتغذون على لحومهما .

بهيموث في موسوعة الأساطير اليهودية

In the Old Testament (Book of Job, verse 40:15), behemoth is the name for a very large animal, like the hippopotamus or crocodile. They both play a part in the Apocalyptic, as monsters that must be killed. In later Christian religion, the behemoth is identified with Satan.

في العهد القديم (سفر أيوب) بهيموث إسم لحيوان ضخم جداً، مثل فرس النهر أو التمساح . تلعب دوراً في سفر الرؤيا كوحش يجب أن يقتل. بعد ذلك في الديانة المسيحية , بهيموث يرمز للشيطان .

بهيموث في موسوعة المصطلحات الأسطورية

Huge biblical beast (Job xl.15), from L. behemoth, from Heb. b'hemoth, usually taken as plural of intensity of b'hemah "beast." But the Heb. word is most likely a folk etymology of Egyptian pehemau, lit. "water-ox," the name for the hippopotamus.

وحش كتابي ضخم (سفر أيوب) ، لغوياً بهيموث من العبرية بهيموث من جمع كلمة بهيمة . لكن الكلمة العبرية من أصل فلكلور مصري بيهيموه التي تعني فرس النهر .

بهيموث في الموسوعة البريطانية

In the Old Testament, a powerful, grass-eating animal whose "bones are tubes of bronze, his limbs like bars of iron" (Job 40:18). Among various Jewish legends, one relates that the righteous will witness a spectacular battle between Behemoth and Leviathan in the messianic era and later feast upon their flesh.

في العهد القديم ، حيوان قوي آكل للنباتات ، عظامها من انابيب برونز و أفخاذها من قضبان حديد (بحسب أيوب 40 : 18) ، في العديد من الأساطير اليهودية ، التي تتعلق بالصراع العظيم بين البهيموث واللوثيان وفي النهاية تكون هناك مأدبة على لحومهما .

بهيموث في التلمود البابلي اليهودي

ذكر بهيموث في التلمود البابلي

And also Behemoth on a thousand hills were created male and female, and had they mated with one another they would have destroyed the whole world.

بهيموث خُلق ذكراً وأنثى وسط آلاف التلال، ولو أنهما تكاثرا لدمرا الأرض كلها . أنظر إلى القوة الخرافية التي يؤمن اليهودي أن بهيموث يملكها، وما هذا إلا بناءاً على وصف الكتاب لبهيموث .

Behemoth signifies legendary animals, male and female, which, like Leviathan, are to provide part of the feast of the righteous in the world to come. Behemoth eat up daily the grass of a thousand hills.

بهيموث يمثل الحيوانات الأسطورية ، ذكراً وأنثى ، مثل لوثيان ، سوف تقدم لحومهما في مأدبة في نهاية الزمان . بهيموث تأكل النجيلة من على آلاف التلال يومياً .

So long as Leviathan is alive, Behemoth also is safe.

طالما لوثيان حية ، بهيموث في أمان.

ذكر بهيموث في التلمود البابلي

He will be unable to prevail over him; for it is said: He only that made him can make His sword to approach unto him. The text speaking of Behemoth is also applicable to Leviathan.

لن يتمكن من إخضاعه ، لأنه مكتوب , الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ (أيوب 40 : 19 .الكلام المطلوق على بهيموث ينطبق على لوثيان أيضاً .

من هنا ترى مدى إرتباط الكائنات الأسطورية ببعضها البعض، فإن اعترفت ببهيموث كان لزاماً عليك أن تعترف بلوثيان وأيضاً بالديك الحية الطائر ملك الأفاعي وهكذا ، فكلهم من مصدر واحد ، الكتاب المقدس

بهيموث في الزوهار اليهودي

THE CHERUBIM AND PILLARS exist for "the service of men", but not the "grass", which is destined to be eaten, as it is written: "Behold now behemot (animals), which I made with you; he eats grass like an ox

الشيروبيم والبيلّارس موجودان لخدمة الإنسان ، ولكن ليست الخضرة التي قُدر لها أن تُؤكل ، لأنه مكتوب : انظر إلى بهيموث الذي صنعته معك، فإنه يأكل العشب كالبقر .

هُوَذَا فَرَسُ الْبَحْرِ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ .يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ .انظر إلى بهيموث الذي صنعته معك، فإنه يأكل العشب كالبقر. وحيد القرن الذي صنعته معك يأكل الأعشاب مثل البقر .أنظر إلى بهيموت الذي صنعته مثلك إنه يأكل العشب مثل الثور .

(Vulgate) ecce Behemoth quem feci tecum faenum quasi bos comedet
(HOT+) 4994נא 2009הנה 930בהמות 5973עמך 6213עשׂיתי 834אשׁר

2682חציר 1241כבקר 398:יאכל

(KJV+) BeholdH2009 nowH4994 behemoth,H930 whichH834 I madeH6213 withH5973 thee; he eatethH398 grassH2682 as an ox.H1241

العبري الإنجليزي الكتاب المقدس

בהמות

behêmôth
be-hay-mohth'
In form a plural of H929, but really a singular of Egyptian derivation: a water ox, that is, the hippopotamus or Nile horse: - Behemoth.

موجودة في جميع الترجمات المعول عليها ، العبرية) בהמות , (الفولجاتا) Behemoth) , الإنجليزية Behemoth) , العربية) بهيموث (حيوان أسطوري كتابي أصيل.

أوصاف الوحش الأسطورية من الكتاب المقدس نفسه.

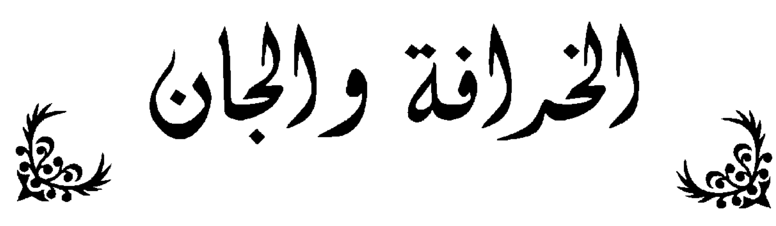
] ob 40:15 هُوَذَا فَرَسُ الْبَحْرِ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ. يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ Job .
40:16هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنَيْهِ وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ

Job 40:17يَخْفِضُ ذَنَبَهُ كَأَرْزَةٍ .عُـرُوقُ فَخْذَيْـهِ مَـضْفُورَةٌ Job 40:18 .عِظَامُـهُ أَنَابِيبُ نُحَاسٍ وَأَضْلاَعُهُ حَدِيدٌ مُطَرَّقٌ .

Job 40:19هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ .الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ.



الفصل الرابع



الخرافة والجان



الخـــرافة والجـــان

قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال تعـالى (خلـق الانـسان في صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) صدق الله العظيم

يقول العلامة الاستاذ الدكتور نظام الـدّين إبـراهيم أوغلـو المحاضـر في جامعـة هيتيـت ـ تركياقبل البدء بتعريف وشرح عالم الجن والسّحرة، أريـد أن أوضـح، أنّـه لا الجـن يـضرّ الإنسان ولا السّاحر يضرّ أي كائن في السّموات والأرض، إذا لم يتدخل إرادة الله في ذلك. وهناك آيات وأحاديث كثيرة على ذلك فقال (ص) (لو اجتمـع الإنـس والجـن علـى أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بما كتبه الله لكن ولو اجتمع الإنس والجن على أن يـضروك بشيء لن يضروك إلا بما كتبه الله عليك، رفعة الأقلام وجفت الصحف) رواه البخـاري . فالجن مخلوق سفلي أي أدنى من الإنسان عقولهم وصورهم أدنى مـن الإنـسان ويأخـذون علومهم وأمور دينهم من الإنسان فقال تعـالى (لقـد خلقنـا الإنـسان في أحـسن تقـويم). ومأمورون بالواجبات قال تعالى)وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبـدون) الـذّاريات 56. والسّاحر أيضاً دوني لأنه فاسق وعدوّ الله، إذن كيف يمكن لهما أن يؤذّوا ويضرّوا الإنسان ذا خلق حسن ومؤمن بالله ومطيع لأوامره؟ فقال تعالى (قالَ مُوسَى أَتَقُولُـونَ لِلْحَـقِّ لَمَّـا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ).(لأزيننّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَـأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ). أي بقدرة الله يضلّ بني آدم عدا المخلصين الصّالحين منهم.

وهناك إثباتات وحوداث كثيرة منذ القدم وإلى الآن ثابت علمياً على عدم ضرر هؤلاء إلاّ على أنفسهم، ولو كانت لهم القوّة العظيمة أو القوّة السّحرية الخارقة لأستعملهم فرعـون ونمرود ولينين ونابليون وشاه بهلـوي وصـدّام حـسين أو الـدّول المـستعمرة مثـل روسـيا وفرنسا والإنجليز وأمريكا مـن أجـل إسـعادهم ونـصرهم في الحـروب وسـيطرتهم علـى الدّول .

لقد شاهدت عدة حوادث حول ذلك السّحر والجن في تركيا " أدّعى صديقاً لي على أنّه هناك ساحراً يحلّ مشاكل الناس ويؤثر عليهم فقلت له إتّصل معه لنذهب إليه فليفعل ما يفعل بي إذا كانت لديه قدرة فذهبنا إليه وعمل ما عمل وأخيراً قال لاأستطيع فعل الشيء، والسّبب لأنّ إيمانه قوي "هكذا كان جوابه .وكذلك ذهبت يوماً إلى القرية وفي المساء أردت الوضوء والذّهاب إلى مكان الوضوء لأجل صلاة العشاء، فقام أهل القرية بمنعي من الذّهاب إلى مكان الوضوء والسّبب لوجود الجن الشّريرة في القرية لقد أضرّوا كثيراً من الناس وإذا ذهبت سوف يضرّونني وتعجبت من هذا القول أيضاً وبعد الإصرار على عدم ذهابي قرّرت الذّهاب إلى المكان المحدّد وكان ليل مظلم حيث لا قمر ومكان الوضوء بعيد عن البيت، فذهبت ورجعت ولم يحصل لي شيئاً وتعجب أهل القرية من ذلك، والعجب بهم لأنّهم يصدّقون على مثل هذه الخرافات. وهناك حادث أخر أيضاً وهو أنّ أحد العلماء الأجلاء في تركيا وإسمه الأستاذ الدّكتور خير الدّين قرامان كان يلقي موضوعاً على السّحر والجن وجاءت له أسئلة كثيرة وكان ينكر أيضاً إيذائهم للأفراد فتحدى على شاشة التلفاز أيّاماً عديدة وقال لهم "أنا أتحدى هؤلاء السّحرة على إيذائهم لي فليتحد كلّ السّحرة والجن وأنا ها هنا أمام الملايين ليضرّونني" وطالت الأيام ولم يخرج أحداً منهم ليتحدى هذا العالم الجليل، والأمثلة كثيرة على ذلك .

المخلوقان السّاحر والجن موجودان على هذه الأرض منذ القدم ونعيش معهما ولكن ضررهما كانت سابقاً لأسباب سوف نذكرها أدناه أمّا الآن فهذه الخوارق والمعجزات إنتهت بعد مجيء الرسّول محمد (ص) الله أعلم، وضررهما لا يكون إلاّ على أنفسهم وعلى الضعفاء من الشّخصيات سواءاً كانوا ضعفاء من الناحية البدنية أو العلمية أو المعنوية والدّينية، فأكثر النساء يخفن ويتأثرن وكذلك الأطفال والرّجال من الجهلاء وهذا يتزايد في القرى وفي الدّول النامية وحتى في الدّول المتقدمة البعيدة عن الدّين والمبادئ

السّامية. علماً أنّ موضوع السّحر ليس مشكلة أوحديث المتعلمين والمثقفين وإنّما نجده عند العوام من الناس.

وللجن تأثير غير مباشر على الإنسان الضّعيف كما ذكرنا أعلاه، أمّا كيفية تأثيرهم فيكون بوسسة الشّيطان على صدور الإنسان أي على نفوس الإنسان (النّفس الأمّارة بالسّوء) وهناك آيات يثبت ذلك فمثلاً (فوسوس لهما الشّيطان ليُبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما، وقال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشّجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ، (من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس فس صدور النّاس من الجنة والنّاس) (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أي وسوسة الشّيطان، وبعد نجاحهم في وسوسة الضّعفاء يبلغون السّحرة عما جرى، وكيف يتم الوسوسة الله أعلم بذلك، ولكننا نحلل ونقول قد يكون بتلقي بعض الكلمات والعبارات السّيئة على عقول الإنسان ثم يتفنن في تصوير هذه الكلمات وجعلها كأنها حسنة أو تزينها بزينة الحياة الدّنيا ولا يتحدى أعمالهم غير هذا .

فمثلاً يزينون عقول الضّعفاء نفسياً وروحياً بظلم الأفراد وقتلهم وغصب أموالهم أو مقامهم على أنها حق وأصالة ومصدر قوة وسلطة لهم، وشرب الخمر وعمل الفحشاء والمنكر والعيش في ديار الخراب فضيلة وخير وبركة لهم في الدّنيا. وبعد مجيء الإسلام نهى الله تعالى عمل السّحرة ومنع أيضاً إسترقاق الجن.

أمّا موضوع تفريق السّحرة بين الزّوج والزّوجة كذلك مسألة نفسية لا وجود لها، لأنّ هناك آيات كثيرة حول إبتلاءات الأنسان بأشكال متعددة فمن هذه العداء بين الزّوجين وبين الإنسان والشّياطين منذ آدم (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)، (ولو شاءَ ربك لجعلَ النّاسَ أمّةً واحدةً ولا يزالون مختلفين، إلاّ من رحِم ربك). وهذا نجده أيضاً عند إمرأة لوط مع لوط (ع) وإمرأة نوح مع نوح (ع)، وحتى بين الأولاد كما في حسد قابيل

مع هابيل وبين الأباء والأولاد كما في نوح (ع) مع إبنه وبين الإنسان وبني الإنسان كما نرى قتل بني إسرائيل الأنبياء وهكذا، فالذين ينجحون في هذه الإبتلاءات ويسلكون الطريق المستقيم لايمكن أن يوسوسهم الشّيطان. والذي أريد قوله أنّه يمكن أن يخرج المشاكل بين الزوجين ووجود الإختلافات إعتيادية وفطرية ولا علاقة لها بالسّحر والتّسحر .وبسبب سرعة إنتقالهم كانوا يخبرون السّحرة عن حادث أثناء وقوعه ويظهرون للساحر كأنهم يخبرونهم بالغيب فهذه النظرية أبطلت بفضل إكتشاف الفضائيات والتلفون النّقال.

وأنا لا أنكر السّحر والجن وأعمالهم قبل الإسلام كانت معجزة الأنبياء أمّا بعد مجيء الرّسول أبطلت هذه المعجزات وخوارق العادت فمثلاً أنّ الأجنة كانت تعرف أشياء كثيرة قبل مجيء النبي (ص) وكان يسترق الأخبار من السّماء وكان هاروت وماروت يعلمان الناس السّحر ثمّ منع عنهم ذلك وأصبح شظايا (شهاب) النجوم يرميهم ولا يصلون إلى السّماء فنعوا من أخذ الأخبار من الملائكة بعد إضافة مئات الأكاذيب إلى أعوانهم، وإن إدّعى بعض الناس في كتبهم على بعض الأعمال السّحرية فأنا لا أرى صحتها لأنّ فيها مبالغات وخوارق العادات. علماً أنّه هناك ألعاب سحرية التي تخدع الناس أوإعطاء عقاقير طبية للمسحور ليست من السّحر وكذلك التنويم المغناطيسي موضوع علمي ليس مرتبط بالسّحر. وأذكر هنا أنّ حديث (تعلّموا السّحر ولا تعملوا به) حديث موضوع وحتى موضوع تسحرهم للرّسول (ص) موضوع نقاش وإن كانت واردة في البخاري، وقد يكون وجودها لأجل تعليمي أي يعلمهم كيف يمكن أن يحفظوا أنفسهم من شرور الجن (قال موسى ما جئتم به السّحرُ أنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس 81 .
وأخيراً قد تسألون كيف حفظتُ وأحفظ نفسي من وسوسة الجن ومن شرور السّحرة؟ لقد حفظت نفسي من وسوستهم وشرورهم كما علّمنا الله ورسوله بقراءة القرآن الكريم وبقرأة المعوذتين وآية الكرسي وحتى يقال أنه يكفي بقرأة البسلمة في كل عمل يفرّ منك

ولا يتجرأ بالوسوسة، وكذلك بتعلم العلوم والدّين الإسلامي وكذلك بمعرفتي لأكاذيب وتفنن هؤلاء المخلومات الشّيطانية سواء كان جناً أو ساحراً، فلم أصدقهم أبداً ولاأخاف منهم ثمّ لا يمكن أن يخدعوني ويسلبوا أموالي .

أـ عالم الجن

سأتطرق هنا بشكل مفصل عن عالم الجن لأنّ للجن علاقة وثيقة مع السّحرة أي هم على إرتباط معهم حسب إدّعائهم

1ـ تعريف هذا العالم

يختلف عالم الجن اختلافا كليا عن عالم الملائكة والانسان، فكل له مادته التي خلق منها ، وصفاته التي يختلف بها عن الأخر، الا أن عالم الجن يرتبط مع عالم الانس من حيث صفة الادراك وصفة العقل والقدرة على اختيار طريق الخير والشر. وأبو الجن هو ابليس كما أن أبو الانسان آدم عليه السلام . أما طبيعة خلقتهم فقد أخبرنا الله عز وجل عنهم أنه خلقهم من نار، كما قال تعالى (والجان خلقناهم من قبل من نار السموم) وقوله عز وجل (وخلق الجان من ما رج من نار) . وقد فسر أهل العلم من السلف الصالح قوله (مارج من نار (هو طرف اللهب ومنهم ابن عباس وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن وغيره ، وقال النووي " المارج اللهب المختلط بسواد النار" . أما الانسان فقد خلق من طين كما أخبرنا عز وجل بقوله(قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وفي قوله سبحان (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) وكذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة ، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال" خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق أدم مما وصف لكم". وقد خلق الجان قبل الانسان وسكن الأرض قبله ، بدليل قول الله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان من حمأ مسنون، والجان خلقناه من قبل من نار السموم.)

2ـ أنواع الجن و أصنافهم

وينقسم الجن الى ثلاثة أصناف كما صنفهم لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : "الجن ثلاثة أصناف

1ـ فصنف يطير في الهواء. 2ـ وصنف حيات وكلاب. 3ـ وصنف يحلون ويضعنون رواه الطبراني ، والحاكم ، والبيهقي باسناد صحيح.

وقد أمرت الجن وكلفت كما كلف الانسان ، فهم مأمورون بالتوحيد و الأيمان والطاعة والعبادة ، وعدم المعصية والبعد عن الظلم وعدم تعي حدود الله ، فمسلمهم مسلم، ومؤمنهم مؤمن، وكافرهم كافر ، والمطيع منهم لله ورسوله، يدخل الجنة ومن أبى دخل النار سواء بسواء، مثلهم مثل الانسان والدليل من قوله عزوجل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون). اذا هم خلق من خلق الله ومن ينكرهم فانه يكفر للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة . وقد وجد من ينكرهم قديما وحديثا . ولا يضيرنا ذلك منهم . والذي يهمنا أنهم حقيقة لاشك فيها ولا مرية لما سيترتب على ما سوف نسرد من أخبارهم وأحوالهم وربنا وربهم الله

3ـ الجن يأكلون ويشربون:

وحيث أن مثل هذه الأمور الغيبية في أحوال الجن الذين لا نراهم، توجب علينا كأمة مسلمة تؤمن بالغيب، أن نؤمن بكل المغيبات التي وردت في الجن وذلك لما يتصف به المؤمنون من الايمان بالغيب كما قال عز وجل وعلا شأنه (آلم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون) . وموضوع الجن أمدنا فيه رسول الله بالخبر اليقين ، فاليك أخي المسلم المؤمن هذه الأدلة الصادقة من عند الذي لا ينطق عن الهوى . ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلي الله عليه وسلم ـ أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر بها ، وقال له: " ولا تأتيني بعظم ولا بروثة" ولما سأل أبو هريرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك عن سر نهيه عن العظم الروثة ، قال:"هما من طعام الجن ، وانه أتاني وفد نصيبين ، ونعم الجن

،فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم : ألا يمروا بعظم و لا روثة الا وجدوا عليها طعاماً .
وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال " أتاني داعي الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، فسألوه الزاد فقال : " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحما، و كل بعرة علف لدوابكم" فقال النبي صلى الله عليه و سلم :" فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم" . و في سنن الترمذي باسناد صحيح : " لا تستنجوا بالروث ، ولا بالعظام ، فانه زاد اخوانكم من الجن" و قد أخبرنا الرسول صلى الله عليه سلم ، أن الشيطان يأكل بشماله و أمرنا بمخالفته في ذلك . وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، و اذا شرب فليشرب بيمينه، فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله". و في مسند الامام أحمد " من أكل بشماله أكل معه الشيطان، و من شرب بشماله شرب معه الشيطان" . وكما أن الأنسان المسلم منهي عن أكل اللحم الذي لم يسمى عليه أسم الله ، فان الجن المسلم أيضا منهي عن أن يأكل لحم الميتة لانه لم يذكر اسم الله عليها. لذا فقد ترك اللحم الذي لم يذكر اسم الله عليه يأكله المشركون، والذين يذبحون لغير الله والشيطان على شاكلتهم. لذا نستنتج أن الميتة أكل الشيطان . وقد استنبط ابن القيم رحمه الله من قوله تعالى(انما الخمر و الميسر و الأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) أن المسكر من شراب الشيطان، فهو يشرب من الشراب الذي عمله أولياؤه بأمره ، وشاركهم في عمله ، فيشاركهم في شربه ، و اثمه و عقوبته .

4ـ أين يعيش الجن وأين يسكن:

كما أسلفنا فان الجن هي أمة من الأمم ، وطالما أن الله عز وجل هو خالقهم فانه عزوجل لم يخلق عباده عبثا، ولم يتركهم هملا، تماما ككل المخلوقات في السماء أو في الأرض أو في جوف البحر، فان لكل نظامه وحياته، فالسمك يعيش في الماء ولو أخرج منه لمات، و الانسان والطير وكثير من الحيوان الذي يعيش فوق الأرض لو أدخل في البحر لماتوا

جميعا، لأن الخالق سبحانه جعل لكل نظام وغذاء و حياة تختلف عن الأخر. والجن لهم حياتهم ومعاشهم و أكلهم وشربهم ،ولهم أماكن يسكنون فيها أو مختصة بهم، وقد يشاركوننا في بعض الأماكن . فهم يسكنون في الأحراش والخرابات وبيوت الخلاء ، وفي مواضع النجاسات والمقابر .وكما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ، يأوي الى كثير من هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين، الشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين، ويتواجدون في أماكن اللهو وفي الأسواق حيث يكثر تواجدهم لاضلال الناس وافسادهم،و قد أوصى الرسول صلي الله عليه وسلم أحد أصحابه قائلا :"لا تكونن ان استطعت أول من تدخل السوق ، ولا آخر من يخرج منها ، فأنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته" رواه مسلم في صحيحه).فالجن أيضا تعيش في منازلنا ومعنا ولكن لا نراهم، وقد يأكلون معنا ويشربون معنا من حيث لا نراهم لاستتارهم عنا، لقوله عز وجل (انه يراكم هو قبيله من حيث لا ترونهم). الا انه قد يتشكل في بعض الأحيان، وهذا ما سنتطرق اليه في حينه في قصته مع أبي هريرة رضي الله تعالي عنه، وكي لا يشكل هذا الأمر على البعض فأحيانا نذكر الجن و أحيانا أخرى نذكر الشيطان فما هي العلاقة بينهما؟

5ـ هل الشيطان أصله من الجن؟

كما تقدم فقد ذكرنا أن الشيطان أبو الجن كما أن آدم أبو الانس ،والظاهر من سياق القرآن أن الشيطان من الجن كما في قول الله عز وجل(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآ ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أ فتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) . فهذا دليل واضح جلي بأن الشيطان أو ابليس كان من الجن ، ففسقه وعدم تنفيذ أوامر الله وغروره، كان سببا في أبلسة الله له، كما أن شيطنته أبعدته من رحمة الله، فأختلف الناس في ذلك فمنهم من قال بهذا ومنهم من قال بغيره. وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج/ 4 235ص346 (انه يذهب بالقول بأن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أبو الانس

6ـ تشكـل الجـن أو الشيطـان

ان من رحمة الله سبحانه و تعالى بخلقه من الانس أن جعـل الـشيطان و حزبـه مـــن المـردة العفاريت وغيرهم فيما يدخل في مضمون الجن ،غير مرئيين لهـم، لأنـــه سـبحانه و تعـالى يعلم بأن أشكالهم قبيحة ، قد تكون أعيـن البشـر وعقولهـــم لا تـستوعب البـشاعة الـتي خلق عليها الشياطين . قد ذكر الله لنا ذلك في محكم التنـزيل واصفا قبح الشيطان بأن شبه لنا شجرة الزقوم التي تنبت من أصـل الجحيـم برؤوس الشياطين لما علم من قبح صورهم أشكالهم ، فقال عز وجل (انهـا شـجرة تخــرج في أصـل الجحيـم* طلعهـا كأنـه رؤوس الشياطين).و قد ذكر لنا النبي صلى الله عليه و سلم " أن للشيطان قرون وأن الشمس تخرج بين قرني شيطان " فـي البخــاري مـسلم قولـه صـلى الله عليـه وسـلم "اذا طلـع حاجـب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب و لا تحينوابصلاتكم طلوع الشمس و لاغروبها، فانهـا تطلع بين قرني شيطان". ومن هذا كله يتبين لنا أن منظر الشيطان أو الجن أو ابلـيس بـشع لنا كبشر للنظر اليـه، و لا يستطيع انسان كائن من كـان مـن دون الرسـل و الانبيـاء ، أن يرى الشيطان على حقيقة خلقته التي خلقه الله عليها كما يدعي البعض من الناس الجهلـة وذلك لقوله عز وجل (انه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم). أما الانبيـاء و الرسـل فالله يريهم ما يريد و ما يشاء. ولكن الشيطان أو الجن يستطيع أن يتحول من خاصيته التي خلقـه الله عليها الى خاصية أخرى كأن يكون في صورة كلب أو حية أو عقـرب أو صـورة انسان أو ما الى ذلك . كما حدث في عهد النبـي صلـى الله عليـه وسلـم، اذ رأى الشيطان في أكثر من موضع و بصور لاشخاص معروفين و اشخاص غير معروفين و قد حـدث ان كان رسول الله صلى الله عليـه و سلـم يحـدث أصحـابه فيدخـل علـيهم رجـل غريـب ، نتن الريحة ، قبيح المنظر، مقطـع الثيـاب فيخبرهـــم النبـــي صـلى الله عليـه و سـلم انـه الشيطان جاء يشككهم في أمر دينهم . و اليك أخـي القـارىء هـذه القـصة الطريفـة الـتي جرت مع ابي هريرة رضي الله عنه و رواها البخاري ، قـال أبـو هريـرة رضـي الله عنـه : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحـث مـن الطعـام ، فأخذتـه ، و

قلت : و الله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال: أني محتاج، و علي عيال ،و لي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه و سلم" يا أبا هريرة ،ما فعل أسيرك البارحة ؟" قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته، فخليت سبيله، قال" اما انه كذبك وسيعود" ،فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت :لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ،قال :دعني فاني محتاج ،و علي عيال ، لا اعود ، فرحمته ، فخليت سبيله، فأصبحت ،فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك؟" قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة و عيالا فرحمته . فخليت سبيله قال:" اما انه كذبك وسيعود "،فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ،فأخذته فقلت : لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ،وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ، ثم تعود ! قال :دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت ما هو؟ قال: اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله، فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم:" ما فعل أسيرك البارحة ؟" قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال:" ما هي ؟ " قلت: قال لي : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم (الله لا اله الا هو الحي القيوم)، و قال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، و لا يقربك شيطان حتى تصبح، و كانوا أحرص شيئا على الخير ، قال النبي:" أما انه صدقك و هو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالي يا ابا هريرة ؟ " قال: لا ، قال:" ذاك شيطان. "

7ـ هل يدخل الجن في جسد الانسان؟

ويقول البحث لقد بدأت العداوة بين الشيطان والانسان منذ اللحظة التي خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، بل من قبل ذلك عندما كان آدم عبارة عن جسد، وقبل أن تنفخ فيه الروح، فقد كان جثة هامدة من طين أتى اليه الشيطان فرآه أجوفا ، فكان

يدخل من فمه ويخرج من دبره ويدخل من أنفه ويخرج من أذنه وهو أجوف. و الشيء اذا كان أجوفا فانه يكون غير متماسكا لذا كان يقول له: ان لك لشأنا ولئن أمرت بك لأعصين ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك. وقد ورد في صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله عليه وسلم قال:" لما صور الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل ابليس يطيف به ،ينظر ما هو ،فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتماسك" . وعندما نفخ الله الروح في آدم وأسجد الملائكة له ، أبي واستكبر وفضل نفسه على آدم وهو الذي كان من أعبدهم لله ، فغرته نفسه فكيف يسجد لهذا الذي خلق من طين فتعالى على الله ولم ينفذ الأمر الذي صدر من الله له وللملائكة ، فاستجابت الملائكة وعاند هو ورفض ذلك استحق أن يطرد من رحمة الله وأن يخرجه الله من الجنة لأنها لا يكون فيها متكبر متعال من خلق الله. فاذا علمنا هذا، علينا أن نعلم أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ،فحسب بل تعداه الى ما هو أبعد من ذلك،وهو توعده لآدم وذريته بالاغواء والاضلال و الاحتناك ، وانه سوف يأمرهم بتغيير خلق الله ، وقد أمهله الله عز وجل الي يوم البعث . ولله حكمة بالغة في ذلك ، والا فان الله قادر على أن يهلكه في تلك اللحظة .لذا ذكر لنا الله سبحانه هذا التفصيل في قوله عز وجل (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لان أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا). والآيات في هذا كثيرة جدا، فالعداوة حاصلة وستستمر ببقاء الدنيا لأن الشيطان يعتقد أن سبب خروجه من الجنة وطرده من رحمة الله انما كانت بسبب آدم وليس باستكباره واستعلاءه . فلذلك سوف يستمر بالانتقام من ذرية آدم بعد أن كان هو سببا في خروج أبينا من الجنة. ولو نظرنا نظرة متأمل لوجدنا أن الله ابتلى آدم بالشيطان وابتلى الشيطان بآدم حتى تملأ الجنة بعباد الله المتقين وتملأ النار بالكفرة والمشركين والمنافقين والعاصين .فلله في خلقه شؤون، وله الحكمة البالغة .ولذلك نجد أن أول مسة يمس الشيطان فيها الانسان ساعة ولادته وهذا ثابت بالدليلففي البخاري ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ": كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب".وفي البخاري أيضا " ما

من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل ارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها". والسبب في حماية مريم وعيسى أن الله استجاب دعوة أم مريم (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .(فهذا أول ايذاء للشيطان لأي مولود يولد من ذرية آدم. فكل هذه المقدمة والاستدلالات من الآيات الواضحات والأحاديث النبوية الثابتات انما تمهيد للموضوع الرئيس في هذا الباب وهو تلبس الشيطان في جسد الانسان وهو ما يسمى بالصرع. وقد تكلم فيه الكثيرون من العلماء خلفا عن سلف . وقبل الدخول في أقوال أهل العلم والتفصيل فيها نود أن نعرج الى قائد المعلمين صلى الله عليه وسلم ونري هل حدث شيء من هذا في عهده ؟ فهو قدوة الناس أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . فما ثبت في عهده فهو الحق المسلم به وما لم يثبت فليس بصحيح .نعم لقد حصل ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر من مرة ودليل من حفظ أقوى على من لم يحفظ. ففي سنن أبى داود ومسند أحمد "عن أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدى ، عن أبيها ، أن جدها الزارع انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فانطلق معه بابن له مجنون ، أو ابن أخت له مجنون ، قال جدي : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : ان معي ابنا لي أو ابن أخت مجنون ، أتيتك به تدعو الله له ، قال " أئتني به "، قال :فانطلقت به اليه وهو في الركاب فأطلقت عنه ، وألقيت عنه ثياب السفر ،وألبسته ثوبين حسنين، و اخذت بيده حتى انتهيت به الى النبي صلى الله عليه و سلم ، فقال : " أدنوه مني ، اجعل ظهره مما يليني " قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض ابطيه، و يقول : " اخرج عدو الله ،اخرج عدو الله" ، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول . ثم أقعده رسول الله ، صلى الله عليه و سلم، بين يديه ، فدعا له بماء فمسح وجهه و دعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله- صلى الله عليه وسلم – يفضل عليه . وفي مسند الأمام احمد أيضا عن يعلى بن مرة قال: رأيت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، ثلاث ما رآها أحد قبلي ،لا يراها أحد بعدى لقد خرجت معه في سفر حتى اذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة

معهـا صبي لها ، فقالت يا رسول الله : هذا الصبي أصابه بلاء وأصابنا منـه بـلاء يؤخـذ في اليوم لا أدري كـم مرة ، قال : " ناوليني " فرفعته اليه ، فجعله بينه وبين واسطة الرحـل ثـم فغر، فاه ، فنفث فيه ثلاثا، و قال : " بسم الله ، انا عبد الله ، اخسأ عدو الله " ، ثم ناولها اياه فقال: " القينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا مـا فعل"، قال فـذهبنا رجعنـا فوجـدناها في ذلك المكان معها ثلاث شياه ، فقال : " ما فعل صبيك ؟ " فقالت: و الذي بعثك بـالحق مـا أحسسنا منه شيء حتى الساعة ، فاجتـرر هذه الغنـم ، قال : "أنزل خذ منهـا واحـدة و رد البقية " .وبهذا الذي تقدم من حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم كفـى بهمـا حـديثين جليين عظيمين ترد على كل متأول أفاك كاذب لا يـؤمن بـدخول الجـن في داخـل جـسد الأنسي. أما ما حدث من سلفنا الصالح و التابعين فهو كثير جدا، و نؤخذ منـه مـثلا مـن امام أهل السنة و الجماعة الأمام أحمد بـن حنبـل رضـي الله عنـه و رحمـه الله).روي أن الامام أحمد كان جالسا في مسجده اذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل ، فقال : ان في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلني اليك ، لتدعو الله لها بالعافية، فأعطـاه الأمام نعلين من الخشب (أي قبقابين) قال : اذهـب الى دار أميـر المـؤمنين واجلـس عنـد رأس الجارية و قل للجني : قال لك أحمد : أيما أحب اليك : تخـرج من هذه الجاريـة ن او تصفع بهذا النعل سبعين ؟ فذهب الرجل و معه النعل الى الجارية و جلس عند رأسها ، و قال كما قال له الامام أحمد، فقال المـارد على لسان الجارية : السمع والطاعة لأحمـد ، لـو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه ، انه أطاع الله و من أطاع الله أطاعه كل شـيء . ثـم خرج من الجارية فهدأت ، و رزقت أولادا . فلما مات الامام عاد لها المارد ، فاستدعى لها الأمير صاحبا من أصحاب احمد ، فحضر ، ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد : اخرج و الا ضربتك بهذه النعل. فقال المارد : لا أطيعك و لا أخرج ، أما أحمد بن حنبل فقد أطاع الله فأمرنا بطاعته).وقد ذكر شيخ الاسلام ابـن تيميـة في مجمـوع الفتـاوى ، أن صـرع الجـن للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للانس مع الانس وهذا تلميـذ شيـخ الاسـلام ابن القيم في كتابه القيم " الطب النبوي " يذكر لنا حديث ويفصل فـي موضـوع

الصرع وتلبس الجن، فيقول: (أخرجا في الصحيحين ،من حديث عطاء بن أبي رباح ، قال : قال ابن عباس : " ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى. قال:هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلي الله عليه وسلم ، فقالت : اني أصرع ، وانى أتكشف ، فادع الله لى. فقال : ان شئت صبرت ولك الجنة ، وان شئت دعوت الله لك أن يعافيك ، فقالت : أصبر . قالت : فانى أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف . فدعا لها").هذا ما كان من المرأة السوداء ،قال ابن القيم (الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه . وأما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلائهم يعترفون به ،ولا يدفعونه . ويعترفون : بأن علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية ، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها . وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه ، فذكر بعض علاج الصرع ، وقال :هذا انما ينتفع في الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة وأما الصرع الذي يكون من الأرواح ، فلا ينفع فيه هذا العلاج . أما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع . وليس معهم الا الجهل) ونكتفي الي هنا بما ذكر ابن القيم ومن أراد الرجوع الى الموضوع مفصلا فهو في الطب النبوي، ص 51.

أما الواقع الذي نعيشه وعاشه غيرنا من المعالجين لهو اكبر وأكثر من أن يحصى عددا وكما، ولكن ليس كل الحالات التي يعالجها المعالجون هي تلبس وجن. فما نسمعه هذه الأيام من لغط حول ارجاع كل مرض الى الجن والمس و السحر العين فما هو الا سفه وقلة علم وجهل مركب. فكثير من هذه الحالات تعود الى مشاكل وأمراض قد تكون عقلية وقد تكون عضوية وقد تكون نفسية سببها مشاكل اجتماعية والهروب من مواجهتها، فيلجأ الى المعالجين ظنا من هؤلاء أن الأمر قد يكون عينا أو سحرا أو تلبسا بالجن. ونسأل الله العافية من كل سوء لنا و لاخواننا المسلمين والمسلمات . آمين.

8ـ وجوب الإيمان بوجود الجن:

أثبت القرآن الكريم في مواضع متعددة وجود عالم الجن، فوجب الإيمان بوجود الجن إيماناً جازماً.

قال الله تعالى) :وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ). وقـال تعـالى: (يَـا مَعْـشَرَ الْجِـنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ ، مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا، لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ) الرحمن: 33 .وأنظرالأحقاف: 29-31.

(1)تخرجوا هرباً من قـضاء الله. (2) فـاخرجوا وهـذا أمـر للتعجيـز. (3) بقـوة وقهـر، وهيهات .. ! (4) وجَّهنا إليك يا محمد. الواجب علينا أن نؤمن بالجن بأنهم عـالم حقيقـي ليس وهمياً تخيلياً ولا نفساً بشرية شريرة،وليس هـو مـن البـشرية الخبيثـة، ولا مـن نـوع الجراثيم المكروبية الضارة، فإن جميع هذه الأوهام والأفهام حَوْل الجن هي تحريـف لكـلام الله عن معانيه المرادة منه، وصرف له عن الوجه المخبَر عنه إلى وجه آخر هو في معزل عنه، وإنما الجن عالم غيبي حقيقي الوجود له شأنه وأحكامه .

حقيقة الجن:

قال الله تعالى: (خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ, وَخَلَـقَ الْجَـانَّ مِـنْ مَـارِجٍ مِـنْ نَـارٍ) الرحمن: 14-15.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُلِقَتِ الملائكة من نور وخُلِقَتِ الجـانُّ مـن مـارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم". رواه مسلم.

فالجن صنف غير صنف الملائكة وغير جنس الإنسان:

فالملائكة: خلقت من نور.

والإنسان: خلق من طين يابس كالفخار.

والجن: من مارج من نار أي من أخلاط من نار.

والجن مخلوقون قبل الإنسان:

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ، مِنْ حَمَإٍ، مَسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (الحجر: 26-27.

ففي أمر سجود إبليس - الذي هو من الجن - لآدم عليه السلام دلالة واضحة على أن الجن مخلوقون قبل آدم وهو الإنسان الأول.

-الجن يتناسلون ولهم ذرية.

قال الله تعالى: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا) الكهف: 50. فقد نص القرآن على أن له ذرية.

(1)طين يابس كالفخار. (2) طين أسود متغير. (3) مصور صورة إنسان أجوف. (4) الريح الحارة القاتلة. وقال تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ، برِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) الجن: 6 .فحيث كان في الجن رجال ففيهم الإناث، وذلك يقتضي التناسل.

ـ إن من شأنهم أن يرونا من حيث لا نراهم وهذا في شأن خلقتهم الأصلية. قال الله تعالى: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) الأعراف: 27.

-إن من شأنهم أن يتشكلوا بصور مختلفة كصورة إنسي أو حيوان فنراهم عندئذ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة

رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، فخلَّيت عنه، فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟" فقلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته وخليت سبيله، فقال صلى الله عليه وسلم: "أما إنه قد كذبك، وسيعود" قال أبو هريرة: فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول صلى الله عليه وسلم، فقال: دعني فأني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟" قلت :يا رسول شكا حاجة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، فقال: "أما إنه قد كذبك وسيعود."

وقال أبو هريرة: فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود! فقال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... } حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما فعل أسيرك البارحة؟" قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله! فقال صلى الله عليه وسلم: "وما هي؟" قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك

(1)يلتجؤون. (2) إثماً وطغياناً وغياً، وتعباً. (3) ذريته.

شيطان حتى تصبح، فقال صلى الله عليه وسلم" :أما أنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟" قلت: لا، فقال" :ذاك شيطان."

ـ الجن لهم قدرات كبيرة ومهارات عالية، وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن، وأن منهم العفاريت (1) الأشداء الأقوياء، فسخر لسليمان جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه يقومون له بأعمال البناء والغوص في البحار والأعمال الصناعية كالجفان(2) الكبيرة والقدور الراسية والأعمال الفنية كالتماثيل(3) والمحاريب إلى غير ذلك من أعمال كبيرة مختلفة.

قال الله تعالى: (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) النمل: 39. وذلك أن سليمان عليه السلام لما أراد إحضار عرش بلقيس(4) إلى مقام سليمان من مسافات بعيدة، انبرى عفريت من الجن أنه هو يأتيه به قبل أن يقوم سليمان من مقامه، فهذا التعهد من العفريت الجني والتزامه إحضار ذلك العرش مع قطعه تلك المسافات الشاسعة دليل على شدته وقوته وقدرته الكبيرة.

ـ الجن يأكلون أكلاً لا نعلم كيفيته وماهيته، وأن الله قد جعل زادهم من العظام وروث البهائم والفحم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تستنجوا بالروث ولا بالعظم فإنها زاد إخوانكم من الجن" رواه مسلم والترمذي.

(1)الأقوياء الماكرين الدهاة. (2) قصاع. (3) كانت التماثيل جائزة ثم حرمت في الإسلام. (4) ملكة سبأ في اليمن. (5) لسليمان. (6) قصاع كبار كالحياض العظام. (7) ثابتات على المواقد لعظمها.

(8)منقادة حيث أراد. (9 (في البحر لاستخراج نفائسه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا رسول الله انهَ أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حممة(1) فإن الله جعل لنا فيها رزقاً، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ـ إن الجن يموتون.

قال الله تعالى) :وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ، لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ، وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي، وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ، فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ، مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (الأحقاف: 17-18.

فهذا دليل على موت الجن طائفة بعد أخرى كالإنس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون."

10ـ الجن مطالبون بالتكاليف الشرعية:

الجن مكلفون كما أن الإنس مكلفون بالتكاليف الشرعية، وقد يختص الجن بأحكام لا يكلف بها الإنس وكذلك قد يختص الإنسان بأحكام لا يكلف بها الجن، لاختلاف الجنسين عن بعضهما البعض.

قال الله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (الأنعام: 130.

وقال تعالى إخباراً عن الجن: (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا، وَلا رَهَقًا (الجن: 13. دلت الآيتان على أن الجن مكلفون كتكليف الإنس، وتوجه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس. (1) فحم. (2) كلمة تضجر وتبرم وكراهيته. (3) أن أبعث من القبر بعد الموت. (4) مضت الأمم ولم تبعث. (5) أباطيل الأولين المسطرة في كتبهم. (6) وجب عليهم العذاب. (7) مضت وتقدمت وهلكت. (8) نقصاً في ثوابه. (9) ولا غشيان ذلةٍ له.

وأنظر أيضاً سورة الأحقاف:29-32. ومما يظهر في هذه الآيات أنهم مكلفون، وأنهم قالوا لقومهم: يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به، فهم مأمورون بإجابة الرسول وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر به صلى الله عليه وسلم.

11ـ بلوغ دعوة الرسل إلى الجن:

قال الله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) الأنعام: 130-131. فهذا إقرار من الجن والإنس بأن الرسل قد بلغت وأوضحت وأنذرت، والكافرون منهم يشهدون على أنفسهم بالكفر وأنهم غرتهم الحياة الدنيا، ثم نبه الله سبحانه وتعالى بعد اعترافهم وإقرارهم بإقامة الحجة عليهم بأن الله لا يعذب قوماً، لم يرسل إليهم من ينبههم من غفلاتهم، ويوقظهم من سكراتهم، ويخرجهم من ظلماتهم حتى لا يبقى عذراً لمعتذر ولا حجة لمن يحتج حتى إذا عذبهم عذبهم بحق وعدل.

12ـ بلوغ دعوة رسول الرحمة إلى الجن:

إن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عامَّة إلى الجن والإنس وقد بلغ رسول الله دعوته إلى الجن دون شك ولا ريب .

ـ وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن للجن قال الله تعالى:(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) الجن: 1-2 .

وأنظر أيضاً سورة الأحقاف: 29. وهذا يثبت بلوغ دعوته إلى الجن قطعاً، وكان ذلك عن طريق توافدهم عليه، واستماعهم إليه صلى الله عليه وسلم، وعن طريق ذهابه إليهم، وقراءته عليهم وسؤالاتهم وجواباته لهم. عن علقمة قال: سألت ابن مسعود رضي الله عنه هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب! فقيل استطير؟! أو اغتيل؟!- استفهام تعجبي - قال ابن مسعود: فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حِراء، فقلنا :يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال صلى الله عليه وسلم: "أتاني داعي الجن، فذهبت معهم، فقرأت عليهم القرآن" (22)

قال ابن مسعود: فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه عن الزاد، فقال: "كل عظم ذكر اسم الله يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم" رواه مسلم.

وعن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا. فقال" :لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم! كنت كلما أتيت على قوله تعالى) :فَبِأَيِّ ءالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قالوا: لا شيء من نعمك ربَّنا نكذب، فلله الحمد."

13ـ أصناف الجن:

الجن أصناف متعددة:

ـ منهم الصالح وغير الصالح: قال الله تعالى إخباراً عن قول الجن: (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) الجن: 11.

ـ ومنهم المسلم والكافر: قال الله تعالى إخباراً عن قول الجن: (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا،وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) الجن:14-15. (وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) الأنعام: 130 .

ـ والجن أصحاب آراء مختلفة ومشارب متفرقة وطرق متعددة، قال الله تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) الجن: 11. (1) الجائرون بكفرهم العادلون عن طريق الحق (2) .خيراً وصلاحاً ورحمة. (3) مذاهب متفرقة ومختلفة.

ـ إبليس من الجن. قال الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ، عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) الكهف: 50.

ـ الكافر من الجن يسمى شيطاناً قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (الأنعام: 112.

14ـ عداوة الشيطان للإنسان:

قال الله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فاطر: 6.

ومن عداوة الشيطان للإنسان:

أنه يزين للإنسان أعماله من كفر وطغيان وفساد، قال الله تعالى) :تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النحل: 63.

وأنَّ الشيطان يثير ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس، ويصد عن سبيل الله. قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ) المائدة: 91.

وأنَّ الشيطان يوقع الشرور ويفسد ذات البين: قال الله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ، بَيْنَهُمْ) الإسراء: 53.

وأن الشيطان يعد الإنسان بالفقر واليأس ويأمره بالفحشاء: قال الله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) البقرة.268 :

وأن الشيطان يسعى في تحزين الإنسان: قال الله تعالى: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ)

المجادلة.10 :

وأن الشيطان يقذف في قلب الإنسان الظنون السيئة والأباطيل :

عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب(3) فقام

معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (1) خرج عن طاعة الله. (2) يفسد ويهيِّج الشر. (3) لأرجع.

"على رِسلكما(1)، إنها صفية بنت حُيي"، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً - أو قال شيئاً(2) -" متفق عليه.

وأن الشيطان يوسوس للإنسان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي الشيطان أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فلتستعذ بالله ولينته ." والمعنى فليترك هذا الخاطر الباطل، وليفكر بالأمر الحق، لئلا يسيطر عليه الشيطان بذلك الوسوسة الفاسدة.

15ـ مدى تأثير الشيطان على الإنسان:

إن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا، فلا سبيل له عليهم إنما سبيله على الذين اتبعوه قال الله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ) الحجر: 42.عمل الشيطان في نفس الإنسان ينحصر بالوسوسة الخفية، فالمؤمن يطرد هذه الوسوسة بفضل الإستعاذة بالله والذكر، أما غير المؤمن فيستجيب لوسوسة الشيطان وينساق إلى طريقه، فيتسلط الشيطان عليه، ويمده في الغيِّ ويزين له الشر والضلالة. قال الله تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ، مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ، مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا، فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ، ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ) الأعراف: 200-202.

16ـ هل الجن تخبر بعلوم أو أخبار غيبية أو غير غيبية للإنسان؟

العلوم والأخبار على قسمين:

القسم الأول: علوم تتعلق بالأمور المشهودة أو الأخبار عن الوقائع الماضية: قد تلقي الجن هذه العلوم، أو علوم لم تبلغنا، وقد بلغت للجن على قرنائهم من الكهان، ويجب أن لا نثق بكلامهم لأنه لا يوجد مقاييس عند الإنسان لمعرفة الكاذبين منهم والصادقين. (1) مهلكما. (2) شك من الراوي. (3) يُصيبنَّك. (4) وسوسة. (5) أصابتهم وسوسة ما. (6) تذكروا أمر الله ونهيه وعداوة الشيطان. (7) تعاونهم مع الشياطين في الضلال. (8) لا يكفُّون عن إغوائهم

القسم الثاني: علوم غيبية:

ـ إمَّا أن تكون استأثر الله بعلمها، وهذا لا يمكن لنبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جني ولا إنسي معرفة شيء منها. فإذا أخبرت الشياطين وادعت أنه من علم الغيب مما استأثر الله به فإنه كذب وافتراء على الله.

قال تعالى: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) النمل: 65.

ـ وإمَّا أن تكون من المغيبات التي قضي أمرها في السماء وأصبحت معلومة لبعض الملائكة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة تنزل في العنان فتذكر الأمر الذي قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم" رواه البخاري.

جفالجن قد تسترق السمع من الملائكة بعد نزولها إلى جـو الأرض، وتخـبر الكهـان، ولكن لا نثق بأخبارهم لأن دأبهم أن يكذبوا.

ـ أمَّا استراق الشياطين السمع من السماء فقد منعوا منـه بالـشهب عنـد بعثـة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى إخباراً عن الجن (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَـتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَـهُ شِـهَابًا رَصَدًا) الجن: 8-9.

ولا يجوز أن يتلقى المرء أيَّ خبر من الشياطين، وكل من يفعل ذلك فهو آثم عند الله عزَّ وجلَّ.

قال الله تعالى: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَـى كُـلِّ أَفَّـاكٍ أَثِـيمٍ، يُلْقُـونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) الشعراء: 221 -223.

تنبيه: فليحذر المرء من المشعوذين والسحرة الذين يـدعون أنهـم يعرفـون الغيـب، وأنهـم يتصلون بالجن، وينسبون إلى الجن النفع والضرر، فهؤلاء عصاة لله وللرسول، ويريدون أن يلعبوا بعقول السذج من الناس، وأن يستولوا علـى المغفلـين ضـعفاء الإيمـان ليـضلوهم، وليجعلوا من الشعوذة والسحر والتعامل بالجن مهنة ومصلحة تدرُّ لهم الأمـوال الطائلـة، فلا يجوز لأي شخص أن يـأتي الكهـان ليطلـع مـنهم علـى بعـض الأمـور، وقـد ورد في الحديث "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد."

(1)حرَّاساً أقوياء من الملائكة. (2 (شُـعَل نـار تـنقضُّ كالكواكـب. (3) راصـداً مترقبـاً يرجمه.

وليعلم كل امرئ أنه لا ضارَّ ولا نافع إلا الله سبحانه وتعالى، وأن الجن لا يضرون ولا ينفعون إلا أن يشاء الله.

17ـ مصير الجن في الآخرة:

إن كفار الجن هم في النار يوم القيامة .قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا، لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ (الأعراف: 179. وقال تعالى: (وَتَمَّتْ، كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) هود: 119 .

شبهة: إن الجن خلقوا من نار فكيف تؤثر فيهم نار العذاب في الآخرة؟

دفعها: لا يلزم من كون الجن خلقوا من نار أن يكونوا ناراً أو أن النار لا تؤلمهم، فإن الإنس من تراب، ولكن ليسوا تراباً بل أنشأهم الله تعالى وطورهم وصورهم، ولو أن إنساناً وقع عليه تراب كثيراً وهدم عليه بيت من التراب لهلك، ومات أو استغاث من الآلام والأوجاع، وهكذا الجن خلقوا من نار ولكنهم ليسوا ناراً بل أنشأهم الله تعالى وطورهم وصورهم، وإن النار تؤلمهم وتحرقهم وتعذبهم.

18ـ وإن مؤمنين الجن في الجنة:

قال الله تعالى إخباراً عن الجن) :وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا) الجن: 13. والمعنى من آمن بربه فلا يخاف نقصان الثواب، ولا الزيادة في العقوبة وهذا نظير قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا) طه: 112.

(1)أوجدنا. (2) وجبت وثبتت. (3) ثنبت وتحقق ونفذ القضاء. (4) الجن. (5) نقصان في ثوابه. (6) قَصَرْن أبصارهن على أزواجهن. (7) لم يفتضَّهُنُّ قبل أزواجهن أحد.

وقال تعالى: (حُورٌ، مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) الرحمن: 72 - 75. وهذا مما يشير إلى أن مؤمني الجن في الجنة .

ب ـ السّحر والسّحرة

1ـ هل للسحر وجود ؟

يشكك البعض في وجود السحر وحقيقته، فلا ينبغي عندهم أن يكون له وجود أصلاً، ويرده البعض الآخر ويكذبون الأحاديث الصحيحة التي تبين أن النبي صلى الله قد سحرعلى يد يهودي.

وفي مقالنا التالي نحاول أن نبين ما ينبغي على المسلم اعتقاده في هذا الشأن ، ونبين أيضاً ما عليه عامة أهل العلم من حقيقته السحر ووجوده ، فنقول : ورد لفظ السحر ومشتقاته في أكثر من ستين موضعاً في القرآن الكريم في سبع وعشرين سورة . من ذلك: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ (الآية رقم (102) من سورة البقرة. وقوله تعالى (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) الآية رقم (116) من سورة الأعراف والآيات بعدها. وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) الاية رقم

(18) من سورة يونس. وآيات كثيرة ورد فيها ذكر السحر من سور هود والحجر والإسراء وطه والأنبياء والمؤمنون والفرقان والشعراء والنمل والقصص وسبأ والصافات وص وغافر والزخرف والاحقاف والذاريات والطور والقمر والصف والمدثر والفلق وقبل ذلك في المائدة والأنعام.

2ـ علاج السحر

السحر حقيقة واقعة لا شك فيها ، أخبر القرآن عنها وأنها من عمل الشياطين ، فقال تعالى: (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) البقرة 102 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه سُحر فكان يُخيل إليه أنه يفعل الشئ ، وما يفعله ، فدعا الله فشفاه مما نزل به .وجاء الشرع الحنيف بالرقية – وهي التعوذ - كعلاج لهذا الداء، وذلك بقراءة المعوذات وسورة الفاتحة وغيرها من الآيات والأدعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم. وقد صح عنه صلى عليه وسلم أنه كان ينفث على يديه بالمعوذات ، ويمسح بهما وجهه ـ والنفث النفخ الخفيف مع شئ الريق ـ وعند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال : (رخص لنا رسول الله في الرقى) . وفي مقالنا التالي نذكر بعضاً من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة، التي يقع بها النفع بإذن الله إذا قرئت عند وجود السحر فمن ذلك: قراءة آيات وأحاديث الرقية في أذن المريض وهي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. أعوذ بالله العظيم وبوجهة الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم.سورة الفاتحة .الآيات الخمس الأول من سورة البقرة وآية 102 من سورة البقرة. (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (البقرة:286 (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) البقرة:255 والآيتان من سورة آل عمران { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ...) آل عمران:18:19 والآيات من سورة الأعراف (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ...) 117ــ 122: الأعراف، والآيتان (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ..) يونس: 81 ـ 82. والآية) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) طه:69 . والآيات العشر الأول من سورة الصافات (والصافّات صفّاً فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً*فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرا، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ*ربُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَربُّ الْمَشَارِقِ، إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ*وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) الصافات :1 إلى 10 ، والآيات من سورة الرحمن (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ. ....) الرحمن:33 إلى 36 ، والآيات التسع الأول من سورة الجن (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً... فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) الجن:1إلى 9 وسورة الإخلاص (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)

وسورة الفلق (قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسدا إذا حسد) .وسورة النـاس (قـل أعـوذ بـرب النـاس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، مـن الجنة والناس) . وبعد قراءة هذه الآيات إما أن يصرع المريض وينطق الجني علـى لـسانه . فيسقي المريض من الماء المقروء عليه حتى تزول الآثار والأعراض. .ويطلب مـن المـريض المداومة على قراءة آيات الرقية أو سماعها من شريط. وإما أن يشعر المريض بعـد القـراءة بدوخة أو رعدة أو انتفاضة أو صداع شديد أو أوجاع مفاجئة في مكان ما من الجسم فيعيد قراءة الرقية مرة ثانية وثالثة ويشرب من الماء المقروء عليه ، ويستمر على ذلك ثلاثة أيام أو سبعة أيام أو تسعة أيام. ولو سمع سورة الصافات كلها من شريط أو قرأها أو قرئت عليه وكذلك تكرار آية الكرسي مراراً كثيرة ، فذلك سبب كبير لـزوال آثـار الأذى والـسحر ، وقد لا يشعر المريض بشيء أثناء الرقية فيسأل من الأعراض مرة ثانية فـإن لم يجـد معظـم الأعراض متوفرة فليس بمسحور ويمكن التأكد بقراءة الرقية ثلاثة مرات، وعليـه أن يكثـر من قول :لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحتى لا يجدد الساحر سحره، فينبغـي على المريض إذا عافاه الله وشفاه أن يحافظ على الصلوات الخمس في جماعة ويحـافظ علـى صلاة الجمعة، ويحافظ على الوضوء دائماً وخصوصاً قبل النوم، ويحافظ على قراءة سورة الفاتحة وآية الكرسي والمعوذات قبل النوم ، ويحافظ على الاسـتعاذة والبـسملة في دخولـه وخروجه من البيت أو من الخلاء، ويحافظ على قول لا إلا الله وحدة لا شـريك لـه ، لـه الملك وله الحمد وهو على شيء قدير مائة مرة بعد الفجر. ويحافظ على قراءة القرآن كـل يوم أو سماعه .ويحافظ علـى أذكـار الـصباح والمـساء .ويحـافظ علـى صـحبة الـصالحين والصادقين .ويبتعد كل البعد عن الكبائر والصغائر من الذنوب ويبتعد عن سماع الأغاني

والموسيقي، ويبتعد عن أصحاب السوء والسهرات الغافلة. ولا يخبر أحداً من الناس بما هو فيه وبعلاجه حتى يشفيه الله عز وجل ويحفظه من كل شر وأذى ومكروه . فبقراءة الآيات التي سقناها والأدعية المأثورة التي أوردناها ، يحصل العلاج من السحر بإذنه تعالى، وذلك أن الله سبحانه وتعالى ما أنزل من داء إلا وأنزل معه دواء، وقد أوضح لنا ديننا الحنيف كيفية العلاج من السحر ، وأرشدنا إليه ، فلنحرص على التمسك بما صح من ذلك، ولنبتعد عن كل ما نهى عنه شرعنا الحنيف.فعلى المؤمن أن يكون على يقين تام، أن ما شرعه الله وسنه رسوله من دواء لا يكون الشفاء إلا به ، وفي الدعاء الثابت عنه صلى الله عليه وسلم قوله : اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، لا يغادر سقماً .

هناك روايتين عن اسطورة وخرافة الجن إحداهما قديمة، والأخرى حديثة، أما الأولى ذكرت في بعض كتب التاريخ،ومفادها أنه في عهد الدولة العباسية انتشر الخبر أن ثمة جنيًا غريب الأطوار يظهر ليلاً في منطقة موحشة من بعض الطرق الموصلة إلى (بغداد)، ويثير الذعر في قلوب المسافرين. فتحاشى الناس المرور بتلك المنطقة ليلاً. وذات ليلة مرّ أحد المسافرين الشجعان بتلك المنطقة، فظهر له ذلك الكائن الغريب، كان له شكل غير عادي، وكان يصدر أصواتًا غريبة، ويقوم بحركات مريبة، لكن الرجل الشجاع تماسك، واستلّ سيفه، وانقضّ على ذلك الكائن الغامض، وسرعان ما تراجع الكائن هاربًا، وطارده الرجل، وأمسك به، وسرعان ما انكشفت الحقيقة.إن ذلك الجني لم يكن سوى امرأة، ورجت الرجل ألا يقتلها، وذكرت أنها جارية لبني فلان، كانوا يظلمونها، ففرّت إلى تلك البراري، ولجأت إلى ذلك الكهف القريب من ذلك المكان، وراحت تتظاهر ليلاً بأنها جنية، وتقطع الطريق على المسافرين، فيولّون فرارًا، فتأخذ بعض ما يتركونه وراءهم من

متاع وأموال، وكانت تجمع تلك الأشياء في الكهف.وأما حديثًا فجاء في كتاب موسوعة حلب لـ (خير الدين الأسدي) أنه كان في حلب- خلال بدايات القرن العشرين- أحد القصور القديمة.. كان قصرًا فخمًا ومع ذلك تحاشى الناس السكن فيه شراء أو استئجارًا؛ إذ شاع الخبر أنه مسكون بالجن. وذات مرة تزوّج أحد شطّار حلب المعروفين بالرجولة ، وقرر أن يتخذ بعض غرف ذلك القصر مسكنًا له ولعروسه، فحذّره الناس من الجن، لكنه لم يلتفت إلى أقوالهم، فهو يعمل عتّالاً ولا يملك دارًا، وليس عنده من المال ما يستأجر به دارًا مناسبة. وفي بعض الليالي خرج الزوج لبعض أموره، وبقيت زوجته وحدها في الدار، وبعد حلول الظلام- ولم تكن حلب منارة بالكهرباء حينذاك- إذا بها ترى من زجاج النافذة شبحين يظهران في فناء القصر، ويقومان بحركات غريبة، ويصدران أصواتًا غامضة، فدبّ الذعر في قلب المرأة، وكادت تموت رعبًا، ولم يبق عندها شك أن هذين الشبحين من الجن، ولما رجع الزوج، ذكرت له الخبر، ورفضت البقاء في ذلك القصر، لكن الزوج طمأنها، وأكّد لها أنه سيجد مخرجًا لهذه المشكلة.وفي الليالي التاليات لزم الزوج الدار.. وفي منتصف الليل إذ بالشبحين يظهران ثانية، ويقومان بما قاما به سابقًا، ويقتربان من النافذة والباب، وسرعان ما انقضّ عليهما الزوج من خلف الباب، وأمسك بأحدهما، وإذا به يستغيث قائلاً:(دخيلك ! لا تقتلني.. أنا فلان!)، وإذا هو أحد الشطّار أيضًا، وسأله الزوج عن السر فيما يقوم به هو وصاحبه. فذكر أن أحد الأغنياء في الحارة يريد شراء القصر بثمن زهيد، فأشاع الخبر أن القصر مسكون بالجن، وقد استأجرهما ليظهرا ليلاً لكل من يشتري القصر أو يسكنه على أنهما من الجن، فصدق الناس الإشاعة، ولم يجرؤ أحد على شراء القصر أو استئجاره.وغير هاتين القصتين نجد أن الخيال لعب دورا مهما في رسم صور الجن والشياطين والأشكال المختلفة التي رأيناها لهذه المخلوقات في

الكتب واللوحات الفنية وحتى في الأفلام السينمائية نجد العديد من الأفلام تعرضت لهذا العالم الغامض أجل وبحق للخرافة حضور طاغٍ في آليات تفكيرنا، وكانت الأسطورة أحد مداخلنا إلى فهم العالم من حولنا، وكان غياب الخرافات والأساطير من حياة أبناء الريف حينذاك يعني دمار رؤيتهم الوجودية، وتركهم معلّقين في الفراغ، اما الان فنحن بحاجة إلى مزيد من الوقت، وإلى كثير من الصراع مع المناخ الثقافي السائد من ناحية، والصراع مع الذات من ناحية أخرى، للخروج من دائرة الفكر الأسطوري، والأخذ بناصية العلم والمعرفة والتكنولوجيا وامتلاك رؤية ممتنعة على الخوف من الكائنات الخرافية التي لا أساس لوجودها البتة، والتعامل مع مكوّنات هذا العالم بقدر أكبر من العلم و الثقة والأمان والواقعية لننشئ أجيالا وشعوبا لا تستمرئ الذل والهوان .

وربما كان لانتشار تلك الأساطير وتصديقها أسباب وجيهة في المجتمعات غير المسلمة نظراً لافتقادهم لمصدر موثوق يخبرهم عن هذا العالم المجهول والغريب ، لكن ما هو سبب انتشار تلك الأساطير وما ترسمه من معتقدات خاطئة ، وما يتبع ذلك من ممارسات خطيرة في مجتمعاتنا المسلمة ، والقرآن قد اعتنى بكشف هذا العالم الخفي ، وكذلك السنة النبوية المطهرة ، حتى لا تجد الأساطير والخرافات مجالاً في عقل المسلم تحرفه عن اعتقاده أو تؤثر على سلوكه ، ولعل السبب وراء انتشار تلك الظاهرة - في نظرنا - يعود إلى بعد الناس عن تلقي هذه المعرفة (المعرفة بالجن) من مصادر الشرع المطهر ، وتلقيها من أساطير وأحاديث الناس ، ولا سيما الكهنة والسحرة الذين يحاولون إضفاء نوع من الهالة على ما يقومون به من اتصال بالجن ، وبقاء بعض الأقوام على ما ورثوه من عادات وتصورات جاهلية ، لم يصححوها بعد إسلامهم ، فتناقلت الأجيال هذه التصورات

والعادات إلى يومنا هذا لتصبح جزءا من الموروث الشعبي الذي يتحدث عن عالم الجن الغريب، تلك هي أهم الأسباب التي شكلت تلك التصورات عن الجن .

ادعاءات كاذبة

هناك قضية شغلت الرأي العام في مصر طوال شهر إبريل عام (1980) م وما بعده ، ذلك أن رجلا يقوم بتشخيص الأمراض التي يعاني منها بعض الناس ويصف لهم العلاج والدواء الذي يشفيهم ويريحهم من . .آلامهم وهو الذي يكاد أُميّاً واسم هذا الرجل عبد العزيز مسلم شديد أبوكف وشهرته " أبو كف " عمره ثلاثون سنة انقطع عن الدراسة وهو في الصف الثاني الإعدادي والتحق بالقوات المسلحة وفي عام (1966) م أصابته شظية طائشة في العمود الفقري أثناء حرب الأستنزاف على جبهة قنال السويس وأسفرت الإصابة عن شلل في ساقيه فترك القوات المسلحة وعاد إلى قريته ليعيش مقعدا مع والدته واخوته ... وذات ليلة كان " أبو كف " يعاني من الضيق والأرق إذ فوجئ بامرأة ترتدي جلباباً أبيض وتلفُّ رأسها بقطعة بيضاء بدت المرأة في أول الأمر كأنها صورة من الدخان مرسومة على الحائط ... ثم لم تلبث تلك الصورة أن تجسدت وخطت ببطء نحو فراشه وقالت له : أنا الحاجة سأشفيك من الشلل ولكن بشرط ولكن الفتى لم يرد لأن الرعب عقد لسانه عن النطق وتصبَّب العرق من جبينه وصدره حتى بلل ملابسه ولكن المرأة كررت قولها ثانية وأخبرته أنها جنية مؤمنة تمدُّ له يد المساعدة ثم تلاشت في الحائط الذي خرجت منه وخشي " أبوكف " أن يخبر أحداً من أفراد أسرته فيتهمونه بالجنون فطوى سرَّه بين ضلوعه وفي الليلة التالية عادت الحاجة مرة أخرى وفي الليلة الثالثة سألها عن شرطها فقالت : أن تقبل الزواج من ابنتها لأنها وحدها التي تستطيع إسعاده فطلب منها أن تمهله ليفكر وحرص " أبوكف " بعد ذلك أن يأوي إلى فراشه مبكرا كل ليلة ويغلق بابه بالداخل بالمفتاح وكانت الحاجة وابنتها تخرجان إليه من الحائط وتظلان معه حتى الفجر يأكلون معا ويسمرون وكانت البنت جميلة

الصورة رشيقة الجسم متفتحة الأنوثة هادئة ناعمة رقيقة دافئة كما يصفها أبوكف وأخبر أبوكف الحاجة أنه قبل شرطها وفي الليلة التالية تمَّ الزواج وصدحت الموسيقى في أركان الغرفة وزفت العروس إلى العريس على دقات الدفوف ولم يكد العريس يعانق عروسه في الفراش (بعد أن غادرتهما الحاجة) حتى أحس بالحياة تسري في ساقيه المشلولتين ،وفي اليوم التالي فرحت أم "أبي كف" واخوته بشفائه عندما شاهدوه يمشي على قدميه لكنه لم يبح بسره إلى أحد إلا أن الفرحة لم تتم فقد تغَّير سلوك الشاب تماما فقد أصبح دائم العزلة في غرفته لا يغادرها إلا نادرا كان يأكل ويستحم فيها ويقضي نهاره وليله خلف بابها وعندما لاحظه اخوته يتحدث مع أشخاص لا يرونهم ظنُّوا أنه فقد عقله أما هو فقد كان سعيدا بعروسه الجميله وفي خلال سنتين أنجب منها طفلين ومع أن زوجته وطفليه كانوا معه كان وحده فقط الذي يستطيع رؤيتهم وسماع أصواتهم وذات ليلة زارته الحاجة وأخبرته أنها قررت أن تتخذ منه وسيطا يعاونها على شفاء المرضى من بني الأنسان وطلبت منه الأنتقال إلى بيت آخر لأن والدته واخوته يحدُّون من حرّيته وزوجته وطفليه ... وبعد ثلاثة أيام استأجر "أبوكف" منزلا صغيرا في مدينة شبرا الخيمة وبدأ منها يمارس نشاطه الجديد في علاج المرضى واستطاع أن يشفي حالات من العقم والشلل وأمراض الكبد والكلى والصدر وأجرى عمليات جراحية ناجحة مثل : عملية الزائدة واستئصال سرطان الثدي وكان يأخذ على المريض خمسة وعشرين قرشا نظير الكشف عليه ... وكان الكشف يتمّ بمجرد النظر إلى المريض أما العلاج والدواء والجراحة فبالمجان وكان يعالج مرضاه بالأعشاب أحيانا وفي أغلب الأحيان بأدوية يقوم بشرائها على نفقته من الصيدليات وعندما ذاع صيت "أبي كف" واتسع نطاق نشاطه تقدم أحدهم ببلاغ إلى رئيس مباحث قسم أول شبرا الخيمة الذي قام أولا بجمع التحريات التي دلت على أن الشيخ "أبوكف" يزاول الطبَّ بدون ترخيص فأصدر إذنا من النيابة بالقبض عليه وأمام وكيل نيابة شبرا الخيمة اعترف أبوكف بأنه يقوم بالكشف على المرضى وعلاجهم وإجراء العمليات الجراحية لهم بأمر الحاجة ... وأنه لا يستطيع عدم تنفيذ الأمر

خشية أن يتعرض للأذى وعندما سأله وكيل النيابة عن اسم الحاجة وعنوانها لإلقاء القبض عليها فوجئ بأنها ليست بشرا وأنها جنية مؤمنة وأنهى وكيل النيابة التحقيق وأمر بحبس " أبي كف " أربعة أيام وإحالته إلى محاكمة شرعية ولم يكد وكيل النيابة ينهي التحقيق حتى شعر بصداع حاد في رأسه اضطره إلى مغادرة مكتبه ليلازم الفراش في بيته ... وفي يوم الثلاثاء (15) من أبريل (1980) م عقدت محكمة شبرا الخيمة جلستها وجاء " أبوكف " واعترف بكل ما نسب إليه وأراد القاضي أن يختبر قدرة المتهم فطلب منه تشخيص الأمراض التي يعاني منها ستة من المحامين كانوا موجودين في الجلسة ونجح " أبوكف " في الامتحان نجاحا مؤهلا فقد ذكر لكل واحد من المحامين الأعراض التي يعاني منها وشخَّص له مرضه ووصف له الدواء ثم جاء الدور على القاضي ومن بعده الجمهور الموجود في القاعة ... وكان الحوار بين القاضي والمتهم مثيرا وصيحات " الله أكبر " تتعالى في أرجاء المحكمة ورغم ذلك فقد أمرت المحكمة بإحالة " أبي كف " إلى مستشفى الأمراض العصبية لتوقيع الكشف الطبي عليه مع استمرار حبسه لحين نظر القضية في جلسة الأحد من إبريل (1980) م ، ونشرت صحيفة الجمهورية كلَّ تفاصيل القصة في عددها الذي صدر صباح الأربعاء (16) من أبريل سنة (1980) م وأثار ما نشر جدلا كثيرا وانبرى عدد من رجال الدين والأطباء وعلماء النفس والروح كل يدلي برأيه قال بعضهم : إن " أبا كف " دجّال وقال البعض الآخر : انه على اتصال بقوى خفية أما تقرير مستشفى الأمراض النفسية فقد جاء فيه أن " أبا كف " مصاب باختلال واضطرابات في التفكير وان حالته تدخل ضمن جنون العظمة .. ووسط كل هذا الدويّ لم يقوَ أحد على تفسير نجاح الشيخ " أبي كف " في علاج بعض الناس حتى الشفاء ولإجرائه عمليات جراحية ناجحة للبعض الآخر وفي صباح الأحد (22) أبريل (1980) م عقدت محكمة شبرا الخيمة الجزئية جلستها برئاسة القاضي الذي أعلن براءة الشيخ " أبي كف " من جميع التهم الموجهة إليه ... وجاء في حيثيات الحكم : " لقد ذكر المتهم أنه مسيّر ولا يملك حرية الاختيار وأنه لا يستطيع معارضة القوى الخفية التي تسيطر عليه وتستخدمه

في تنفيذ أوامرها وإلا تعرض للأذى وأن التشريع العقابي قد خلا من نص يحرم ما أسندته النيابة للمتهم من اتهام لأن الاتهام المسند للمتهم هو الأستجابة لقوى خفيّة غير منظورة وأن المحكمة وان كان قد ثبت لديها أن ما قام به المتهم من تشخيص للمرضى من بعض المرض صحيح رغم أنه ليس دارسا للطب إلا أنها لا تستطيع أن تجزم بيقين اتصال الجان بالمتهم لأن ذلك أمر يخرج عن قدرتها وقدرة أي شخص ولما كان التشكيك يفسر لصالح المتهم لأن الأصل في الأنسان البراءة فأن المحكمة تشكك في إسناد الاتهام إلى متهم يسنده هو إلى القوى الخفية التي لا يستطيع معارضة أمرها وتستخدمه كآلة وإلا تعرض للأذى ... وهلّل "أبو كف" عند سماع الحكم وقال للصحفيين : إن الحاجة كانت حاضرة أثناء الجلسة وأنها كانت تقف خلف القاضي وهو يقرأ حيثيات الحكم وعندما سأله أحد الصحفيين عن أوصاف الحاجة واسمها قال : إن ذلك محظور عليه وان كل ما يستطيع قوله : إنها من الجن

بعض معتقدات الشعوب في الجن

أولا : من معتقدات النوبيين في الجن

لا يزال كثير من النوبيين يلقون الطعام ويوقدون الشموع للدجري "جن النيل" حتى يومنا هذا في طقوس زائدة تنم عن الإجلال والتهيب والخوف والرجاء .. ويعتقد أهل النوبة أن "الدجري" كائنات خيرة تحمي من الأمراض، وتحفظ الأطفال من الغرق في النيل، وتقي من العقم، وفي مقابل ذلك يدفع لها النوبيون الطعام بصورة ثابتة ودائمة.. ففي الزواج والولادة والختان وغيرها يتوجه الناس إلى النيل حاملين معهم الثريد .. وربما تذبح ذبيحة لهذا الغرض، ويضعون الطعام في شيء شبيه بالزورق من سعف النخيل، مع شيء من الزيت، وفتيل من القطن مشتعل ، ويتركون هذا كله على سطح الماء، وسط

الأغاني والاحتفالات ، وربما قذف بعضهم الطعام قذفًا في الماء أو رمى بالعطور والحناء، ويأخذون قليلاً من ماء النيل ليمسحوا جسد الصبي تبركًا، وكذا المرأة العقيم. فهي طقوس تجمع بين الرؤية الوثنية، وعبادة الجن، والتعميد بالماء كما يفعل النصارى، مع خلط ذلك كله بلمسة من الأدعية الإسلامية، ليخرج مزيج غريب من المعتقدات غير السوية.

من معتقدات اليمنيين في الجن:

وفي بلاد اليمن حيث تنتشر هذا المعتقدات الضالة في مكان وتقل أو تنعدم في مكان آخر تبعا لزيادة ونقصان الوعي الديني لدى الناس، يحدثنا الشيخ القاضي عبد القادر العماري أن الصيادين في مطلع موسم الصيد يحرصون على أن يكون صيدهم وفيرًا وموسمهم عامرًا ، لذلك كانوا يلجؤون إلى الممارسات الخرافية ، فكانوا يأتون بكبش أسود اللون ، يدفعونه إلى البحر حتى يتخبط في شباكهم ، ثم يذبحونه من قفاه، ويقطعونه قطعًا صغيرة يلقونه في المناطق التي يصطادون منها ، ويزعمون أن هذا يرضي الجن في البحر ، فيأذنون أن يخرج الصيد وفيرًا ، وذكر أيضاً أن الزراع قبل البذر يأتون بكبش يذبحونه ثم يأخذون أمعاءه ، ويدفنونها في وسط الحقل ، يظنون أن الجن سترضى بذلك ، وأن السنابل ستكون حبلى بالحبوب مكتظة بالخير ، وهذه عادة وثنية ذات جذور قديمة ، فقد كان الإنسان القديم يقدم الفديات للآلهة الخاصة بالإخصاب وخدمة الأرض.

من معتقدات السودانيين في الجن :

أما في السودان المليء بالطرق الصوفية التي يعشش في زواياها الجهل والخرافات، فتنتشر بينهم عادات غريبة، نذكر منها ما يتعلق بمعالجة المجنون إذ يعتقد مشعوذوهم أن

الجنون يقع بسبب الجن، وبناء على ذلك يقومون بربط المجنون، وتقييده، وعزله في مكان خاص، ثم يوجعونه ضرباً، فيصيح المجنون ويستغيث، لكن أنى له أن ينجو من عصي هؤلاء وجهلهم.

ثم يفرضون عليه أيضا نوعاً خاصاً من الطعام يتناوله ليس فيه دهن ولا دسم، حيث يزعمون أنها تهيج الجن وتمنع شفاء المجنون.

ومن طرق هؤلاء المشعوذين في علاج المجنون كتابة بعض الطلاسم والحروف غير المفهومة في أوراق صغيرة ، ثم حرقها ليبخر بدخانها المريض ، وتسمى هذه العملية بالبَخَرة .

من معتقدات اليابانيين في الجن :

اليابانيون بلغوا قمة التكنولوجيا، وتسنموا هرم التقنية، إلا أن عقولهم تتجمد وتتحنط عندما تتعامل مع إرثها الثقافي، فلا يحاول الياباني صانع الكمبيوتر ، ومهندس الإلكترونيات، أن يُعمِل عقله نقداً وتمحيصاً في هذا الإرث الثقافي المليء بالخرافات والخزعبلات، بل يسلم له تسليم مستسلم لصحته وصدقه، اعتمادا على حسن ظنه بآبائه وأجداده، وافتخارا بما كانوا عليه.

فمن معتقدات اليابانيين في الجن أنهم يظنون أن الجن تحضر زفاف العروسين، لذلك وخوفا من شرهم يقومون بنثر الأرز والفواكه والتمر والنقود ، من أجل دفع شر هذه الأرواح الشريرة عن العروسين.

من اعتقادات سكان أمريكا الوسطى في الجن :

وفي أمريكا الوسطى حيث يجتمع التخلف والجهل، لا تعدم الخرافة مكانا لها في ذلك الفضاء المليء بأسباب انتشارها، إذ يعتقد السكان الأصليون في أمريكا الوسطى أن الخصوبة التي تصيب أرضهم ترجع إلى أرواح كامنة فيها، فينتهزون فرصة موسم الحصاد لإقامة حفل جماعي تقدم فيه الأضاحي والقرابين، وتقام فيه الصلوات والابتهالات استرضاءً وشكرًا على ما قدمت الأرواح للجماعة من نعمة الحصاد. فسبحان الله المعطيُّ الرازقُ الحليمُ على جهل الجاهلين وشرك المشركين.

هذه اعتقادات بعض الشعوب العربية وغيرها في الجن، ولو تتبعنا هذه المعتقدات عند جميع الشعوب أو حتى أكثرها، لتطلب ذلك كتابة المجلدات، ولكن تكفي هذه العينة لتنبيه المصلحين لعلاج هذه الظاهرة، وقد تعمدنا أن نذكر اعتقادات بعض البلاد الكافرة حتى لا يتهمنا أحد بأن التخلف والخرافة إنما هي من صفات العالم الإسلامي ، ولنخرج بقضية غاية في الأهمية وهي أن الجهل هو عدو البشرية الأول، وإذا غاب العلم الصحيح ظهرت الخرافة والدجل، ومما يدل على ذلك الانحسار الكبير الذي يؤديه انتشار الصحوة الإسلامية لهذه الخرافات والمعتقدات الضالة.

الخسوف والكسوف:

خسوف القمر Lunar Eclipse هو احتجاب سطح القمر أو جزء منه، عندما تكون الأرض بينه وبين الشمس، وقد يكون هذا الاحتجاب جزئيًا أو كليًا.

وأما الكسوف Solar Eclipse فهو احتجاب الشمس أو جزء منها حينما يقع القمر بينها وبين الأرض وقد يكون جزئيًا أو حلقيًا أو كليًا (معجم المصطلحات العلمية والفنية ص:204 ، 585).

وعلى هذا فهما سنة كونية، وظاهرة طبيعية، تحكمانهما قوانين وضوابط، لا تحدثان بغيرهما، هذا هو كلام العلم التجريبي ، وهو أيضًا كلام الإسلام، كما سنوضح بمشيئة الله تعالى، فما رأي العقائد العامية في الكسوف والخسوف؟

لقد شخص الفكر الأسطوري القديم القمر، وحاول أن يفسر تأثيره على الكون والطبيعة والحياة. وإذا كانت الأسطورة في أصلها عقيدة وشعيرة فإنها تتحول بفضل التطور إلى عقائد ثانوية وطوائف من المراسيم والعادات والتقاليد ! (د. عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور ص:92) .

وقد كان عرب الجاهلية الأولى يعتقدون أن القمر في ضائقة أو أسر ، فكانوا يضربون بالمعادن محدثين ضجيجًا وجلبة ، ويقولون : يا رب خلّصه (حسن الباش وزميله ص:29) .

كما كان بعضهم يعتقد أن الكسوف يمكن أن يحدث لموت عظيم ، حتى بدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الفهم القاصر غير الصائب .

ويحاول عوض سعود عوض إيجاد بعد أسطوري موغل في القدم ـ مزينًا فلسفته التي تحرص على رد كل شيء إلى أجداده الكنعانيين ـ فيقول : كان للماء أهمية خاصة في الحياة الشعبية ، إذ يعتقد العامة أن مجتمع المياه هو الأول ، وكان يضيئه الشمس والقمر ، وبعد صعودهما إلى السماء ظلت محاولة إعادتهما إلى العالم السفلي قائمة.(الماء في التراث الفلسطيني ، المأثورات الشعبية ع27/ 1992م).

إن محاولة رد الحياة إلى العدم هي المحاولة المستمرة التي تقوم بها القوى الشريرة المتمثلة في الحوتة التي تحاول التهام القمر عند كسوفه ، والتنين الذي يبتلع الشمس وقت كسوفها .

وهنا على الإنسان مناصرة الخلق عن طريق الأعمال التي تؤدي إلى بقاء الحياة وتجديد الخلق ، لأن الإنسان ـ بأعماله ـ يقرر مصير الكون ، لهذا كان من همه محاولة استعادة الزمن الأول وتكرار الأعمال التي تؤدي إلى ديمومة الخلق . ومن هذه الأفعال: الأفراح والأعياد والطقوس الدينية التي تنطلق من فكر ميثولوجي "أسطوري".

يعتقد العامة أن الحوتة تطارد القمر باستمرار، وتقترب لحظة انتصارها فيما يسمى الخسوف، فيتدخل الإنسان ليحسم الأمر، فيلجأ الناس إلى إطلاق الرصاص، وقرع الطبول والأواني لإخافة الحوتة وإعادتها إلى عالم المياه.

ويظل الاستنفار مستمرًا والناس خائفين حتى تتراجع الحوتة إلى عالم البحار، فينتصر الخلق والحياة وروح الخير، وينتهي الخسوف، وعندئذٍ يخرج الناس يغنون ويدبكون احتفالاً باستمرار الحياة والوجود ، فيقولون لحظة الانتصار :

يا حوتة يا مكحوتة قمرنا أكل الحوتةوالحوتة راحت مكحوتةـ مطرودة ـ أما عن الكسوف وعلاقته بالتنين الذي تستمر محاولاته للقضاء على الشمس، لكنها تبوء كلها بالفشل منذ الكنعانيين إلى يومنا هذا، فقد أوكل بعل ـ الإله الكنعاني ـ مهمة القضاء على طموح التنين في ابتلاع الشمس إلى كاشر وخاسس ، وهو ـ التنين ـ يحاول العودة بها إلى عالم المياه فيفشل كما فشلت الحوتة .. هذا في فلسطين.

أما في العراق فالأمر بيّنٌ في رهبة الناس من القمر وسؤالهم إياه، وفي طقوسهم الشركية التي يمارسونها.

وإذا كانت الشعوب قد اجتمعت على أن هناك عفاريت أو كائنات غيبية أو حيوانات تحاول التقام القمر، وإذا كانت هذه الأوهام تعيش في أذهان كثير من البسطاء في أنحاء العالم، فإن أهل بغداد يعتقدون بابتلاع الحوت للقمر ، فتراهم يخرجون عند خسوفه ـ أو كسوفه ـ من بيوتهم فزعين ، فمنهم من يقيم الصلاة ، ومنهم من يُوَلْوِل، وآخرون يصيحون وهم يضربون الطبول وقد شخصت أبصارهم نحو القمر هاتفين بالحوت تهديدًا له:

يا حوتة يا منحوتة هدّ قمرنا نريده ـ أي اتركيه لأننا نحتاجه ـ وإن كان ما تهدينه أدق له بصينية: هدي قمرنا الغالي هو علينا غالي (التراث الشعبي،ع:7/ 1975م).

وفي وصف الكسوف وعادات الناس فيه ، يقول عبد الحميد العلوجي (التراث الشعبي ،ع:5/ 1972، ص:44):

وعلى ضفاف دجلة ـ وفي الرحاب المشكوفة ـ وقفت الأمهات المرضعات والأزواج الحبالى باتجاه القمر ، بعضهنّ يمسك إما بخيوط قصار تتدلى منها كرات من الطين ، أو بخرزتين بيضاوين من الخرز المشهور باسم " در نجف " ، وكلا الفريقين يزعم أن الطين أو الخرز ينكر لونه الطبيعي في أثناء الخسوف ، ويميل إلى زرقة غامقة تنفع الجنين في الرحم، والرضيع في المهد والحضن ، وتقيه شر الكبسة ، أي المفاجأة الخطرة التي تدهم الوليد .

ولا ينتهي الكسوف والخسوف بهذه الضجة التي تحدث من جراء الأصوات المتنافرة، والضرب على الطشوت والصحون ، وإنما كانوا يراقبون الألوان التي تصير ساعة الكسوف أو الخسوف ، فإذا كان اللون البارز أسوداً مثلاً لشدة الكسوف ضربوا يدًا بيدٍ وقالوا إن مرضًا في طريقه إليهم وإن كان اللون أحمر قالوا إن الأحمر يدل على الدم، فلا بد من أن حربًا قادمة تسيل فيها الدماء كما يسيل الماء في دجلة والفرات .

ومن عقائد العامة في العراق أيضًا ، أن الحامل إذا مست بطنها عند خسوف القمر ولد الجنين ونصف وجهه أسود ـ كالقمر المخسوف ، أما إن مستها عند كسوف الشمس فإنها تلد طفلاً أحمر مزرقّ الوجه.

وإذا ما زاد خسوف القمر على نصف وجهه وجب تلاوة صلوات خاصة، لأن عدم فعل ذلك يؤدي إلى أن أفعى ستدخل قبر الشخص إذا مات ، زيادة في عذابه . وإذا احمر لون القمر عند خسوفه كان نذيرًا بأن حربًا ستنشب .

ولمقاومة السحر، فإنهم يضعون طشتًا به ماء ـ طيلة فترة خسوف القمر ـ مع قراءة أدعية خاصة، معتقدين أن ذلك يجعل ماء الطست "بطلة" ناجعة في إبطال كل سحر إذا استحمت به المرأة المتزوجة(التراث الشعبي ع:12/ 1973 ، ص:31 وما بعدها).

وفي قطر ـ عند الخسوف ـ يدق النساء في الهاون "المدق" إلى أن ينجلي، معتقدات في حالتي الكسوف والخسوف أن الحوت أكل نصفه ، فيقمن بالضرب والغناء، هاتفات :

يا حوته زوعي ـ أي فيئي وردي القمر ـ(فاروق العادلي، ص:202).وقد يتقي بعض الناس في المجتمع القطري المصائب التي تحل من خسوف القمر، فيقول بعضهم عند

الخسوف إن القمر قد ضل منزله أو إن الحوت التهمه .. وعلى حد تعبيرهم: (تايه من منزله أو الحوت ماكله) ويدقون الهاون حتى يرجع(الدويك:215).

وفي مناطق أخرى يزعمون أن عمر ـ رضي الله عنه ـ خنق القمر ويخرجون صائحين ليفكوه .

أما المصريون فمن عاداتهم ـ وشهدتها صغيرًا ـ إنه إذا حصل خسوف للقمر أو كسوف للشمس دق الأطفال والنساء على الصفيح والنحاس يصيحون صيحات مختلفة لاعتقادهم بأن " الجن " قد خنقوا القمر أو الشمس(أحمد أمين ، ص:410) .

وربما اعتقدت العامة أن بنات الحور يمسكن به ليمنعن النور عنا ، لذا كانوا يدقون الطبول منادين:

يا بنات الحور سيبوا القمر للنور (د. سامية الساعات ـ السحر والمجتمع، ص:60) وبنات الحور من سواكن النيل في عقائد العامة وبالذات في النوبة وشمالي السودان، وهن جنيات يتصفن بالجمال والفتنة، ويعملن على إغواء من يقع بصرهن عليه لجذبه معهن إلى النيل).

الزار – شعوذه وفجور

يقول فهد الطياش إن ارتباط أغاني السامري برفقة الزار حديث عهد بالجزيرة العربية بعد انتشار الجهل ، كما أن مفهوم الزار غريب ومنافٍ لروح العقيدة ، وفكرة أن الأرواح المؤمنة أو الجن المؤمنين يسيطرون على أفراد من الإنس شبيهة بما يعتقده الزنوج النصارى من المعمدانيين Paptist خاصة حلال طقوس الكنيسة .

يقول فهد الطياش - لما يقدم من تلك الطقوس الدينية خاصة في منطقة ديترويت - نرى أن هؤلاء الناس يقومون بمثل ما يقوم به راقص الزار في الجزيرة العربية ولكن الاختلاف في مصدر الإثارة والنشوة ، ففي الطقوس الكنسية نرى أن مصدر الإثارة هو الإلقاء الدرامي أو غناء الكورال الذين يؤدون التراتيل . أما في قصة الزار فنرى أن مصدر الإثارة هو موسيقى السامري وغناؤه .

الأداء يبدأ في الكنيسة عادة بترتيل بسيط ، ومن ثم يتصاعد في الحدة والإثارة إلى حد درامي يثير لدى الشخص النشوة ، والإحساس بأن قدرة علوية تسيطر عليه ، بينما نرى في رقصة الزار أن الحافظ يردد قصيدة معينة، يردده خلفه المغنون ، وفي كلتا الحالتين فإن مؤثراً حسياً يؤثر في أشخاص بأعيانهم ، وتختلف التفسيرات: ففي الكنيسة يقال إن سبب الإثارة هو سيطرة روح القدس على الشخص ، بينما في الزار يقال إن الجني سيطر عليه .

وأما عن الزار كطقوس وممارسات فتقول دائرة المعارف الإسلامية : إن كلمة زار مشتقة من جار DJARكبير آلهة الكوشيين الذي يتغير اسمه لدى بعض الطوائف إلى يارو YARO أو دارو DARO، وظهر منه في إطار المسيحية الحبشية اسم روح شريرة هو زار ZAR الذي استعاره المسيحيون الأحباش من بعض القبائل الوثنية .

وينقسم الأسياد في الزار إلى مجموعات مختلفة منها :

- **المجموعة الإقليمية**: وتضم الأرواح السودانية والحبشية ، والصعيدية ، والعربية والمغربية والجبلاوي.

- **المجموعة القبطية:** وتضم علياً، والحسين، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة ، وأبا بكر رضي الله عنهم - كما تضم مشاهير الأولياء كالبدوي، والدسوقي، والرفاعي، والبيومي، والقطب المتولي ، وأبي العلا، والشافعي، والليث.
- **الطوائف المهنية** : ومنهم الياوري بك ، وسلطان اللواء ، والعسكري ، والضابط ، والحكيم باشا .
- **ومجموعة مستقلة** : لا تندرج تحت التقسيمات السابقة، ومنها سلطان روم نجدي، وسلطان رينا، والولاّج، وسلطان مامة.

ولكل سيد من الأسياد جنس وجنسية وأغانٍ ملائمة وملابس خاصة تلبس له عند اللزوم، فإذا كان عربياً لبست المرأة في الزار لبساً عربياً، ورقصت رقصة عربية ، وغنت لها جوقة الزار غناءً بلهجة عربية ، وإذا حضر الشيخ - الجني - على لسان الست تكلم بلهجة عربية ، ونظر ذلك إذا كان مغربياً أو سودانياً أو حبشياً .

وتسمى شيخة الزار " الكدية " - وكلمة كدية عربية فصيحة معناها التسول، وأهل الكدية طائفة كانوا يستجدون ويحتالون في ذلك ، وعندهم دهاء في ابتزاز الأموال.

ومثلهم موجود في الآداب الأوروبية (SAVAGE) ولا يبعد أن يكون فريق منهم امتهن إقامة حفلات الزار منذ أمدٍ بعيد فصارت رئيسة الزار تسمى الكدية.

تقوم الكدية بوضع كرسي في وسط المجلس، تجلس عليه صاحبة المنزل التي نصب لها الزار، وتحضر فرختين وديكاً، وتربط أرجلها، ثم تضع الديك على رأسها، والفرختين على أكتافها، ثم تتلو نصوصاً معهودة، وتنشد أناشيد بينما الحاضرات يقلن: دستور يا

سيادي، مدد يا أهل الله يا سيادي، وتوقع الكدية ومن معها على الدفوف بنغمات مختلفة متسارعة.

ولقد أشار بعض الدارسين إلى ارتباط طقوس الزار بالألوان، خاصة في الملابس التي تختلف باختلاف ملوك الجان الذين يراد استرضاؤهم، كما أشاروا إلى أن الاعتقاد بالألوان مرتبط بالاعتقادات الشعبية في الكواكب وتأثيرها على حياة الإنسان وطبائعه، مثل الاعتقاد في المريخ وأن ألوانه في الثياب هي الأحمر والأصفر، أما الزهرة فألوانه التي تكون في الثياب هي الأخضر والأبيض، ويمتد هذا الاعتقاد فيشمل الأيام الخاصة بهذه الكواكب مما يمكن رده إلى العبادات البابلية والكلدانية القديمة. فيوم الثلاثاء هو يوم المريخ بينما يوم الجمعة هو يوم الزهرة، وكلمة FRIDAY في الإنجليزية جاءت عن طريق الشعوب الشمالية وتعني يوم الإلهة FRIG زوجة أدون كبير آلهة الإغريق والسبت يوم زحل SATURDAY والأحد يوم الشمس SUNDAY والاثنين يوم القمر MONDAY ..

ويتم في الزار طقس آخر هو تبادل الملابس لإعطاء تأثير سحري، فحين يتبادل الرجال ملابس النساء والعكس فإنهم يقصدون بذلك مخادعة الروح الشريرة ، كما أن تبادل الملابس يستخدم أيضاً لمقاومة السحر ورده.

ومن طلبات الكودية يسخر بيرم التونسي في زجل له، فيقول متحدثاً عن امرأة تبتغي السمنة وقد أظهر الأثر " الأطر " المطلوب منها:

طلع لها جوز تيوس من غير إشارة سود وعجل أبيض يكون تحت السما مولود وست وزات وفرخة عرقها مفرود وديك عشاري عريض السدر والمنقار إن هذا الطقس ليس نادراً بل هو منتشر انتشاراً واسعاً، وقد بدأت جلسات الزار تعلّب في أشرطة

كاسيت، وتوزع لتستخدمها النسوة على نطاق واسع كما لاحظت في البيئات الريفية المصرية.

وقد وجد الدكتور عبد الرحمن عيسوي في استبانة أجراها على عينة من اللبنانيين والمصريين أن 20 من العينة المصرية التي لاحظها كانت تؤمن بأثر الزار في علاج الأمراض المستعصية في حين كان 15 من العينة اللبنانية مؤمناً بذلك .

وقد درس كثير من المستشرقين _ منذ قرنين أو يزيد _ هذا الطقس فيما درسوه من عوائد شعوبنا لتكون دراساتهم وسيلة فتاكة للانتشار بيننا كالسوس، وممن درسوا الزار إدوارد لين وكريس وسيمون مسنج جون كندي وهاري فاخوري وغيرهم فتأمل.

ومن الطقوس الداخلة في موضوعنا والتي تمارس في الجزائر ما يسمى بالوعدة والنشرة، وتشبهان - إلى حد كبير - الزار في مصر، أو ربما كانت الزار المصري لكن على الطريقة الجزائرية، ففيهما الرقص والثياب المميزة والغيبوبة الانتشائية بالموسيقى والارتباط بالجن، لكن ربما افترقنا عن الزار بطول مدة الممارسة التي قد تستمر اسبوعاً، وببعض الملامح المحلية في الجن والأولياء.

فتوى الشيخ عبدالعزيز بن الباز رحمه الله

نظرا لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممن يدعون الطب ويعالجون عن طريق السحر أو تسخير الجان أو الكهانة، وانتشارهم في بعض البلاد، واستغلالهم للسذج من الناس ممن يغلب عليهم الجهل - رأيت من باب النصيحة لله ولعباده أن أبين ما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله تعالى ومخالفة أمره وأمر رسوله .

فأقول مستعينا بالله تعالى يجوز التداوي اتفاقا، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض

باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك ؛ ليشخص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعا حسبما يعرفه في علم الطب ؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل على الله، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرمه عليهم.

فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجما بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي قال: { من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما } وعن أبي هريرة عن النبي قال: { من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد } [رواه أبو داود وخرجه أهل السنن الأربع]، وصححه الحاكم عن النبي بلفظ: { من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد } وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله :{ ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد } [رواه البزار بإسناد جيد].

ففي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان العرافين والكهنة والسحرة وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك، فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم، ومنع من يتعاطى شيئا من ذلك في الأسواق وغيرها والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على من يجيء إليهم، ولا يجوز أن يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يأتي إليهم من الناس فإنهم جهال لا يجوز

اغترار الناس بهم؛ لأن الرسول قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم لما في ذلك من المنكر العظيم والخطر الجسيم والعواقب الوخيمة ولأنهم كذبة فجرة.

كما أن في هذه الأحاديث دليلا على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه والمصدق لهم في دعواهم علم الغيب يكون مثلهم، وكل من تلقى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله ، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجا كنمنمتهم بالطلاسم أو صب الرصاص ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكهانة والتلبيس على الناس ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم.

كما لا يجوز أيضا لأحد من المسلمين أن يذهب إليهم ليسألهم عمن سيتزوج ابنه أو قريبه أو عما يكون بين الزوجين وأسرتيهما من المحبة والوفاء أو العداوة والفراق ونحو ذلك؛ لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

والسحر من المحرمات الكفرية كما قال الله عز وجل في شأن الملكين في سورة البقرة: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [البقرة:102].

فدلت هذه الآيات الكريمة على أن السحر كفر وأن السحرة يفرقون بين المرء وزوجه. كما

دلت على أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعا ولا ضرا وإنما يؤثر بإذن الله لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخير والشر.

ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين ولبسوا بها على ضعفاء العقول فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل. كما دلت الآية الكريمة على أن الذين يتعلمون السحر إنما يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم وأنه ليس لهم عند الله من خلاق أي: (من حظ ونصيب)، وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان، ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ والشراء هنا بمعنى البيع.

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفق حكام المسلمين للحذر منهم وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العباد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة إنه جواد كريم. وقد شرع الله سبحانه لعباده ما يتقون به شر السحر قبل وقوعه، وأوضح لهم سبحانه ما يعالج به بعد وقوعه رحمة منه لهم، وإحسانا منه إليهم، وإتماما لنعمته عليهم. وفيما يلي بيان للأشياء التي يتقى بها خطر السحر قبل وقوعه والأشياء التي يعالج بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعا:

أما ما يتقى به خطر السحر قبل وقوعه فأهم ذلك وأنفعه هو: التحصن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعوذات المأثورة، ومن ذلك قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام، ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسي هي أعظم آية في

القرآن الكريم وهي قوله سبحانه: اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [البقرة:255].

ومن ذلك قراءة: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الاخلاص:1]، و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [الفلق:1]، و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [الناس:1]، خلف كل صلاة مكتوبة وقراءة هذه السور الثلاث ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب، وعند النوم، ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل وهما قوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة:285] إلى آخر السورة.

وقد صح عن رسول الله أنه قال: { من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح }، وصح عنه أيضا أنه قال: { من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه } والمعنى والله أعلم: كفتاه من كل سوء.

ومن ذلك: الإكثار من التعوذ بـ"كلمات الله التامات من شر ما خلق" في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر لقول النبي : { من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك}. ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات: { بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم } لصحة الترغيب في ذلك عن رسول الله ، وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء.

وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه، وهي أيضا من أعظم السلاح لإزالة السحر بعد وقوعه مع الإكثار من الضراعة إلى الله وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرر ويزيل البأس.

ومن الأدعية الثابتة عنه في علاج الأمراض من السحر وغيره وكان يرقي بها أصحابه: { اللهم رب الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما } يقولها ثلاثا، ومن ذلك الرقية التي رقى بها جبرائيل النبي وهي قوله: { بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك } وليكرر ذلك ثلاث مرات.

هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يتقى بها السحر ويعالج بها والله ولي التوفيق. وأما علاجه بعمل السحرة الذي هو التقرب إلى الجن بالذبح أو غيره من القربات فهذا لا يجوز؛ لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر. فالواجب الحذر من ذلك، كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين واستعمال ما يقولون لأنهم لا يؤمنون، ولأنهم كذبة فجرة يدعون علم الغيب ويلبسون على الناس، وقد حذر الرسول من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم كما سبق بيان ذلك في أول هذه الرسالة. وقد صح عن رسول الله : { أنه سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان } [رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد جيد].

والنشرة هي حل السحر عن المسحور ومراده بكلامه هذا النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية، وهي: سؤال الساحر ليحل السحر، أو حله بسحر مثله من ساحر آخر.

أما حله بالرقية والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة فلا بأس بذلك كما تقدم. وقد نص على ذلك العلامة ابن القيم، والشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد رحمة الله عليهما، ونص على ذلك أيضا غيرهما من أهل العلم.

والله المسئول أن يوفق المسلمين للعافية من كل سوء، وأن يحفظ عليهم دينهم، ويرزقهم الفقه فيه، والعافية من كل ما خالف شرعه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

الفصل الخامس

دور الخرافة والأسطورة في الشعوذة

دور الخرافة والأسطورة في الشعوذة

الباب الأول : الخرافة تنتج الشعوذة

ان التمسك بالخرافة والاسطورة وتكديسها كثقافة في عقول العامه انما هو ابعاد للعقل فى الوقت الذى يسرع فيه العالم نحو الأخذ بالحقائق العلمية .ومازال البعض يسعى وراء معرفة المجهول وما تحمله الأيام والسنون فى المستقبل ،من خلال تصديق المنجمين، والحرص على مطالعة ومتابعة الأبراج ،التى تكتظ بها أرفف المكتبات وأرصفة الشوارع.

والأمر لا يقف عند حد الترفيه والتسلية ، ولكنه يتعدى ذلك إلى تسليم البعض بمضمونها، والاعتقاد بصحة تنبؤاتها ..وهذا السلوك لا يقتصر على فئة عمرية أو طبقة اجتماعية بعينها، بل أصبح من المعتقدات الراسخة عند الكثيرين ،ويزداد انتشارا رغم تعارضه مع ما أمرنا به الحق سبحانه وتعالى ،فما هى أسباب هذه الخرافات والأوهام التى تؤدى إلى تخلف وتأخر مجتمعنا الإسلامى، وسقوطه فى براثن الجهل والخرافة، وكيف نحمى المجتمع من مخاطر هذه الظواهر التى تتنافى مع أبسط قواعد الإيمان بالله واختصاصه وحده بعلم الغيب، هناك ارتباط وثيق بين الحالة النفسية للفرد وسلوكياته المختلفة، هذا ما يؤكده د .محمد محمود نجيب أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة حلوان مشيرا إلى وجود 140 فكرة خرافية يعتنقها المصريون وتؤثر على قدراتهم وسلوكياتهم فبعضهم يمرون بظروف صعبة،لا يجدون منها مخرجا إلا باللجوء إلى الخرافات التى تجعلهم أكثر رضا ،إضافة إلى أن كل البشر لديهم نزعة حب الاستطلاع والفضول لمعرفة المستقبل وتتزايد عند الشخصية المصرية التى تتسم ببعض الخصائص النفسية التى تدفعها للجرى وراء المجهول .ومنها معاناتهم من مرض الفصام الشخصى البارانويا ،وفيه يشعر المريض بأن الآخرين لا يريدون به إلا الشر ،وهذا المرض لا يقتصر على فئة دون أخرى بل

يصاب به من يعتلى أرقى الدرجات العلمية كما أن الإسقاطات مرض نفسى متفش بين بعض المصريين، لتجنب مواجهة الواقع وإبعاد مسئولية الفشل عنهم وإرجاعها إلى سوء الحظ أو الحسد وليس أعمال الفرد وسلوكه .وتختص الشخصية المصرية بقابليتها للإيحاء والانقياد ،فيسهل التأثير عليها فهى مغيبة الوعى ليس لديها رؤية نقدية أو حسابات عقلية، وهو ما جعل المختصين يصنفون الشعب المصرى بأنه يحكم العاطفة على العقل .

ويرى الدكتورإسماعيل عبدالبارى أستاذ علم الاجتماع وعميد كلية الآداب الأسبق بجامعة الزقازيق ان اللجوء للمنجمين إلى ضعف الوازع الدينى ،فالمؤمن الحق يعلم أن الأمور كلها بيد المولى عز وجل ،وأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ،ومن هنا تأتى أهمية قيام الأسرة بدورها الصحيح فى عملية التربية الدينية ،ومراعاة الأسس التى حث عليها الدين الإسلامى الحنيف فى تربية الأبناء ،إضافة إلى وجود ميراث اجتماعى سلبى يجعل هناك اعتقادا خاطئا بأن المنجم يعرف المستقبل ويساعد الإنسان على تحقيق أحلامه وطموحاته، ويستطيع الإنسان بالتمرين والتعود أن يبدل هذا الاعتقاد السئ الموجود لديه إلى اعتقاد راسخ بأن كل شئ بأمر الله ،كما ترجع هذه الظاهرة إلى وجود رغبات وتطلعات كبيرة لدى الإنسان،لا يسعى لتحقيقها بالعمل الجاد، ولكن يلجأ إلى الدجل والشعوذة، والعجيب أنه قد يكون على درجة عالية من العلم والثقافة، وهى تجتاح المجتمع بكل فئاته ،ويجب التصدى لها من خلال عمل حملات إعلامية تشارك فيها كافة وسائل الإعلام من خلال المشاركة الفعالة والايجابية للمؤسسات الدينية والاجتماعية .

وتعتبر د .فوزية عبدالستار أستاذ القانون الجنائى بكلية الحقوق جامعة القاهرة أن أعمال التنجيم والشعوذة تشكل جريمة ،إذا كان من شأنها أن يوهم المشعوذ ضحيته كذبا بأنه يعلم ما تخفيه له الأيام ،ويقدم له معونة سحرية (حجاب مثلا) ليحقق له ما يتطلع إليه

من آمال ،وذلك بهدف إيقاعه فى الخطأ أو أن يحصل المشعوذ على مقابل مادى نظير هذه الأعمال يسلمها له الضحية بإرادته وبرضائه التام .ويشكل هذا العمل جريمة نصب، حدد لها المشرع عقوبة الحبس بحد أدنى 24 ساعة، وأقصى ثلاث سنوات، وللقاضى أن يقدر مدة الحبس فيما بين هذين الحدين حسب كل حالة ،ويدخل فى نطاق هذه الجرائم كل أعمال التنجيم من قراءة الطالع والأبراج والكف والفنجان .وطالما حاول العراف إيقاع ضحيته فى الوهم والخداع وممارسة أساليب احتيالية عليه للحصول على أمواله ،يقع تحت طائلة القانون أما إذا قام بهذه الأعمال بدون مقابل ،فلا تعد جريمة يعاقب عليها القانون ،فقط يؤثم صاحبها .

أما من يلجأ إلى هؤلاء المنجمين والمشعوذين فهو فى نظر القانون مجنى عليه وضحية لواقعة احتيال .وترى د .فوزية عبدالستار أن العقوبة التى حددها المشرع لجرائم النصب بصفة عامة هزيلة ومن الأفضل زيادتها برفع الحدين الأدنى والأقصى لتكون رادعا قويا لمن تسول له نفسه النصب على الأبرياء وحسنى النية .

العلم يرفضها وحول التأصيل العلمى والاجتماعى للأبراج يؤكد د .محمد عبدالسميع عثمان عميد كلية التربية بجامعة الأزهر أن الأبراج التى تنشر فى بعض الصحف والمجلات والنتائج التى تتوصل إليها ليسلها أى أساس علمى، إنما هى تخضع للأوهام ،كما أن الفرد يعيش أسيرا لتلك الأوهام والأحلام ولرغباته الشخصية إلى أن المهتمين بقراءة الأبراج أو التسليم بما تقوله هم واهمون لأن هذه النتائج مجرد أوهام وإيحاءات وتأثيرات ولو تحققت بالفعل فسوف تكون من قبيل المصادفة.ويشاركه د .سعيد عبدالعظيم أستاذ الطب النفسى بجامعة القاهرة ورئيس الجمعية المصرية للطب النفسى الرأى مؤكدا أن تصديق الأبراج وقراءة الطالع والكف من القضايا القديمة الجديدة حيث

أن تاريخ هذه الاعتقادات يرجع إلى عصر الفراعنة ،ففى عصر الجاهلية قبل الإسلام كانت قراءة الطالع مهمة جدا ،وكان المنجمون يعتمدون على قراءة الأبراج وكان يصدق كلامهم فى الحرب والسلم .ويضيف د . سعيد أن التحليل النفسى يؤكد أن الإنسان بطبيعته لديه غريزة حب المعرفة بما سيأتى ،وقراءة المستقبل مما يجعلهم ،يلجئون إلى المنجمين .ومع أن العصر الذى نعيش فيه يعد من عصور العلم والنهضة والتقدم العلمى الواضح فى مختلف العلوم والمعارف ،إلا أنه مازالت هذه الغيبيات مسيطرة على عقول الكثير من الناس مما يؤكد تأثير المخزون الثقافى على مر العصور .

اما د . نصر فريد واصل مفتى مصر الأسبق فقد اكد على إن حرمة الأبراج والإيمان بما تأتى به من توقعات وأحداث حرمة قاطعة ومحسومة ،لأنها حديث عن الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، ولم يكشفه لأحد من البشر .ويضيف د .واصل إلى أن هناك فرقا بين الحظ والمصادفة وبين كشف الغيب ، فالأول نوع من التسلية وقضاء للوقت فإذا آمن الإنسان بما تقوله الأبراج إيمانا جازما بأن هذا هو الحقيقة فإن ذلك شرك لأنه خالف نصوصا مقطوعا بشأنها فى أن أمور الغيب لله تعالى وحده ولا تدخل لأحد من الأشخاص فيها ، أما إذا قرأها القارئ بهدف التسلية فقط دون التأثير أو الإيمان أو الاقتناع بها فهذا لا شئ فيه إلا أنه من الأفضل الابتعاد عنها ،ويجب التسليم بأن الذى ينشر فى الصحف عن الأبراج كذب ولو صادف الواقع ،كما ينصح د .واصل الذين يقرؤون الأبراج بعدم التسليم بما تقوله لأنه تنجيم وكذب ،فديننا دين العقل والمنطق السليم ودين الفطرة السوية التى تسلم الأمر كله لله .

ويؤكد الدكتور أحمد السبع أستاذ الفقه العام بجامعة الأزهر أن الأبراج وما ينشر عنها يدخل فى باب التنجيم الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :كذب المنجمون

ولو صدقوا فالقضية محسومة ،وهذا عمل من باب الدجل والشعوذة وخداع الناس كما أنه خارج تماما عن الإطار الشرعى والإسلامى ، بل لا يقره شرع أو دين .

وأشار د . السبع إلى أن المسلم مطالب بالإيمان بالغيب لأنه جزء أساسى من العقيدة فنحن كمسلمين مطالبون بالإيمان بالجنة والنار واليوم الآخر والقدر خيره وشره ،وأن التسليم التام بقضاء الله وقدره هو نوع من الإيمان ، ولا ينبغى أن ينشغل المسلم بما سيحدث له اليوم أو غدا أو بعد ذلك ،بل يجب عليه التسليم والقبول بكل خير أو شر .

لقد ابطل الإسلام كثيرا من أعمال السحر والتنجيم التى كانت سائدة فى العصر الجاهلى، وحرم التعامل بها ،لأنها تبعد المسلم عن التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه ،ومن المؤسف أنها قد عادت لتنتشر بشكل واسع وخطير بين مختلف الأوساط الاجتماعية ،ويعتقد الأفراد بصحتها بدرجة تصل إلى التسليم الكامل بها .وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتنهى عنها نهيا قاطعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :من أتى كاهنا أو عرافا فقد برئت منه ذمة محمد . كما حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق المنجمين حتى ولو صادف قولهم إرادة الله تعالى فأخبروا بحدوث شئ ووقع فعلا .قال رسول الله صلى.كذب المنجمون ولو صدقوا الله عليه وسلم وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتبين أن علم الغيب مما استأثر به الله تعالى لنفسه ،فلم يطلع عليه أحدا من عباده ،سواء كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا إلا إذا أذن له فى الإخبار به .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا هذه الآية :إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير لذلك حث الإسلام على محاربة هؤلاء المنجمين والمشعوذين والابتعاد عنهم .والاعتماد على الله سبحانه.وتعالى فهو وحده القادر على منح الخير ودفع

الضر بيده ملكوت كل شئ وهو على كل شيء قدير ولا بد من التحذير لقراءة الأبراج التى تأخذ حيزا من معظم الصحف اليومية ،ويعتاد الكثيرون قراءتها والتأثر بها تأثرا شديدا فيتفاءلون أو يتشاءمون بما يرد فيها ،والرسول صلى الله عليه وسلم قال :لا طيرة ولا هامة ولا صفرة ،فلا يتشاءم الإنسان لرؤية طائر بعينه ولا يزجر أى يتفاءل أو يتشاءم بطيرانه ،فإن طار إلى جهة اليمين تفاءل وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم .أما من يقوم بأعمال الشعوذة والتنجيم فعقابه وخيم فى الدنيا والآخرة فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من إقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر.ولا يفلح الساحر حيث أتى :.وقال الله تعالى زاد ما زاد ، وعلى رب كل أسرة وكل مثقف أن يبصر المحيطيين به للابتعاد عن هذه البدع وعدم السير فى ركابها ،لأن هذا يقود المسلم دون أن يدرى إلى ضعف الإيمان ،وقد يصل به إلى الكفر ،والأفضل لنا جميعا هو التوكل على الله فى كل شئ ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لو أنكم تتوكلون على الله.حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا.

الباب الثاني :- الجهل وضعف النفوس

إن علم الفلك له حسابات وقواعد ومتخصصون وهو يقوم على حسابات غاية فى الدقة أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا ولقد برع المسلمون الأوائل فى علم الفلك ،وذلك ليعرفوا من خلاله تحديد الوقت وفصول السنة وتحديد أوائل الشهور ومواقيت الصلاة والأعياد والحج ،أما التنجيم فهو يقوم على التخمين ومحاولة معرفة الغيب ، وهذا أمر منهى عنه شرعا ومن يلجأ إلى المنجمين لا تقبل صلاته ويكفر بما جاء به الإسلام ،يقول رسول الله صلى

الله عليه وسلم :من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما جئت به ..أما عقوبة من يقوم بالتنجيم فهى أشد ما يقوم به يعد كفرا وإلحادا لأنه فع بضعاف النفوس وجهلاء الأمة الإسلامية بالذهاب إليه .

الباب الثالث :- رواج اعلامي مخادع

هناك من يلجأ إلى التنجيم عندما يتعرض لمواقف معقدة فى واقعه ،وحين يعجز عن التعرف على هذا الواقع بوضوح ،وهناك من يلجأ إليه فى حالات الإحباط والشعور بالضيق ،وللأسف هناك من الأدعياء الكثيرون الذين يزعمون معرفة الغيب وأنهم يستطيعون قراءة الطالع ومعرفة المستقبل من خلال التنجيم وقراءة الكف والكوتشينة والفنجان وإلى آخر هذه الأمور التى لم ينزل بها سلطان الهى بل هى اختراعات من قبل بعض الناس تهدف إلى النصب والاحتيال على الضائقين بأمور حياتهم والمحبطين الهاربين من الواقع الملموس ،وذلك لتكسب وتحقيق أرباح مادية.والأجدر بمن يلجأون للمنجمين أن يبحثوا عن الوسائل العلمية والمنهجية لمعرفة أسباب مشاكلهم وإيجاد حلول لها لا أن يذهبوا للمنجمين الذين يغرونهم بأن لديهم القدرة على حل مشاكلهم وإنهاء همومهم ومعرفة ما سيحدث لهم فى المستقبل ،والحقيقة أن المنجم غالبا ما يكون لديه شئ من الفراسة والقدرة على معرفة الضيف القادم ليشكو إليه ومن خلال بعض الأسئلة الذكية التى يطرحها على الزبون يتعرف على بعض المعلومات الصحيحة ومن ثم يجعل المنجم إجاباته تدور حول المعلومات التى توصل إليها مما يبهر الضيف ويجعله يصدق أن هذا المنجم لديه القدرة على معرفة الغيب بالفعل ،وهذا الأمر يجعل لهذا المنجم شهرة بأنه يعرف الغيب فقد ذكر لفلان معلومات صحيحة ونصح آخر بإتباع أمور ساعدته فى إنهاء مشاكله إلى آخر هذه السمعة الإعلامية التى يقوم المنجم بإثارتها حول نفسه .و الإسلام

حرم الذهاب واللجوء لهؤلاء المنجمين ،وشدد على عقوبة من يذهب إلى هؤلاء فهو يخرج من دائرة الإسلام فمن ذهب إليهم هالك وهذا حكم الإسلام أما أمثال هؤلاء السذج أما المنجم فعقوبته أشد وأقوى ،والمثير للانتباه هنا هو حدوث خلط بين علم التنجيم وعلم الفلك .والخلط هنا بين من يدعون علم الغيب من المنجمين وبين ما عرف عن فلاسفة الإسلام والعلماء فى الزمن البعيد بأنهم يعلمون علم الغيب وتم الخلط بين علم الفلك وما يتبعه من علوم أساسها المنهج العلمى وقد برع هؤلاء العلماء نتيجة ربط علم الفلك بدائرة الوقت فى الصلاة والصوم وموعد الزكاة وخلافه نجحوا عندما ارتبطوا بقضايا العقيدة والفرق كبير للغاية بين علم الفلك والتنجيم ،فالفلك علم وعمل محترم وأصحابه لهم السبق فقد أناروا به حضارة العرب عندما كان الغرب لا يعلم شيئا عن علم الفلك .

الفصل السادس

نماذج من الخرافات والأساطير

مثلما يشهد هذا العصر طفرة في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي فإنه يشهد في الوقت ذاته عودة للخرافات والخزعبلات والشعوذة والسحر وأسرار ما وراء الطبيعة.

الجهاد اليوم هو جهاد العلم والمعرفة والتكنولوجيا والاقتصاد، فالعالم تغير والعصر اختلف ونحن العرب خاصة ما زلنا نؤمن بهذه الخرافات والخزعبلات والسحر والشعوذة وبسببها تخلفنا عن ركب الحضارة بمئات السنين وأصبحنا عالة على غيرنا بل علة العلل لزماننا هذا وربما لأزمان قادمة . وليت السحرة والمشعوذين الدجالين يسحرون لنا أعدائنا قادة اسرائيل واميركا ليبعدوا شرورهم عنا فنتخلص من أذاهم وننعم بالحرية والديموقراطية ونعيش بسلام الخرافات تحتل الرأس العربي بكباره وشبابه ونسائه اذ لا يوجد عربي الا وبعض الخرافات مختزنة في عقله ورثها كما يرث المال والعقار ولا يستطيع احد ان ينزعها من عقله فقد عشعشت في دماغه وباتت عقيدة ومبدأ من الصعوبة بمكان أن تغادره. وكل ايديولوجية لها أوراقها الخرافية التي يلعب بها الكبار للحفاظ علي الرعية من الانفلات ومن ثم الاستقلال. كانتونات عصابية، تقوم علي التعصيب، وكل قطيع لهم راع يحافظ علي التماسك الداخلي عبر مخدرات الأوهام، ومورفين النصر للحفاظ علي الكيان المأخود نحو الوهم والضياع واللامستقبل.

سر ولع الناس بالخرافات أسرار ما وراء الطبيعة هو رغبتهم في معرفة أقدارهم سواء كانت جيدة أو سيئة وممن ؟ من الجهلة وسقطة الناس وطلاب الشهرة والجاه والمال أصحاب الحيل والشطارة في الضحك على ذقون الناس وابتزاز أموالهم فهم لا ضمائر لهم وهم أبعد عن الناس عن معرفة الله والخوف منه .

ومثلما يتابع الناس باهتمام أحدث التطورات في مجال التكنولوجيا فإنهم مهتمين كذلك بمعرفة توقعات المنجمين والدجالين ، ولعل سر ولع الناس بالخرافات هو رغبتهم في معرفة أقدارهم سواء كانت جيدة أو سيئة. فحياتك قد تتغير للافضل إذا مرت من أمامك قطة سوداء وقد يتحول الامر إلى النقيض إذا ما رأيت ثلاث فراشات يطرن معا في الوقت ذاته أو مر ثعلب أمامك فأل خير أو تفسير طنين الأذن بأن احدا ذكرك أو حكة في باطن الرجل أو القدم أو رفة الجفن ، وضرب الحظ أو البخت أو الرمل او سماع صوت البوم او سماع هديل الحمام او وجود السلحفاة في البيت .

واكتشف علماء ألمان أنماطا غريبة من المعتقدات تتنوع ما بين الايمان بالاشباح والارواح الشريرة إلى الايمان بأوراق النباتات البرية وغيرها من الامور التي تجلب الحظ الحسن.

وتشير الاحصاءيات إلى أن ثلث الالمان يؤمنون بوجود الملائكة في حين يرى 43 في المئة منه أن ثروة ستهبط عليهم إذا ما عثروا على نبتة ذات أربع ورقات.

كما يرى 40 في المئة أن رؤية نيزك تجلب الطالع الحسن.

ويرى العلماء أن عدد المؤمنين بالخرافات ارتفع على مر السنين. فقبل ثلاثين عاما كان 26 في المئة فقط يعزون أي حدث مميز إلى النبتة ذات الاربع ورقات في حين كان 22 في المئة فقط هم من يتوقعون الطالع الحسن لدى رؤية النيازك.

ويقول عالم النفس الالماني مايكل فريدريش من دوسلدورف "عندما يمر الناس بأوقات صعبة يلجأون عادة إلى كل ما هو روحاني".

ويضيف أن السر في انجذاب الناس إلى الخرافات هي كونها أفكار تتجاوز نطاق العلم الذي أصبح المكون الرئيسي للحياة اليومية.

وأقوى دليل على ذلك هو المساحة التي يخصصها التلفزيون والمحطات الفضائية لقارئي أوراق التاروت وغيرهم من العرافين إلى جانب شعبية الابراج في الصحف المحلية والشعوذة والسحر.

ويخلص فريدريش إلى أنه لا ضرر كبير من الخرافات حيث أنها تمثل دعامة لكثير من الناس فهي "تمنحهم القوة والراحة ، وهي الامور التي لم يعد الدين أو الكنيسة توفرها للناس".

أما باتشر فيتبنى توجها أكثر انتقادا حيث يرى أن "الكثير من الناس يريدون إشباع الجانب الروحاني من حياتهم .. فلماذا يملاون هذا الفراغ بشيء تافه مثل الخرافات؟".

ولعل الفكر الاوروبي تأثر بشكل كبير بالتأمل في الطبيعة خلال عصر النهضة وتعاليم أشخاص مثل السيميائي بارسيلسوس (1493-1541) أحد أشهر الاطباء وأكثرهم إثارة للجدل في عصره. ولكن في وقتنا هذا يجري استيراد جميع الخرافات من الخارج من علم فينج شوي الصيني القائم على استغلال الناس لعناصر الطبيعية مع تغيرات البيئة لتحسين أحوالهم وعلاقاتهم وزيادة ثرواتهم إلى العقائد الوثنية من أفريقيا.

وفي الوقت الذي يلجأ فيه الاشخاص المتدينون إلى الشرع لكي يلبي احتياجاتهم فإن المؤمنين بالخرافات يميلون إلى تحقيق إرادتهم باستخدام جميع الادوات والممارسات.

ويؤكد عالم دراسة الاعراق ستيفن باشتر على هذه الظاهرة حيث يرى أن "الخرافات هي استجابة للتحديات التي يواجهها الناس في الحياة لانها تعرض على الناس حلولا معظمها في غاية البساطة".

ويؤكد عالم اللاهوت البروتسانتي مايكل أوتسيش هذه النظرية حيث يقول "إن الخرافات تعد المؤمنين بها بقدرات خارقة للتغلب على ظروفهم أو الناس من حولهم".

ويحذر من أن الايمان بالخرافات قد يتحول إلى نوع من الادمان فعندما تفشل طريقة فإن الاخرى لن تخيب وإذا فشلت الاخرى فسيلجأ الشخص إلى التي بعدها.

ولكن فريدريش يرى أن هناك جانبا إيجابيا من الايمان بالخرافات حيث أنها تدفع الناس إلى اتخاذ رد فعل ورفض الايمان الاعمى والتخلي عن فكرة أن الامور ستتحسن لوحدها.

ومن ناحية أخرى فإن التجارب التي يرى الناس أنها تمثل طالعا سيئا قد تؤثر بشكل كبير على حياتهم لدرجة قد تفقدهم السيطرة على حياتهم خاصة إذا كانوا مفرطين في الحساسية.

الامر الوحيد المؤكد وفقا لباتشر هو أن "سوق الخرافة مكتظ بالزبائن في هذه الايام..والبضاعة المعروضة هي بضاعة فاسدة في طرد خادع".

اسطورة الصياد الملك

أسطورة من النيجر: الصياد الملك في إحدى القرى، كان هناك صياد فقير، تعيس الحظ..كلما خرج للصيد، عاد خالي الوفاض، ولشدة تعاسته قرر ذات يوم الانتحار. ذهب الصياد ليستشير احد الشيوخ في هذا الأمر ويخبره عن السبب جعله يفكر به.

الشيخ نصحه بالذهاب للصيد ليحاول مرة أخرى ويرضى بما قسمه الله له، ويرضى بما قسمه له القدر مهما كان ضئيلا.

في صباح اليوم التالي خرج الصياد باكرا.اخترق الغابة ممسكا ببندقيته وبلطته، بعد أن مرت ساعة على وجوده في الغابة رأى أمامه تمساحا ولذا قرر أن لا يتركه...تبعه لكن التمساح كان سريعا فأسرع الصياد ورائه ، إلا أن التمساح اختبأ في حفرة تحت الأرض ...جلس الصياد عند الحفرة وأخذ ينبش بفأسه حتى يخرج التمساح ، منها. وفجأة غاص الصياد في الحفرة ولم يدر إلا وهو في مدينة غريبة.

مدينة لا يقطنها إلا النساء.لم يكن فيها رجل واحد..تحكم هذه المدينة امرأة هي الملكة.

دخل الصياد إلى المدينة وكانت تحتفل بأحد أعيادها. انتبهت النساء ودهشن لأنهن بحياتهن ... في حياة المدينة كلها لم يروا رجلا قط. أدخلن هذا الصياد إلى القصر الملكي حيث أمرت الملكة بإعداد حجرة له في قصرها. لملكة أحبت الصياد ... وكانت كل يوم يمر ..يزداد حبها له وقابلها هو نفس الشعور.فتزوجها وأصبح الصياد ملكا على المدينة دون أن يدري.

قالت الملكة : كل شيء في هذا القصر هو ملكك،وكل ما في المدينة لك . ما عدا مكان واحد فقط غير مسموح لك بالدخول فيه.وأشارت الملكة : إلا هذه الحجرة ، هي الوحيدة التي لا يسمح لك بدخولها. وبينما كان جالس ذات مرة تملكه حب للاستطلاع. فأتجه نحو الباب .. نحو ذلك الباب الممنوع عليه دخوله... فتحه، ... وكان أول ما راه بعد دخوله أن وجد نفسه واقفا في ذات المكان الذي كان يقف فيه لاصطياد التمساح. رأى

بندقيته، كانت ملقاة التراب ، وفأسه قريب من فوهة الحفرة.. لم يعد يرى الملكة والقصر والمدينة والنساء ،عاد فقيرا معدما كما كان ولم ينفعه الندم.

أسطورة الزمن والكون

تروي الأساطير أن أورانوس التي هي السماء) التقت بجايا الأرض.أنجب أورانوس من جايا الكولكلوبيس، ثم أنجب منها التياتن . ثار الكولكلوبيس ضد أبيهم الأورانوس، تمردوا عليه ... غضب أورانوس منهم فضربهم ضربة واحدة أطحات بهم إلى تارتاروس .مكان الظلمة الشديدة، البعيد عن عالم الأحياء، مكان بعيد .. بعيد جدا..عميق جدا ... موقعه العالم السفلي .. يبعد عن الأرض بنفس المسافة التي يبعد بها سطح الأرض عن قبة السماء.

المسافة بعيدة جدا .. تستغرق بين سطح الأرض وقاع تارتاروس رحلة 9 أيام. خلص الوالد من أبنائه المتمردين وهم الكولكلوبيس.

الأم جايا حزنت لفراق أبنائها . فلذات كبدها .. هذه الأم الحنونة بكت .. لكنها لم تستطع معارضة زوجها أورانوس ولا تقدر على معصيته . ولم تجرؤ على مقاومته .. كما أنها لم تحرك ساكنا لمساعدة أبنائها.

إلا أن الأم .. كأي امرأة .. لجأت إلى الخديعة ، الشر بالشر والبادئ أظلم. قالت لنفسها:

إن كان زوجي أورانوس قد تخلص من ثلاثة من أبنائي ، فلا يستبعد أن يتخلص من الأبناء الآخرين... أوه .. ماذا أفعل ؟؟ ماذا أفعل قالت جايا.

ذهبت الأم خلسة إلى أبنائها الآخرين، التياتن السبعة، فحرضتهم ضد أبيهم، بعد أن شكت لهم ظلمه وجبروته وحثهم على مهاجمة والدهم والقضاء عليه. تحرك الأشقاء السبعة بقيادة كرونوس (الزمن) أصغرها.جايا الأم زودت كرونوس بمنجل من حجر الصوان .

فاجأ الأبناء السبعة أباهم أورانوس أثناء نومه ، قيدوه وشلوا حركته ، صحا من نومه مذعورا، حاول المقاومة ... ولكنهم كانوا سبعة...

كرونوس قام بغرز المنجل من حجر الصوان في قلب الأب أورانوس ... استولى الفزع على الابن عندما شاهد ذلك المنظر المفزع ... القى كرونوس بقلب أورانوس في البحر ومعه المنجل الحجري...

وقد سقط القلب والمنجل بالقرب من قمة بحرية ، دريبانوم . تساقطت بضع قطرات من دم أورانوس على الأرض الأم جايا.

انجبت الأم جايا الايرينيات الثلاث ، تلك الأرواح النسائية ، الثلاث اللائي ينتقمن ممن قتل أحد والديه.

الايرينيات الثلاث : الكتو، تسيفوني، ميجاريا هذه أسمائهن .أيضا من بضع القطرات التي سقطت من أورانوس، ولدت حوريات شجرة الدردار اللائي عرفن باسم الميليياي.

وبانتصار التياتن السبعة على أورانوس ، أسرعوا إلى تارتاروس وأطلقوا سراح الكلوكلوبيس .. احتفل الجميع بالنصر.. منح الجميع . السلطة إلى كرونوس الذي قادهم إلى النصر وحقق رغبة الأم جايا والدتهم.

ولكن كرونوس سار وراء شهوة السلطة ... ونسى من ساعده في المعركة... لقد تنصل منهم... أعاد الكلوكلوبيس مرة أخرى إلى التارتاروس، الحق العمالقة ذات المائة يد بهم أيضا.. واختار من بين شقيقاته زوجة له .. اختار ريا، وأصبح حاكما على اليس . عاش كرونوس حاكما مطلقا ..يأمر فيطاع .. في مملكته وبيته. نشوة السلطة أنسته النبوءة من والدته،ووالده قبل موته .. أو أنه تناساهما .. النبوءة تقول :

سوف يأتي على كرونوس واحد من أبنائه.. يأخذ وينتزع العرض منه . وضعت زوجته ريا طفلها الأول .. وهنا طرأت على ذهن كرونوس فكرة، اعتبرها رائعة،،، حمل الطفل بين يديه، وتظاهر بمداعبته ... وفجأة .. ابتلع الطفل، نعم ابتلع طفله ..كرونوس ابتلع طفله.

حاولت أمه المسكينة ريا فعل شيء .. ولكنها لم تقدر سوى أن تخضع للأمر الواقع، لأنها لا تستطيع مقاومة زوجها .. ولا تريد عصيانه.

أنجبت ريا زوجته، طفل كل عام، وكرونوس يبتلع أولاده واحد تلو الآخر .. أنجبت رياهستيا .. ديميتر.. هيرا.. بوسيدون. ابتلعهم كرونوس جميعا.

في يوم من الأيام .. وعندما أحست ريا أن الجنين يتحرك في أحشائها تذكرت أطفالها الذين ابتلعهم زوجها كرونوس الظالم... فكرت ريا .. وفكرت .. وقررت أن تفعل شيئا .. وعندما أحست بألم المخاض، تسللت في جنح الظلام إلى قمة جبل أوكاديوم في منطقة أركاديا. ذهبت إلى مكان لم تطأه قدم .. ولا يستطيع أحد الوصول اليه

هناك في ذلك المكان .. وضعت وليدها .. غسلت جسده في نهر نيدا .. المياه المقدسة .سلمت ريا وليدها إلى الربة جايا الأرض ، فوعدتها جايا بحمايته.. فحملته إلى لوكتوس في جزيرة كريت.

هناك اختبأ الوليد زيوس ZEUS في رعاية أدراستيا ، حورية الدردار وشقيقتها إيو.. وكلتاهما ابنتا أورانوس.. تركته جايا الأم أيضا في رعاية أمالثيا، الحورية العنزة..لقد صنع مهد الوليد زيوس من الذهب الخالص .. كان معلقا بحبال من الذهب الخالص أيضا.

مهد الوليد زيوس لم يكن يمس الأرض .. ولم يكن مرتفعا إلى السماء . وكان بعيدا عن البحر وذلك كله لحماية الوليد من الوالد كرونوس .. كي لا يقوم بابتلاعه كأخوته.

وحول المهد الذهبي وقفت جماعة الكوريتيس المتدرعيين بالدروع المعدنية والحراب الغليظة . جماعة الكوريتيس كانوا يطلقون صيحات عالية حتى تضيع صرخات زيوس zeusالوليد وسط تلك الضوضاء فلا يسمعه الوالد كرونوس.

فكر زيوس ZEUS كيف يرد جميل الحوريات الثلاث ؟ جعل زيوس من أمالثيا العنزة الحورية ، نجمة في السماء ، وأصبح لها برج يحمل رسمها (برج الجدي)عادت ريا إلى زوجها القاسي كرونوس وقدمت إليه وليدها فاختطفه على الفور .. وابتلعه وهو يضحك بشراهة.

الأم ريا لم تحزن ... بل كانت فرحة لأن ما قدمته لزوجها كرونوس لم يكن وليدها...لم يكن سوى قطعة من الحجر مغطاة بالثياب.

بعد فترة شك كرونوس بالأمر، وطفق يبحث عن الوليد ، بعث بنظراته الثاقبة من أعلى نقطة في العالم .. مسح الأرض بمن عليها بنظراته الثاقبة وكاد أن يعثر عليه.. لولا أن زيوس zeus كان أذكى من والده .. فحول نفسه إلى ثعبان .. وحول الحوريات إلى دببة..

عاش الطفل زيوس رغم أنف والده .. عاش الوليد زيوس ZEUS تحت هذه الرعاية .. كبر .. صار شابا قويا.

كان ينتقل من كهف إلى كهف .. وهناك قابل التنينة ميتيس.. رحبت به .. عاونته..وثق بها زيوس.

نصحته أن يذهب إلى والدته ريا. وبالفعل ذهب إلى والدته .. قابلها خلسة .. لم تسع الدنيا هناء ريا لرؤية فلذة كبدها في أحسن حال .. لكن سرعان ما انتابها الخوف.. والده .. لو راه لقتله على الفور..

ولكن طمأنها ولدها .. لا تخافي .. لقد جئت إليك بفكرة يا أماه . استمعت الأم ريا إلى الفكرة .. سوف تقدمه إلى كرونوس ساقيا يعد له الشراب ، فقط عليها مساعدته في تنفيذ خطته..

فشرح لها ما نصحته به التنينة ميتيس .. وافقت الأم ريا طائعة راضية . قدمته الأم إلى كرونوس ساقيا ،، انشرح كرونوس له .. وأمره بإعداد الشراب ، طلب زيوس zeus من والدته لأن تعد له كمية من الملح .. وأخرى من الخردل ، كما نصحته ميتيس. خلط الملح والخردل .. مزجهما بالشراب ثم قدم الكل في كأس لكرونوس .. ظل كرونوس يشرب كالمجنون الكأس وراء الكأس..

سيطر الشراب على عقله .. دارت الأرض به .. امتلأت معدته بالشراب ، سرى الملح في جسده وأمعائه مع الخردل، تقلصت بطنه وأحس برغبة شديدة بالتقيؤ .. تقيأ كرونوس الثمل ، قذف بكل محتويات معدته الضخم خارجا .. ثم خرج بعد ذلك أخوة زيوس الواحد تلو الآخر .. خرجوا شبابا مكتملي النمو ، هلل الجميع إذ خرجوا جميعا من غير سوء .. قدموا جميعا فروض الولاء إلى شقيقهم الأصغر زيوس.. ZEUS اختاروه قائدا عليهم في معركتهم ضد الوالد كرونوس، وضد حلفائه التياتن الأشرار، استمرت الحرب بين زيوس وكرونوس عشر سنوات، كانت الأم جايا تراقب الحرب وكانت تتمنى أن ينتصر زيوس وإخوته..ولذلك أطلقت نبوءة:

إن النصر سيكون من حليف زيوس . ولكن بشرط..عليه أن يكسب إلى جانبه أعداء كرونوس الذين ألقى بهم في السجن .. في تارتارس. وهم كلوكلوبيس ، والعمالقة ذوي المائة يد، ويتوجب على زيوس أن يطلق سراحهم.

ذهب زيوس خلسة إلى كامبي العجوز الشرسة التي تحرس بوابات سجن تارتاروس، وتسلل بالخفاء وفاجأها بضربة قوية قاضية قتلتها على الفور

أنتزع زيوس مفاتيح السجن من حزام العجوز ، وعندما دخل فوجئ بأن الجميع، جميع المساجين لا يقدرون على الحركة .. كونهم منهكين من التعذيب والجوع والعطش . قدم زيوس لهم الطعام، وبعد أن أكلوا وشربو .. قويت أطرافهم واشتدت عضلاتهم، أخرجهم من السجن حيث انضموا إليه.

منح الكوكلوبيس ، مخلصهم زيوس سلاحا فتاكا وهو " الصاعقة " وبذلك باستطاعة زيوس zeus الآن أن يبعث بالصواعق الخارقة المدمرة ، صواعق تقضي على أعتى المخلوقات وتصرع أقوى المقاتلين.

كما منحوا شقيقه هاديس خوذة الظلام ، التي متى ما وضعها . اختفي عن الأنظار ، يرى الآخرين دون أن يرونه.

ومنحوا شقيقه الثاني بوسيدون " الشوكة الثلاثية " التي بواسطتها يثير البحار والمحيطات ، بضربة واحدة منها.

عقد الجميع مجلس حرب ، اتفقوا فيه على خطة محكمة للنصر.. وضع هاديس خوذة الظلام على رأسه واختفي عن الأنظار..وأصبح يرى كل من حوله وهم لا يرونه .. تسلل إلى حيث كان كرونوس .. اقترب منه ولم يفطن به ، انقض هاديس على الأسلحة .. أسلحة كرونوس وسرقها كلها نقلها في خفية إلى حلفائه.

بوسيدون بدوره لوح بالشوكة الضخمة في الهواء ، وضرب بها ضربة واحدة الماء، هاجت كل البحار والمحيطات، ارتفعت الأمواج.. استولت الدهشة على كرونوس، ولم ينتبه لزيوس وهو يهجم عليه ، انطلق نحوه زيوس بشراسة، أطلق نحوه وابلا من الصواعق المتأججة ، فأنهاه في الحال.

أما العمالقة ذوي المائة يد والبقية..فقد تكفلوا بالباقي .. لقد هشموا رؤوس التياتن حلفاء كرونوس، بالصخور، هزموهم شر هزيمة . ثم أصدروا إحكامهم عليهم:كرونوس ينفي بعيدا.

التياتن ينفونة إلى جزر بعيدة ، تحت حراسة العمالقة .. وأخيرا تحققت النبوءة على كرونوس.. وهنا تنتهي أسطورة كيف أصبح زيوس الاها

خرافات يصدقها المغاربة

تنتشر بين الناس في المغرب الكثير من المعتقدات و العادات المتوارثة أباعن جد، ويختلف ويتباين من شخص لاخر تصديق أو عدم تصديق الناس بهذه المنطقة لهده المعتقدات، هذه آراء العديد من الناس من مستويات عمرية وثقافية واجتماعية مختلفة، ومعظم التصريحات تصب في ان المعتقدات التي تتحق يتم تصديقها والايمان بها والتي لاتتحقق لايتم تصديقها، تقول زينب عاملة بمخدع هاتفي «اختي مليكة وامي تصدقان هذه المعتقدات» خاصة المعتقد الذي يقول : «إلا حكيتي فوق الشارب غادي يجيو الضياف العزاز»، وتضيف هذه الشابة «أنا أصدق المعتقد الذي يقول «الا حكيت كف يدك اليسرى غادي تشدي لفلوس والا حكيت كف يدك اليمنى غادي تعطيهم«، وكلما حكيتها الا وقبضت الفلوس، كما اصدق المعتقد الذي يقول« عندما تقلب البلغة يقولون الشيطان ينام تحتها« والمعتقد الذي يقول« الا حطيت صندالتك او سباطك وركب أحدهما فوق لاخر يقولون غادي تشدي طريق«، وتردف قائلة «وعلى العموم أنا اصدق المعتقدات التي تتحقق والتي لاتتحقق لازلت أبحث حتى تتحقق وأصدقها» .

محمد (28 سنة) طالب جامعي فيحفظ من المعتقدات «الا رفرفت عينك اليسرى غادي تشوف شي واحد عزيز» والعكس، «والا كالتك كفك راه غادي تاخد لفلوس»، وأوضح هذا الطالب الجامعي أن هذا «المعتقد الا كالتك يدك» أو «عينك» هناك من يعطيها تفسيرا علميا وهناك من يربطها بالخرافة والاعراف القديمة المتوارثة، ويضيف «في نظري لكل مقام مقال، مثلا يمكن ان تأكلني عيني وبعد أسبوع يأتي شخص عزيز يعني يتحقق المعتقد، ويمكن ان لايتحقق، وإذا تحقق فاني دائما أصدقها وتزداد نسبة الثقة في هذه المعتقدات، وإذا لم يقع شيء أتبع التفسيرات العلمية التي لها علاقة بالواقع». ويرى

عصام العراضي (38 سنة) تاجر أن هذه «المعتقدات موجودة لأن المجتمع الذي نعيش فيه توجد به العديد من المسائل التي تنقصنا»، ويشرح كلامه قائلا «فنحن في مجتمع به عدة أفراد غير قادرين على توفير عدة اشياء لغياب الامكانيات لديهم»، ثم يستنتج أن «الانسان يجد في هذه المعتقدات ضالته لأن الشخص الذي لا يتوفر على عمل إذا حك كف يده فسيفسر هذا الفعل بأنه سيقبض الاموال»، ويسترسل قائلا بأن الانسان الذي لايعمل يحاول أن يغطي عجزه المادي بالعيش على الأمل ، لأن هذه المعتقدات هي قارب نجاته ويمكن في غيابها أن ينتحر فهي بالنسبة اليه حل يخفف عليه الآلام التي يعيشها. ومن جانب آخر فالمعتقد المسيطر الذي يقول «الا حكيت كف يدك اليسرى غادي تشدي لفلوس» يستشف منه ان المجتمع المغربي الحالي تسيطر عليه المادة. اما الحبيب الحلاق فلا يصدق هذه المعتقدات ويقول انه يصدق الملموس ويرى ان كل شعب له معتقداته. محمد الحجام، مدير جريدة «ملفات تادلة» وحاصل على الاجازة في علم الاجتماع، يوضح بأن المعتقدات المتضمنة في الثقافة الشعبية بمنطقة بني ملال لاتختلف في مجملها عن معتقدات المناطق الاخرى بالمغرب إلا في بعض الجزئيات او التسميات. كما تجدر الاشارة إلى ان كل ثقافات الشعوب تتضمن معتقدات تتمحور حول التفاؤل بتباشير الخير والاخبار السارة او العكس، وأورد بعض المعتقدات السائدة في المنطقة:

- «ملي تحك كفك الايسر غادي تشدي الفلوس والايمن غادي تعطي لفلوس؟
- ملي ترفرف عينك اليمنى غادي يجي الغايب واليسرى غادي تسمع خبار خايبا.
- الى حكيت شاربك تيكلك سلام عزيز.
- الكبدة تعني المحنة والرية تعني الفقصة والقلب يعني المحبة.

- لغراب يبشر بالشر والحمامة تبشر بالحزن والبوم يبشر بالخراب.

ويتضح من خلال هذه النماذج أولا وجود الخير والشر مجسدين في أعضاء الجسد والحيوان، بمعنى أن الجسد يصبح لغة تطال ليس فقط قيم الخير والشر والانفعالات النفسية، بل كذلك المجال مثل القول بفم الدار، قاع الدار...

قلعة السراغنة: حك الأنف دليل على حضور زردة بإقليم قلعة السراغنة لا يختلف الوضع عن باقي مناطق المغرب، حيث الخرافة تحتل مكانا مهما في سلوك الناس اليومي.

هذه بعض الأمثلة: إذا "رفرفت" العين اليسرى توقع شر غاضب، أما إذا تعلق الأمر بالعين اليمنى فالفرح ينتظرك. اذا حط بوم على سطح المنزل ترقب فقدان عزيز من أفراد الاسرة عن طريق الغرق. «اذا ضربت الفتاة ب«الشطابة» فإنها تقضي حياتها «بايرة» حك اليد اليمنى مؤشر على انك ستتوصل بمبلغ مالي، أما اذا كانت اليد اليسرى فستدفع انت المبلغ المالي حك الرجل اليمنى يعني سفرا قريبا . دخول عصافير الى المنزل يبشر بقرب حلول ضيوف. حك الانف يدل على انك ستحضر زردة كبيرة. عندما تبول في الماء في مرحلة الشباب ستتزوج امرأة سبق لها الزواج. الطفل «المجعور» ينبغي أن يحمله أبواه إلى ضريح سيد العياشي ويخرجانه من ثقب ببناية الضريح 7 مرات حتى يشفى من «الجعرة» أما المرأة العاقر فيطلب منها زيارة ضريح سيدي عبد الرحمان دفين المدينة مع تناول الكديد الذي يجلبه حجاج قبر الرسول (ص) وهناك عدد من النساء أصبحن يستعملن حمولات «قويلبات» تصنع من شحم الماعز. من يخشى الحسد عليه أن يعلق على واجهة المنزل قرون عجل أو خروف أو صفيحة بغل.

لازالت بعض نسوة المدينة تزين أعناق ابنائهن الذين يدرسون بحروز خلال فترات الامتحانات حتى تضمن لهم النجاح تستعمل المرأة التي تعرضت لإجهاض تلقائي شعر

الماعز بعد حرقه وخلطه مع الطين الأخضر الذي يستعمله صناع الفخار وتشربه. لتجنب الحسد تعمد الأمهات إلى وضع سرة لأطفالهم تتكون من الأعشاب التالية : الزريعة الحارة، الخردل، عين العنقود، عين الخطيف ومعدن بناصر. بعض اللصوص المختصين في السرقة والنشل بأسواق الماشية يطلب منهم بعض المشعوذين إحضار شيء من دم هامة الليل (الخفاش) ودم الهدهد ويخلطان في إناء أشبه بالمحبرة ويكتب بهما هؤلاء المشعوذون جداول يحملها اللصوص معهم أثناء التوجه إلى الأسواق، حتى لا يكتشف أمرهم ويلقى عليهم القبض. هناك فئة واسعة من المتعلمين يعلقون على واجهات سياراتهم الفاخرة أو دراجاتهم النارية صفائح نحاسية لدرء الحسد . أحمد الخشمي طنجة: تأويلات خرافية متداولة في تربية الأبناء "ماشي مليح» نصيحة متداولة داخل أوساط الأسر المغربية بالشمال و لازال يستخدمها عدد من الآباء و الأمهات في توجيه أبنائهم رغم اقتناع العديد منهم بأنها مجرد معتقدات موروثة من جيل الأجداد و تدخل في سياق العادات و التقاليد السائدة بالمجتمع المغربي عموما مع اختلاف في أنواعها حسب كل منطقة.

و يرى البعض أن "مشي مليح» من الصيغ المهمة في قاموس التربية باعتبارها سندا قويا للحد من بعض الأفعال السيئة التي لا يجد لها الآباء أو الأمهات مبررا منطقيا لمنع أطفالهم من القيام بها، في حين يرى البعض الآخر أن الجيل الحالي يحتاج إلى وسائل جديدة للإقناع بحكم كثرة تساؤلاته و استفساراته، مما قد لا يكون لمفعول خطاب العادات أي تأثير على سلوكاته. و رغم ذلك نجد أن هناك تلبية فورية لبعض المعتقدات من قبل مجموعة من الأفراد من مختلف الأعمار و التي يمكن إدراجها في خانة » العيب و الحشومة »، فمثلا القيام بتنظيف غرفة البيت بالمكنسة في وجه شخص عازب قد يحول دون زواجه أو التفوه دون أن تغلق فمك » ما شي مليح » أيضا بدعوى أن الشيطان يبصق في فمك،

كما أن مجموعة من الناس يمنعون أولادهم أثناء لعبهم من القفز على بعضهم البعض بدعوى أن الشخص الذي يقفز عليه يبقى قصير القامة، و من أجل إثارة انتباه من يلبسون عن غفلة ثوبا داخليا مقلوبا، فيشار إلى أنه فال سيئ. والمعتقدات المتداولة لحد الآن و التي تهم بالدرجة الأولى حركات الوجه، أغلبها تشير إلى الموت كحك الأنف الذي ينبئ بسماع خبر الموت إلى جانب وزغ أصبع القدم أما سماع رنة في الأذن فتشير إلى أن فاجعة الموت عابرة للمكان. و بالنسبة للعين فإن «رمشتها» تدل على أنك سترى الغائب أو ستبكي على فقدان قريب! فإن كانت على دمعة فأوقف حركات «الرمش»، و إن كانت على الحبيب فانتظر قدومه من خارج البلد، و هذا المعتقد تؤكد العديد من الأمهات صدق تحققه بل و يعتمدن عليه كثيرا في الاستعداد لاستقبال أحد الضيوف في الأيام الموالية لهذه الإشارة. أما حك الحاجب الأيسر فهو إشارة تستوجب تقديم الشكر، فيما حك الحاجب الأيمن يستوجب العكس، كما في حك الخد دلالة على «الغمة والإحباط». و من المعتقدات الأخرى المعروفة و التي تتداول بين أوساط الشباب كثيرا و إن كان البعض يحاول جعلها من باب الهزل، حك اليد اليمنى التي تدل على أنك ستستلم المال حيث غالبا ما تلي هذه الإشارة دعوة » الله يجيبها سمينة »، فيما حك اليد اليسرى يشير إلى أنك ستنفقه “ الله يحفظ! ». و يقال كذلك إن حك الشارب علامة على أنك ستقابل أحدا في طريقك و يسلم عليك، كما أن العثور على شعرة أو خيط على ملابسك يدل على أنك ستستقبل ضيفا، فيما إذا أزلت حذاءيك ووقعا على بعضهما البعض فمعنى ذلك أنك ستسافر. محمد كويمن العمرتي آسفي: التصبين يوم الأربعاء ممنوع!

يأخذ «المسفيويون» جميع الاحتياطات للابتعاد عن أماكن الخطر الذي قد يحدق بهم في حياتهم اليومية. وفي هذا الصدد نستعرض بعضا من السلوكات الخرافية التي تأخذ

شكل مؤشرات تنبئ بوقوع خطر قادم اذا صببت الماء الساخن في المرحاض ، فقد تتعرض لصفعة جني. لا تمر من فوق الطفل الصغير ، فان ذلك يؤدي به الى عدم النمو ، ويعرضه لأن يصبح قزما. الاغتسال بمياه سبعة أمواج في البحر يبطل السحر. تنصح النساء بالاغتسال بمياه البحر صباح يوم فاتح محرم الحرام لإبطال السحر، وقد يساعد ذلك البنت البكر على الزواج. اذا أصيب الانسان باعوجاج في عنقه ، فعليه معانقة كلب اسود حتى يتشافى. حك يدك اليسرى يدل على أنك ستتسلم نقودا عما قريب حك يدك اليمنى دليل على أنك ستسلم النقود لأحد الأشخاص. حك شاربك يعني انك ستسلم على ضيف.

ذا استفقت في الصباح الباكر ، وصادفت في أول وهلة غرابا أسود، فتأكد أن اليوم سيمر أسود، وما عليك إلا الرجوع للخلود الى النوم. إذا دخل طائر « طيببيت» إلى منزلك، فانتظر ضيوفا مرتقبين. الانسان الذي ترفرف عينه اليسرى سيسمع أخبارا سيئة . الشخص الذي ترفرف عينه اليمنى سيسمع اخبارا حسنة. إذا كنت مارا ورمى طائر ببرازه على ملابسك، فانتظر رزقا من الله. إذا وجدت فردتي حذائك واحدة فوق الأخرى، فانتظر سفرا مفاجئا. المنزل الذي تدخله « موكة « قد يصبح خاليا. تقوم فتيات مدينة آسفي بالاغتسال بماء للا ميرة بسعة سبعة «مهارز»، مما قد يساعدهن على إيجاد شريك الحياة. الأطفال الصغار بآسفي تقوم امهاتهن بالذهاب بهم لزيارة للا موعلي لتجنب اصابتهم بأم الصبيان ، وأم الصبيان هي نوع من الجن. تجنب عملية التصبين يوم الأربعاء.

يجب على الأرملة التي فقدت قبل فترة زوجها، أن تعود إلى بيتها قبل موعد أذان المغرب. يجب على الفتاة البكر ألا تنام لوحدها. حك حاجبك الأيسر يدل على أن أحد الأشخاص يذكرك بالسوء، وحك الحاجب الأيمن يعني أنك موضوع للمديح والثناء. حك الأنف يدل على أن أحدا سيضربك.

كلميم : الضرب بالشطابة يجلب النحس

في إقليم كلميم تحتل الخرافة موقعا كبيرا، حيث يكاد لا يخلو بيت من الفأل الحسن أو النحس الذي قد تجلبه سلوكات عادية اعتاد عليها الناس. هذه بعض مظاهر الخرافة التي لازال يؤمن بها الصحراويون بكلميم حك الرجل اليمنى يدل على شراء حذاء أو نعل جديد، أما حك الرجلين معا فهو دليل على سفر قريب، و حك الحاجب الأيمن، يعني أنك ستصافح شخصا عزيزا أو أشخاصا حسب أصابع اليد، حيث كل أصبع يشير إلى شخص بعينه وذلك حسب سنه . أما الحاجب الأيسر فيدل على أن الأشخاص أو الشخص الذي ستصافحه أو ستلتقي به أو حتى تكلمه يغتابك ويتحدث عنك بالسوء قبل لقائه حك الشارب هو دليل على وقوع خصومات او أشياء مقلقة حك اليد اليمنى هو انفاق للمال واليسرى توصلك بمال قريب إن يصعد نعل فوق آخر أو حذاء فوق آخر بعد نزعهما، مؤشر على أنك تنتظر سفرا وشيكا إذا ما منحك طفل صغير أوراقا كيفما كانت تافهة وكيفما كان عددها فلا ينبغي أبدا إرجاعها إليه، بل يجب الاحتفاظ بها لأن ذلك فأل حسن سيعقبه رزق كبير. أما إذا ما اجتمع الصبية الصغار للعب وجسدوا خلال لعبهم فرحا ومتعة فذلك يدل على فرح قريب ستعرفه الأسرة. لا يمكن أبدا ضرب أي كان بـ«الشطابة» أو (المكنسة) لأنها تجلب النحس كما لا يمكن نسف النخالة أو ما شابه في طبق على الفتاة العازبة لأن ذلك قد يجعلها تتزوج رجلا متقدما في السن وإن كانت صغيرة، ولا ينبغي أن تأكل مباشرة من الطنجرة أو القدر لأن ذلك سيجعلها عانسا . لا يمكن دحرجة الغربال بين الحاضرين لأن ذلك يرمز إلى الفراق والشتات بينهم إذا ما قام طفل صغير بالقاء التحية و السلام على أفراد العائلة بشكل غير معتاد أو قام بحمل مكنسة، فذلك دليل على قدوم ضيوف غير متوقعين إذا زقزقت الطيور أو دخلت هذه إلى المنزل ومحيطه، فذلك إعلان عن ضيوف قادمين، وهذه الطيور يطلق عليها محليا (طيور الجامع أو المسجد). سماع صوت طائر في الليل، دليل على موت حيث يتم نقر الحائط ثلاث مرات لإبعاد هذا الفال السيء إذا تحرك رمش العين اليمنى بشكل سريع، فهذا دليل

على فرح قادم أو سماع أخبار سارة، أما العين اليسرى فيعني سماع أنباء مقلقة أو محزنة إذا تحركت كؤوس الشاي داخل الصينية، فذلك دليل على حضور ضيوف عددهم يوازي عدد الكؤوس التي تحركت. عزم شخص على السفر لا يجب أن يصحبه كنس أو تنظيف البيت، لأن من شأنه أن يعرضه لحوادث قد تكون خطيرة، لهذا يترك المنزل على حاله وكيف ما غادره المسافر إلى حين وصوله إلى الوجهة التي يقصدها إذا خرج شخص من البيت لقضاء بعض الأغراض، فلا ينبغي مناداته، وإذا ما نودي عليه عن طريق الخطأ يجب إعطاؤه قطعة سكر لكي لا يتعرض لأي مكروه. أن يعض شخص ما لسانه، فذلك يعني أنه على وشك تناول شيء حلو المذاق حك أرنبة الأنف يعني أن هذا الشخص سيتناول لحما، أما فوقها فهو سماع خبر موت أحد الأشخاص إذا عثرت المرأة الحامل وهي في طريقها على مجوهرات، فهذا دليل على أن مولودها سيكون أنثى، أما إذا كان الشيء المعثور عليه خاتم أو ما شابهه (أي بصيغة المفرد) فهو دليل على أن المولود سيكون ذكرا. إذا عض الطفل الصغير أحد أصبعي رجليه فذلك دليل على رغبته في أن يكون له أخ واخت.

الأسطورة الدينية myth :

تعتبر الأساطير الدينية الأكثر انتشاراً بين الجماعات الاجتماعية ، وهي القصص الخيالية التي تنتقل بواسطة الرواية وترد حول الآلهة والأحداث الخارقة وتشرح الأسطورة بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة ، والعادات الاجتماعية .

ويسمى العلم الذي يدرس الأساطير ويشرحها بالميثولوجيا mythology وتزدحم كل الثقافات بمثل هذه الأساطير والتي تؤثر بدورها في الحياة الاجتماعية ، ومعروفة هي الأساطير التي وردت في الميثولوجيا اليونانية ، عن الآلهة والمغامرات الخارقة لهيركول وأنه بنى قلعة من جماجم البشر ، إلى غير ذلك من الأساطير اليونانية ، التي انتقلت إلى مختلف

الثقافات ومنها الثقافة العربيـة ، وسـوف نـورد بعـض مـا اسـتقيناه مـن الثقافـة الـشعبية الجزائرية كما أشرنا إليه سابقا من خلال راويات شعبية معروفة في الأوساط الجزائرية .

الأرض الموضوعة على قرن ثور

يبقى هذا الاعتقاد مميز في المجتمع ، وهو التفسير المنطقي بالنسبة للإنسان الأولـي أو الذي مازالت فيه رواسب أولية (الأمي على وجه الخصوص) أن الزلزال ناتج عن تحـرك الثور الذي توضع عليه الأرض التي نعيش فوقها ، والـذي يـرد هـذا الاهتـزاز والتمـوج لتحرك هذا الثور ، والذي ينتج عنه تحرك للأرض .

العوايــــة

وهي عبارة عن مرض يصيب الأطفال ، فيجعلهم يصيحون بـدون توقـف ، فيلجـأ الأهالي إلى جذع شجرة على شكل جسر ، ويمررون من خلالها أطفـالهم سـبعة مـرات ، وهذا هو العدد الطـوطمي الـذي يعتقـد مـن خلالـه الأهـالي أنـه يجلـب إلـيهم الـشفاء ولأطفالهم .

ومن ذلك بعض الأشجار التي يهابها الأهـالي ويرفـضون قطعهـا لاعتقـادهم أنهـا تجلب الضر إذا قطعت ، ولقد وقعت عدة حوادث من هذا النوع في إقامة مشاريع الطرق، واضطرار المؤسسات المنجزة للمشروع إلى قطع بعض الأشجار فوجدوا مقاومة فعلية مـن الأهالي كانت تدفعهم إليها اعتقاداتهم الأسطورية .

بوغنجة ... أسطورة المطر :

تعتبر هذه العادة أكثر تعبيراً عما يمكن أن نسميه بالجنوح نحـو التفـسير الـلا علمـي للحوادث ، هذه العادة التي مازالت تجد صدى في الأوساط الشعبية الجزائرية ، وخاصة في الأوساط الريفية ، ويعبر الأهالي من خلالها عن طقوس اجتماعية يرمون مـن خلالهـا إلى جلب المطر ، حيث يقومون بالتجمع في ساحة القرية أو أحد الأماكن العمومية ، حـاملين تمثالاً مصنوعا من القش أو القماش وماشـين في موكـب جمـاهيري بهـيج مـرددين بعـض العبارات المخصصة لذلك وتقول الأغنية "بوغنجة دار العقاش يا ربـي قـوي الرشـراش ، والجلبانة عطشانة واسقيها يا مولنا ، والفول نور وصفار واسقيه يا بولنوار وكلها عبارات شعبية يتمنى الأهالي بعد ترديدها نزول المطر بعد طول انتظاره ، حتى يسقي حقولهم كـي تنمو غلالهم وتمكنهم من العيش في سلام .

هذا ومازال الفكر الإنساني يتطور ويرتقي عن طريق العلوم الحديثة ، ولقد جـاءت الديانات من مسيحية، ويهودية، والإسلام كي تهدم هـذا الفكـر الأسـطوري وترسـخ في أذهان البشر فكراً نورانيا مبني على التفسير العلمي والعقلاني للحوادث والأشياء، إلا أنه مازالت هناك رواسب من الخرافات والأساطير تتحكم في الإنسان الحديث، وتحجـر علـى تفكيره، ولكن الأخطر من ذلك هو توظيف هذه الأسـاطير مـن أجـل أهـدافٍ سياسـية، وأغراض خبيثة تشوه إنسانية الإنسان .

جوستيسيا – الهة العدالة

كان عند الرومان الهة مجازية تجسد العدالة اسمها (جوستيـسيا (justisia) (وقـد اشتق منها اسم العدالة justisia وتتـصف هـذه الاهـة بالرحمـة ، وكانـت قـديما تـسكن

الأرض أيام العصر الذهبي حين كان الناس يتمتعون بالطيبة والبراءة ولما فسدوا ، ودبت اليهم روح الجريمة و الظلم آثرت الانسحاب

الى السماء حيث كونت المجموعة النجمية المسماة بالعذراء .وتبدو الهة العدل (جوستيسيا) في الآثار الفنية على هيئة فتاة أنيقة مهيبة تحمل ميزانا و سيفا وهما رمز العدالة , وقد عصبت عيناها كناية عن عدم التحيز

أسطورة أغريقية : احلال حق الأب محل حق الأم

في صباح أحد الأيام ، وقبل أن يطلق على مدينة أثينا اسمها المعروف ، أفاق أهل المدينة على حادث عجيب ، فمن باطن الأرض نبتت في ليلة واحدة شجرة زيتون كبيرة ، لم يروا لها شبيها من قبل وعلى مقربة منها انبثق من جوف الأرض نبع ماء غزيروقد أدرك الناس أن وراء ذلك سر الهي ورسالة تأتي من الغيب . فأرسل الملك بالعرافة ليطلب منها تفسيرا . فجاءه الجواب أن شجرة الزيتون هي الالهة أثينا وأن نبع الماء هو الاله بوسيدون , وأن الالهين يخيران أهل المدينة في أي الاسمين يطلقون على مدينتهم . عند ذلك جمع الملك كل الناس و استفتاهم في الأمر ، فصوتت النساء الى جانب أثينا و صوت الرجال الى جانب بوسيدون . ولما كان عدد النساء أكبر من عدد الرجال كانتالغلبة لهن ، وتم اطلاق اسم الالهة أثينا على المدينة .. وهنا غضب بوسيدون فأرسل مياهه المالحة العاتية فغطت أراضي أثينا وتراجعت تاركة أملاحها التي حالت دون زراعة التربة ...ولتهدئة خواطر الاله الغاضب .فرض رجال المدينة على نسائها ثلاث عقوبات : أولا لن يتمتعن بحق التصويت

العام بعد الآن ، وثانيا لن ينتسب الأولاد الى أمهاتهم بعد اليوم بل لآبائهم ، وثالثا لن تحمل النساء لقب الأثينيات ويبقى ذلك وقفا على الرجال...

أدونيس

يوجد الكثير مـن الأسـاطير الـسورية و الاغريقيـة و الكـثير مـن الروايـات المتعلقـة ب " أدونيس .خصوصا أن الالهة "عشتار الفينيقية" هي نفسها التي أصـبحت الالهـة" أفروديـت الاغريقية" بعد أن أخذ اليونان عبادة" عشتار" من السوريين الذين أنشأوا جزيرة قـبرص و أسسوا فيها عبادة" عشتار" وكانت هذه الجزيرة مرتبطة مباشرة ب " بيبلوس" الكنعانيـة في لبنان..أما" أدونيس" : فهـو الالـه "حـدد " و الالـه "آدون" و الالـه" تمـوز الأخـضر" عنـد السوريين وبلاد ما بين النهرين.والذي حوله الاغريق الى" أدونيس " وهو" النعمان " الذي مازال في لغتنا العربية و بعض اللغات الغربية ويطلق على الوردة البرية القانية اللون الـتي تخـرج مـن الأرض مـع الربيـع...

ويسميها العرب شقائق النعمـان أي جـراح النعمـان (أدونـيس)..وفي اللغـة الانكليزيـة تسمى الوردة ب " أنيمون Anemone " المشتقة من النعمان.

فمايزال في" عقولنا بقية من المعتقدات القديمة ، بأن هذه الوردة الربيعية قد نبتـت مـن دم أدونيس القتيل وهي تحمل لونه الى الأبد .ففي عيد الفصح الذي يتطابق توقيته تقريبـا مـع توقيت " الآدونيا الربيعي" يتم الاحتفال بموت السيد المسيح في اليـوم الأول يـوم الجمعـة الحزينة و بعثه في اليوم الثالث يوم أحد الفصح وتقوم النساء في ايطاليا فبل عيـد الفـصح باعداد حدائق أدونيس بنفس الطريقة التي اتبعتهـا نـساء الكنعـانيين والبـابليين قبـل آلاف السنين ففي بعض مرثيات الطوائف المسيحية نجد السيدة مريم تندب ابنها المسيح : هـو ذا أجمل المخلوقات صار جثة

من أعطى رونق الطبيعة وجمال الكون

يا ربيعي الحلو ،يا طفلي الجميل كل الأشياء تبكي معي أنا أم الاله وبنفس المعنى والفكرة ولكن. قبل آلاف السنين من مولد السيد المسيح نجد طقوس البكاء على "تموز" " أدونيس "آيلينوس .

فتقول عشتار في ندبها : آيلينوس . .ويلي عليك يا ولدي . ويلي عليك يا دامو كل الأشياء تبكي مع.

وفي احدى الروايات الاغريقية الأخرى : أن الالهة.. أم الاله "أدونيس" قد حولت نفسها الى شجرة عندما حملت به ثم ولدته وهي بهذه الحال فأتى طفلا جميلا فأحبته الالهة " أفروديت- عشتار .وقد استمرت " ..طقوس البكاء" ...على أدونيس "تموز" أو "أدون" الى فترة ما بعد الفتح الاسلامي بفترة طويلة

ومايزال في "عقولنا" بقية من المعتقدات القديمة .من خلال أعياد ربيعية فولكلورية قائمة حتى الآن في سوريا مثلا وفي الشرق الأدنى كالنيروز "أول الربيع "

في احدى الروايات الاغريقية:

أدونيس "شابا يافعا مولعا بالصيد ، تقع في حبه "أفروديت أو عشتار" وتقضي وقتها في قلق عليه من مخاطر هوايته ومحاولة دفعه للاقلاع عنها الى أن جاء يوم صرعه فيه خنزير بري في جبل لبنان ..قرب منبع النهر الذي سمي فيما بعد باسمه ففاض دمه ملونا مياه النهر بالأحمر القاني وانبثقت من قطرات دمه المتساقطة على التراب أزهار شقائق النعمان الحمراء . وفي كل عام يأتي أدونيس

الى المكان نفسه في الربيع وتفيض دماؤه فتصبغ المياه نفسها المتدفقة من بين الصخور الجبلية . وما تزال حتى الآن بقايا معبد عشتار عند نبع أدونيس

الذي هو نهر ابراهيم اليوم .قرب قرية "أفقا" اللبنانية. ويوجد نصب صخري يصور مصرع أدونيس و الاستسلام للموت وقربه عشتار بوضع المستسلمة للمصير و القدر .

اسطورة الغراب

نسبت ثقافتنا العربية الى الغراب، دلالات الخراب والموت والشؤم , فقالوا "أشأم من غراب " احذرمن غراب."

والأساطير العربية السامية القديمة تنسب "كره الغراب" الى غدره بالنبي نوح عليه السلام . حينما أرسله بعد الطوفان للبحث عن الأرض ، فراح يأكل ما وجد من جيف ، ونسي مهمته، فصب عليه "نوح" لعنته التي بدلت ريشه وغيرت لونه الى الأسود وبنفس الفكرة تحكي الأسطورة البابلية : انه لما كان "أوتنابشتيم" الخالد في البحر أرسل الغراب و الحمامة و السنونو ليبحثوا عن الأرض فلم تجدها لا الحمامة و لا السنونو فعادتا الى السفينة ، بينما الغراب بقي يأكل الجيف، مما أغضب "أوتنابشتيم" ، فراح يصب على الغراب لعناته في ترنيمة تقول:

أتيت بغراب و أطلقته ، طارالغراب بعيدا ،فلما رأى الماء انحسر حام و حط و أكل و لم يعد ، و نرى العرب تقول : "ماهو الا غراب نوح."

وبنفس السياق يحكى أنه عندما كانت القبائل تعبد الأصنام " : خرجوا حجاجا ، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم ، وكأن القبيلة تقدم العبدين قربانين عن آثام القبيلة وبقيت ترنيمة " لعنة الغراب" معلقة بجناحيه ولم تقوى الأزمنة ولا المسافات على تخليصه منها

ايقاظ النائم

تعتقد الكثير من الثقافات القديمة بأن الروح تترك الجسد و تسافر بعيدا عند النوم و لهذا جاء الاعتقاد بأنه من المهم إيقاظ النائم بلطف لكي تنتبه الروح و تعود إليه بسلام. و بالنسبة للقدماء اعتبرت هذه المسألة مسألة موت أو حياة. فبحسب المعتقدات لسكان المنطقة الجنوبية الغربية لأمريكا يوجد خيط رفيع بين النائم و روحه الهائمة في الليل لذلك فإن إيقاظه بشكل مفاجئ قد يقطع هذا الخيط و يمنع الروح من العودة إلى الجسم فتبقى هائمة في العالم الآخر.و كذلك اعتقد سكان وسط البرازيل بأن الاستيقاظ المفاجئ يمنع الروح من العودة إلى الجسم و في افريقيا أيضا تحذر كل من قبائل أزانديو و الماساي من إيقاظ النائم فجأة أو بطريقة عدوانية لأن ذلك قد يؤدي إلى وفاته. أما اليابان فيدعو الأينو إلى إيقاظ النائم ببطء للسماح لروحه بالعودة إلى جسمه بهدوء و كذلك يشاركهم هذا الاعتقاد قبائل هنود البورورد في البرازيل و التواردوا في أندونيسيا و الأندمان في جزر المحيط الهادئ. أما قبائل الموري في نيوزيلندا لديهم اعتقاد بأنه من عدم الاحترام إيقاظ الضيف أبدا و إذا كان ذلك من الضرورة فتتم العملية تدريجيا عن طريق القيام بضربات خفيفة على الطبل خارج غرفة الضيف و تزداد تدريجيا مما يعطي للروح الوقت الكافي للعودة وكذلك قبائل كول في وسط الهند و المورنجين في استراليا لها الاعتقاد نفسه. إن هناك إناسا كثيرين يستيقظون مفزوعين كل يوم و لا يموتون ولكن هذا ليس سببا منطقيا لرفض معتقدات الحضارات القديمة التي تلتقي من حيث المبدأ رغم المسافات التي تفصل بينها. مما يجعلنا نفكر فعلا بأن هناك شيئا ما يضيع عندما نصحو فجأة قد يكون الاستيقاظ بهدوء أفضل لأرواحنا ربما يكون الحلم امتدادا للحياة التي نعيشها في عالم الأحياء بقسميه المخيف و المفرح فينقطع فجأة الحلم و ينقطع ذلك

الخيط الرفيع بين الحلم و الحقيقة و هذا ما أخاف الحضارات القديمة التي كانت تؤمن بالعالم الآخر

مضيق جبل طارق و أسطورة القرد " ماكاك"

يعتبر مضيق جبل طارق من أهم الممرات البحرية الدولية و سمي بهذا الاسم نسبة إلى القائد العربي طارق بن زياد الذي عبره عام 711 ميلادية ليشكل حجر الأساس لحضارة عربية راقية في الأندلس دامت ثمانية قرون و كان لها الفضل في نقل علوم الدنيا إلى الأوروبيين . يقع مضيق جبل طارق بين اسبانيا و المغرب ليفصل بين المحيط الأطلسي و البحر الأبيض المتوسط و يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 425 م والغريب في الأمر أن جبل طارق هو جزء من الأراضي الاسبانية إلا أن بريطانيا سرقته من اسبانيا منذ 300 عام و استولت عليه منذ العام 1704 و لا يزال حتى الآن تحت السيادة البريطانية. و كل مظاهر العيش فيه تقوم على الطريقة البريطانية ، فاللغة انكليزية و هي الرسمية و الباوند الطارقي هو العملة المتداولة ولكن أكثر مؤشرات الوجود البريطاني غرابة و إثارة هي تلك القرود التي تسمى "ماكاك" و المنتشرة في شتى أنحاء المضيق ، والضباط و الجنود البريطانيين يعتنون بهذه القرود و يطعمونها و يحمونها من أي مكروه و ذلك لأنهم يؤمنون و بصورة عمياء بأسطورة قديمة مفادها أن الوجود البريطاني في مضيق جبل طارق سينتهي في حال انقراض آخر قرد "ماكاك" من المكان الذي لذلك يعمل البريطانيون على تدليل هذه القرود و الاهتمام بها و الحفاظ عليها للحفاظ على وجودهم في المضيق رغم أن هذه القرود تسبب الكثير من الإزعاج للسكان المحليين و للسياح و تسرق الفاكهة من البائعين والأهالي دون أن يجرؤ أحد على التعرض إليها و ذلك لأسباب غيبية و مخاوف خرافية مع العلم أن سكان المضيق لا يتجاوزون ال 30 ألف

نسمة و معظمهم من الانكليز لأن بريطانيا تسعى منذ 300 سنة على تهجير السكان الأصليين و تشجيع البريطانيين ألى استيطان هذه الرقعة الصغيرة بمساحتها و لكن الهامة بموقعها.

اسطورة الأميش

في أميركا تعيش جماعة من الناس يصل عددهم الى نصف مليون نسمة ويتوزعون في عشرين ولاية أميركية، وفي كندا وغواتيمالا، هذه الجماعة التي يسمونها (الأميش) تحتقر التكنولوجيا والسيارات والكهرباء والتصوير، وتتمسك بتقاليد حافظت عليها منذ أن جاء أجدادها عام 1693م الى العالم الجديد، يعيش أفراد هذه الجماعة في بيوت ريفية نظيفة وسط مزارع شاسعة، ولايستخدمون الكهرباء في الإنارة، وإنما الشموع ويتدفؤون على الحطب ولايعرفون الراديو أو التلفزيون، ولايركبون السيارات بل ينتقلون بوساطة العربات التي تجرها الخيول على طرقات أوهايو وبنسلفانيا المزدحمة بالسيارات. رجالهم يلبسون سراويل سوداء يخيطونها داخل بيوتهم إضافة الى قبعات سوداء من القش. التصوير ممنوع عندهم ويغطّون وجوههم حين يحاول السياح التقاط صورهم ويحصلون على حاجاتهم بمبادلة السلع الزراعية كالدخان والنسيج اليدوي الذي تصنعه نساؤهم، إذ إن المرأة عندهم تعمل وتنتج ولكن داخل المنزل .وتهددهم الأمراض بالانقراض، إذ ينتشر الجدري والتيفوئيد بين الأطفال، وقد تمكن أحد المخرجين السينمائيين من النفوذ الى مجتمعهم المنغلق، فصوّر فيلماً عن حياتهم، وحين عرض الفيلم ثارت نقمتهم على مخرجه واعتبروا ذلك عملاً غير أخلاقي، تم فيه الاحتيال لنقل تفاصيل عن حياتهم دون علمهم . والأميش هم أحفاد جماعة عانت من الظلم والاضطهاد في القرون الوسطى وذلك جنوب

ألمانيا وسويسرا لذلك ظلّت منغلقة على العالم و تستعصي على الحضارة.

أساطير الأزهار

تذكر الأساطير القديمة أن الزهور لم تكن إلا صبايا قتلهن الحب فتحولن إلى زهور ارتبطت أسطورتها بالمرأة منها :

زهرة النجمة: استو

ترتبط بشهر أيلول وتدل على الوسامة والأناقة، وهي الزهرة المفضلة لدى الفرنسيين حيث توضع على قبورهم لتشير إلى اختلاف الرغبات والأماني، ويعتقدالقدامى أن لأبخرتها المحترقة رائحة تطرد الشياطين.

تروي أسطورة هذه الزهرة أن (أستيريا) ملكة السماء بكت عندما نظرت إلى الأرض ولم تجد فيها نجوماً فنبتت زهرة النجمة في مكان سقوط الدمع.

الأقحوان

زهرة الصين الرسمية، كانت تزرع منذ آلاف السنين قبل أن يقام أول معرض لها في انكلترا سنة1795 م وتعتبر من الأزهار النبيلة التي لايسمح لأبناء الطبقة الفقيرة باقتنائها في حدائقهم. ومن التقاليد الشائعة وضع عدة وريقات من الزهرة في كأس من الخمر لتمدنا بالصحة والحياة المديدة والعكس في إيطاليا حيث ترتبط بالموت .

زهرة الآذريون –عباد الشمس

ترتبط بشهر تشرين الأول وترمز إلى الحزن والغيرة وهي الزهرة الأكثر قدسية عند الهنود ولهذا تصنع منها الأكاليل ولهامكان الصدارة عند تزيين الأماكن المقدسة لديهم، بينما تتربع على أطباق الرومانيين قديماً لتضفي على ولائمهم الفاخرة نكهة مميزة.

زهرة البنفسج

زهرة نابليون المفضلة عندما كان منفياً في جزيرة ألبا، وانتقلت معه بعد هروبه إلى فرنسا، كما تعتبر الزهرة الوطنية في أثينا القديمة. ترتبط هذه الزهرة بشهر شباط وترمز إلى الإخلاص. تروي أسطورة إنجليزية أن ملك الثلج شعر بالوحدة في قصره الجليدي الصامت فأمر جنوده بإحضار فتاة جميلة تدخل السعادة والدفء لقلبه، فكان له ذلك وتحول بتأثر حب فيوليت من رجل قاس الى آخر طيب القلب ولطيف. وقد رجته فيوليت مرة للذهاب لزيارة أهلها فسمح لها بذلك في الربيع شرط أن تكون على شكل زهرة ثم تعود إليه في الشتاء، وهكذا تحولت الصبية إلى زهرة جميلة حملت اسم البنفسج.

النرجس

زهرة آذار، الأصفر منه يرمز إلى الاحترام والتقدير والأبيض يشير الى الأنانية. تعود تسمية الزهرة إلى اسطورة يونانية قديمة تقول: إحدى حوريات الغابة واسمها «الصدى» وقعت بحب «نرسيس» الذي منحته الآلهة جمالاً فائقاً وكان عليه ألا يرى صورته معكوسة أبداً، لكنه كان مغروراً ولم يأبه لعواطف «الصدى» التي تلاشت من شدة جهاله ولم يبق منها إلا الصوت. قررت آلهة أخرى الثأر للصدى، فقادت نرسيس إلى بحيرة مضيئة كانت مقتله، بعدها شعرت الآلهة بقسوة حكمها على نرسيس فحولته الى زهرة النرجس .

خاتم الزواج أو دبلة الخطوبة

إحدى الأساطير التي تناقلتها الشعوب العربية والغربية منذ مئات السنين ويقول المؤرخون

إن الرومان من أوائل الشعوب التي اعترفت بخاتم الخطوبة وكان مصنوعاً من الحديد وان المصريين أول من استخدموا الذهب في صناعته .

وتجمع كل الروايات التي تبحث في تاريخ خاتم الزواج وحكايته ان قصته الاصلية تعود إلى اصول فرعونية وقد ابتدعها الفراعنة منذ آلاف السنين ثم ظهرت عند الاغريق وهي مأخوذة عن عادة قديمة تقضي أن توضع يد الفتى بيد الفتاة ويضمها قيد حديدي عند خروجها من بيت اهلها ثم يركب جواده والفتاة ماشية خلفه أو بجانبه بهذا الرباط إلى أن تصل إلى بيت الزوجية. وقد تطول المسافة بين البيتين ومع الوقت أصبحت عادة الخاتم تقليداً عاماً .

مصادر أخرى تقول: إن أول خاتم زواج كان خاتم الذي قدمه الأرشيديوق ماكسيموس الاسترالي لزوجته في العام 1477

وإن الكنيسة الكاثوليكية بدأت منذ العصور الوسطى باعتماده في مراسم الزواج، لكن الايرلنديين لهم روايتهم الخاصة التي تقول: إن أول خاتم زواج قدمه الايرلندي ريشار جويس لزوجته بعد عودة لها من تركيا وكان قد اختطف عشية زواجه من قبل مجموعة من القراصنة الذين باعوه في تركيا لأحد التجار حيث عمل لديه كجوهري لكن حزنه العميق وتفكيره الدائم بزوجته دفعه لصنع خاتم لها تعبيراً عن ارتباطه الابدي بها وليقدمه لها يوم زفافه الذي بقي يحلم به مما جعل التاجر التركي يشفق عليه فأرجعه إلى حبيبته في ايرلندا . أما عادة لبس خاتم الزواج في بنصر اليد اليسرى فهي مأخوذة من اعتقاد عند الاغريق أن هذا الاصبع يرتبط بأقصر عرق يمتد من الكهف إلى القلب ويسمى عرق القلب .

وتشير الأبحاث أن الخاتم تقليد حديث بالمعنى الجماعي وان المرحلة التي اعتمد فيها ليست محددة لكن من المؤكدانه لم يكن منتشراً بهذه الطريقة . لكن حملات التشجيع والترويج من

قبل شركات الجوهرات في أواخر القرن التاسع عشر ادت إلى اعتماده بشكل اكبر إلى ان وصل إلى نسبة 80٪في أربعينيات القرن العشرين. كما حددت هذه الشركات أنواعاً للخاتم مثل خاتم الوعد وهذا يقدم عند البدء بعلاقة جدية وخاتم الأبدية والذي يعني تحديد الزواج أو تأكيداً على أبديته

وهناك الخاتم الثلاثي الذي يحوي ثلاث ماسات تمثل الماضي والحاضر والمستقبل في العلاقة الزوجية .

وهذا وقد وجدت صور لخاتم الزواج في الآثار المصرية وقد اختاروا الخاتم لأن الدائرة عند المصريين القدماء تعني الأبدية والخلود، والزواج ارتباط روحي إلى الأبد. وقد استخدم الاوروبيون خاتم الزواج بعد العام900ميلادية، ثم انتشر عند غيرهم من شعوب العالم ليبقى هذا الخاتم الصغير رمز الحب والود والاحترام المتبادل بين الطرفين .

أبو زيد الهلالي

تعد سيرة ابو زيد الهلالى من اضخم وابقى الاعمال التراثيه التى تحكى و تخلد حياه العرب البدو الرحل و بيان خطوط الهجرة من الجزيرة العربية إلى مختلف بلدان العرب وذلك بحثا عن المرعى و المياه و كيفيه تقرب وتلاحم الثقافات و العادات بين القبائل العربيه المختلفه مما ادى إلى اثراء و توسع هذه القبائل وانتشارها .

تبدأ هذه السيره ببيان المجتمع القبلى في الجزيرة العربية عن طريق قبيلة بنى هلال بطل أشهر الملاحم الشعبية العربية المعروفة بسيرة بني هلال وقد صورت الملحمة وقائع العرب في الفترة من منتصف القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري إبان عصر الدولة الفاطمية . وعلى الرغم من شهرته لم يكن أبو زيد الهلالي محور هذه الملحمة وانما واحد من أربعة انتهت إليهم الرياسة في القبيلة وهم حسن بن سرحان المعروف

ب(أبي علي) الملقب بالسلطان ودياب بن غانم والقاضي بدير بن فايد وأبو زيد بن رزق الهلالي

ولقد مهدت الملحمة ولادة هذا البطل بحادث فذ جعله يبدو كانسان خارق . وترتكز بطولة أبي زيد على دعامتين الأولى الشجاعة وقد بالغ فيها الشعب العربي حتى أخرجها من الممكن وتجاوز بها الطاقة البشرية وكاد يعتبرها من الخوارق أما الدعامة الثانية فهي الحيلة وقد أهله الشعب العربي لها بأن علمه مختلف العلوم والفنون واللغات فهو يستطيع أن يتنكر في أي زي وأن يحترف أي مهنة وأن يتحدث بأي لغة.

ومن هنا جاء المثل العربي الشهير " سكة أبي زيد كلها مسالك " كناية عن قدرته الخارقة على اجتياز الصعاب . وابتدعت الملحمة الشعبية مبرراً للغزوة الهلالية التي اصطحب فيها أبو زيد من أرض نجد إلى بلاد المغاربة خيرة الفرسان ومن بينهم يحي ومرعي ويونس . وكان المبرر هو وقوع أولئك الفتيان الثلاثة في يد الخليفة " الزناتي " بمدينة تونس الخضراء . واحتال أبو زيد حتى تخلص من الأسر وعاد إلى قومه في نجد فما كان مهم إلا أن قاموا معه قومة رجل واحد يستهدفون مدينة تونس لتخليص الثلاثة وتحريرهم"

.

وقد آثر الشعب العربي هذه الشخصية بحبه وأعطاها مكان الصدارة ليس فقط بين أبطال سيرة بني هلال وإنما أيضاً بين أبطال السير الشعبية جميعاً.

الأزياء الشعبية و هوية الشعوب

حافظت الهند على زيها الوطني حتى بات هوية يعرف بها الهنود من خلال لباسهم ولعل أبرز ما تمسكت به الهند منذ آلاف السنين والى يومنا هذا هو «الساري . يجمع الساري بالرغم من بساطته بين الحداثة والثقافة الأصلية التي تحافظ على أناقة المرأة وحشمتها وتمنحها شخصية أقرب الى الملكات في ثيابهن الأسطورةوهو عبارة عن قطعة

قماش طولها حوالي خمسة أمتار وعرضها حوالي المتر وبسبب لمساته الجمالية وطابعه المحتشم ومرونته يمكن ارتداؤه كثوب بسيط أو شال

أو ثلاثة قطع «بلوزة وتنورة وشال» كما يمكن استبدال التنورة بالبنطلون الضيق أو الواسع

ولعل العقبة الوحيدة التي تواجه المرأة في طريقة ارتداؤه والتي لا تجيدها سوى المرأة الهندية التي تتقن ذلك منذ الصغر.

يصنع الساري إما من القطن أو الحرير ويختلف سعره طبقاً للجودة ويعد الجزء الخارجي منه الأكثر جاذبية لاسيما إذا كان مصنوعاً من الحرير.

ترتدي بعضهن الساري في مناسبات خاصة كنساء التاميل والنادو بينما نساء الطائفة البراهمانية يرتدينه باستمرار وبطرق متعددة دون الحاجة لارتداء التنورة الطويلة وتعد منطقة اندرا براديش مشهورة بالساري المصنوع من القطن والذي يصمم بخيوط الجواهر وتعتبر منطقة الباني غال أشهر من صنع الساري القطني الملائم لحرارة الصيف وهنا ميزة هندية أخرى تسمى التيلاك تمنح واضعها والآخرين شيئاً من القداسة ويتفرد بها الهنود كتفردهم بالساري وهو عبارة عن عجينة قرمزية اللون مكونة من الكركم اليود والكافور ويمكن ان تكون من معجون خشب الصندل المخلوط بالمسك توضع هذه العجينة على الجبهة الأمامية للنساء بين الحواجب وترمز الى الحكمة والتركيز الذهني وقد تستخدم بشكل يومي أو في مناسبات خاصة قبل أو بعد زيارة المعابد، وقد درجت العادة ان تضع المتزوجات هذه الإشارة على جبهتهن بشكل دائم. وفي الأجزاء الشمالية من الهند تعبر هذه الإشارة عن دفء الاستقبال وتكريم الضيوف وكذلك عند إلقاء تحية الوداع الى الأبناء والأقارب.

حكاية البحث عن كنوز كليوباترا

في عام 44 ق.م وبعد مقتل يوليوس قيصر زوج كليوباترا تم اتفاق القادة الثلاثة على أن يتولى انطونيوس شؤون الشرق حتى ألبانيا وليبيا وبرقة

أما المغرب فكان من نصيب أوكتافيوس وهو شقيق أوكتافيا زوجة انطونيوس، أما ليبروس فاحتفظ بشمال افريقيا وقد نشأت علاقة بين كليوباترا وانطونيوس كانت نتيجتها أن انجبت توأمين هما اسكندر فليوس وكليوباترا سيلانه وتم بعد زواج انطونيوس وكليوباترا في القرن 38 ق.م ما جعل كليوباترا تستعيد أمجاد اجدادها البطالمة، وفي عام 36 ق.م انجبت طفلا آخر لانطونيوس سمته بطليموس فيلادلفوس ما جعل انطونيو يقيم لها حفلا في الاسكندرية لا في روما ما أدى لنشوب حرب بين اوكتافيوس وانطونيوس . وقد اعلن انطونيوس اولاد كليوباترا ملوكا للشرق نتيجة حبه الشديد لها ورغم كل ما فعله لأجلها إلا أنه لم يستطع ان يمتلك شيئا مما تخبئه كليوباترا من كنوز. ولأن انطونيوس لم يطلق أوكتافيا فإن الرومان اعتبروا كليوباترا عشيقة وليست زوجة فحاول انطونيوس قهر روما المتمثلة بشخص أوكتافيوس ومن ورائه كليوباترا تدعمه نتيجة كرهها لروما وحلمها بالسلطة والمجد فخسر انطونيوس الحرب عندما فكرت كليوباترا بأنها هالكة لا محالة إذا وقعت بيد أوكتافيوس وهي الملكة العظيمة التي لا ترضى الذل فأشاعت في الاسكندرية انها ماتت فيكف اوكتافيوس عن البحث عنها وعن كنوزها المخفية. لكن الشائعة وصلت انطونيوس فانتحر غارسا السيف في بطنه عندها اضطر اوكتافيوس وحتى لا تضيع منه كنوز كليوباترا ان يرسل اليها برسائل يعدها فيها بالمعاملة الحسنة ولكنه هدد بقتل ابنائها إذا اساءت الى نفسها دون ان يعلم ان كليوباترا قد هربت الكنوز مع ابنتها سيلانه وهي بالوقت نفسه ارسلت له رسالة تطمئنه فيها. لكننا جميعا نعرف قصة كليوباترا الشهيرة التي ارتدت اجمل ملابسها وحليها وجعلت الثعبان يسمها فماتت حتى لا تذل أو تهان

وبهذا انهارحكم البطالمة واصبح اولاد كليوباترا تحت رعاية الامبراطور أوكتافيوس في روما، وقد تزوجت ابنتها سيلانه من جوبا الثاني ملك موريتانيا وعندما توفي خلفه ابنه بطليموس حفيد كليوباترا فجاء السفاح كاليجولا عام 27م ليقضي ويستولي على عرش

القياصرة الرومان حيث بلغه ان بطليموس يملك كنوزا من الذهب والفضة لا حصر لها وهي ما تبقى من كنوز كليوباترا ورسم خطة من أجل الكنز فعلم ان أورانيا زوجة بطليموس قد أخفته ولما عجز كاليجولا عن ايجاد الكنز دعا بطليموس الى مأدبة في روما وشرب هذا الأخير حتى الثمالة ما جعل كاليجولا يحاول بشتى الطرق معرفة مكان الكنوز ولكن دون جدوى لان بطليموس لا يعرف مكانها فأمر بقتله. فضم كاليجولا موريتانيا ونوميديا الى روما ما سبب كارثة لدى أورانيا فخافت وهربت الى الجبال القريبة من العاصمة وبقيت فيها وحاول كاليجولا ان يجد الكنوز لكن محاولاته باءت بالفشل هو ومن بعده.

أسطورة برميثيوس واكتشاف النار

تقول الأسطورة اليونانية: إن بروميثيوس الذي كان واحداً من التيتان العمالقة الذين سكنوا الأرض قبل البشر، قد أخذ قبضة من التراب عجنها بالماء وخلق الرجل على صورة الألهة وقد منح بروميثيوس الرجل قامة مستقيمة بحيث ان «كل المخلوقات تنظر الى الأرض، أما هو فيرفع وجهه نحو السماء ويحدق بالنجوم .

أراد بروميثيوس أن يميز الرجل بموهبة خاصة، لكنه اكتشف ان شقيقه ابيميثوس قد وزع كل الفضائل على المخلوقات الاخرى فما كان من بروميثيوس الا ان صعد الى السماء بمساعدة منيرفا فأوقد مشعله من عربة الشمس واحضر النار للرجل وبهذه الهدية تفوق الرجل على كل الكائنات الاخرى.

بعد ذلك قامت الآلهة مجتمعة بخلق المرأة الاولى باندورا وأهدتها لشقيق بروميثيوس فقبلها مسروراً. كان في البيت صندوق محظور فتحه لكن فضول باندورا جعلها ترفع الغطاء، فانطلقت من الصندوق عديد من الشرور والأوبئة بعضها يصيب البدن كالنقرس والروماتيزم، وبعضها يصيب النفس كالحسد والحقد

أعادت باندورا إغلاق الغطاء لكنه لم يكن قد بقي في الصندوق شيء سوى.. الأمل

أساطير عيد الحب

من أساطير الاحتفال بعيد الحب أن الرومان هم أول من احتفل به وذلك قبل سبعة عشر قرنا حيث كانوا يعتقدون أن(رومليوس) مؤسس مدينة روما أرضعته ذئبة فأمدته بالقوة ورجاحة الفكر.

فكانت تقام مراسيم احتفال بهذه المناسبة في منتصف شباط من كل عام في حين التصق اسم/ القديس فالنتين/ بهذا العيد باعتباره من ضحايا الكنيسة النصرانية, فقد مات في روما إثر تعذيب القائد القوطي(كلود يوس) له حوالي عام296م وبنيت كنيسة في المكان الذي توفي فيه عام350 تخليدا لذكراه، ولما اعتنق الرومان النصرانية أبقوا على الاحتفال بعيد الحب الذي نقلوه من مفهومه الوثني (الحب الالهي (إلى مفهموم يعبر عن شهداء الحب، ممثلا بالقديس(فالنتين) الداعية إلى الحب والسلام والذي استشهد في سبيل ذلك،كما يسمى أيضا(عيد العشاق) واعتبر(فالنتين (شفيع العشاق وراعيهم. وفي رواية أخرى تقول إن القديس(فالنتين) كان يزوج الجنود مخالفا بذلك أوامر الامبراطور الروماني(كلوديوس الثاني) الذي منع الجنود من الزواج حتى لا ينشغلوا عن الحروب،ولما علم الامبراطور بتصدي(القديس فالنتين (لأوامره سجنه وحكم عليه بالاعدام وفي آخر رواية عن هذا العيد أن القديس(فالنتين) كان من دعاة النصرانية وقبل دخول الامبراطور(كلوديوس) في النصرانية حاول إجبار(فالنتين) أن يكون على الدين الوثني الروماني،لكنه ثبت على دينه النصراني وأعدم في سبيل ذلك في14 شباط عام270 ليلة العيد الوثني(لوبر كيليا (ولما دخل الرومان في النصرانية أبقوا على العيد الوثني لكنهم ربطوه بإعدام(فالنتين) إحياء لذكراه لأنه مات في سبيل الثبات على النصرانية.

أمّا طقوس هذا العيد

عند الرومان كان يذبح كلب وعنزة ويدهن شابان مفتولا العضلات جسميهما بدم الكلب والعنزة ثم يغسلان الدم باللبن وبعد ذلك يسير موكب عظيم في مقدمته الشابان ومعهما قطعتان من الجلد يلطخان بهما كل من صادفهما،والنساء الروميات يتعرضن لتلك اللطمات مرحبات لاعتقادهن بأنها تمنع العقم وتشفيه

وفي طقوس احتفالية أخرى كانت الفتيات اللواتي في سن الزواج تكتب أسماؤهن في لفافات صغيرة من الورق وتوضع في طبق على منصة ويخرج كل من الشبان ورقة ليضع نفسه في خدمة صاحبة الاسم المكتوب لمدة عام يختبر كل منهما خلق الآخر ثم يتزوجان أو يعيدان الكرة في العام التالي.

أما الانكليز فكانوا يحتفلون بعيد الحب منذ القرن الخامس عشر الميلادي والقرنين الثامن والتاسع عشر انتشرت في بعض البلاد الغربية محلات تبيع كتبا صغيرة تسمى(كتاب الفالنتين) فيها بعض الأشعار الغرامية ليختار منها من أراد أن يرسل إلى محبوبته بطاقة تهنئة بعيد الحب.

الوحش الخرافي آرغوس

آرغوس وحش خرافي ضخم في الأساطير اليونانية التي تزعم أن له مائة عين، وكان يسمى بانوبيتيس، وهي كلمة تعني الذي يبصر كل شيء .عينت الإلاهة حيرا آرغوس لتحرس منافسة تمقتها، هي الأميرة الجميلة لوا. وتنفيذًا لأوامر زيوس، قام هرمس بقتل آرغوس، وبهذا فاز بلقب آرجيفونتيس (قاتل آرغوس .(استخدمت حيرا عيون آرغوس الـ 100 لتزين بها ذيل طاووس لها.

كان آرغـوس أيـضًا اسـم لكلـب الـصيد الـوفي للبطـل يوليـسيس في القـصيدة الملحمية الأوديسة. وقد تعرَّف الكلب على سيّده عندما عـاد إلى منزلـه بعـد غيـاب دام 20عامًـا. وكان آرغوس أيضًا اسمًا لباني الآرغو، السفينة التي أمر ببنائها البطل جاسون

الملك آرثر

الملك آرثر أحدُ ملوك القـرون الوسـطى البريطـانيين الأسـطوريين. وقـد كـان الشخـصية الرئيسية في بعض القصص المحبوبة في الأدب العالمي. وذكـر بعـض الكتـاب منـذ حـوالي 1,000 عام أشياء عن أعمال الملك آرثر البطولية، وما قام به فرسان مائدته المستديرة مـن مآثر ومغامرات.

وربما كان هناك ملك يدعى آرثر حقيقة، غير أن المؤرخين لا يعرفون عنه إلا القليل، وقـد روى رواة الأقاصيص تلك الحكايات القديمة عن آرثر، عن طريق الروايات الشفوية،وربما اعتمد هؤلاء الرواة في تلك القصص أساسًا على أحد الزعمـاء البريطـانيين، الـذي حقـق بعض الانتصارات على الغزاة الجرمان، في أوائل القرن الخامس الميلادي .وتزوج آرثر فيما بعد بالأميرة جوينفير. وكان لآرثر عدة بيوت، ولكن كان أحب هـذه البيـوت إليـه قلعـة كاملوت في جنوبي إنجلترا.

هناك روايتان ترويان الأحداث التي أدت إلى وفـاة آرثـر. وتقـول كلتـا الـروايتين إن آرثـر حارب ضد الإمبراطور الروماني لوسيوس، وإنه احتل الكثير من أراضي غربـي أوروبـا. ويقول بعض الكتاب المتأخرين إنه استُدعي للعودة إلى وطنه قبـل أن يكمـل انتـصاره، إذ بلغه أن موذْريدْ، وهو فارس ربما كان ابنه أو ابـن أخيـه أو ابـن أختـه، قـد اسـتولى علـى المملكة والملكة معًا، فقتَل آرثر مودريد، ولكنه مات هو نفسه من جراء الجروح التي لحقت به أثناء القتال. ويعتقد كثير من الناس أن آرثر ذهب إلى الجزيرة السحرية المسماة أفلـون،

لكي يُشفى من جراحه، وأنه سوف يعود في يوم من الأيام لمساعدة وطنه عندما تشتد الحاجة إليه.

جمع السير توماس مالوري نثره العاطفي المشهور موت الملك آرثر نحو عام1469 م من كتابات رومانسية إنجليزية وفرنسية قديمة عن آرثر. وقد اعتمد كثير من المؤلفين الذين كتبوا قصصًا أو قصائد عن آرثر على ماجمعه مالوري

الأَرْجُونُوت في الأساطير اليونانية، جماعة مرافقة لجاسون، البطل المشهور. وقد أبحروا معه في رحلة للإمساك بالصوف الذهبي، وهو صوف يغطي جسد الكبش الطائر. وقد شارك في ذلك نحو 50 من أعظم أبطال اليونان أمثال: كاستور وبولاكس وهرقل وأورفيوس وبيليوس وتيلامون.

وقد أخذت مجموعة الأرجونوت اسمها من سفينتهم الأرجو. وسُميت السفينة باسم بانيها، أرجوس، الحرفي المشهور. وكانت أطول سفينة بُنيت حتى ذلك الزمان. وقد أسهمت معبودتهم أثينا في بناء الأرجو.

عقب مغامرات عديدة، وجدت مجموعة الأرجونوت الصوف الذهبي، وذلك بعد نجاتهم من عدّة أخطار في رحلة العودة. ونظرًا لنجاح مسعاهم، تم تكريمهم بما فاق كل تكريم. وفي الأزمنه القديمة كان مصدر فخر أن يدعي فرد ما بأن أحد أسلافه، أبحر مع جاسون للبحث عن الصوف الذهبي

اساطير الهنود الامريكيين

عندما اكتشف كريستوفر كولمبوس أمريكا كان الهنود الأمريكيون يعيشون في كل من الأمريكتين الشمالية والجنوبية وكان لهؤلاء أسلوبهم الخاص في المعيشة ولهم أساطيرهم المتميزة، غير أن تلك الأساطير المختلفة كانت لها مظاهر عديدة مشتركة. ومعظم الهنود

الأمريكيين كانوا يعتقدون بوجود القوى الخارقة للطبيعة ويقومون بإجراء طقوس دينية كثيرة إرضاء لتلك القوى وطلبًا لمساعدتهم للحصول على الرزق والانتصار على أعدائهم في الحروب، وتصف أساطيرهم نهاية العالم بأنها ستكون نتيجة كوارث تأتي بها النيران أو الفيضانات.

غرائب ليلة الزواج..

في الصومال

يأتي الزوج المحارب ثم يقوم بضرب عروسه أثناء الاحتفال ، لكي يجعلها تُسلِم له منذ البدء ، و تخضع له وتنفذ كل مطالبه، و لكي تعترف بأنه السيد المطاع في البيت .

و في جزيرة غرينلاند

يكون إحتفال العرس أشبه بأسلوب إنسان الكهف الأول .. إذ أن العريس يذهب إلى بيت عروسه ويجرها من شعر رأسها إلى أن يوصلها لمكان العرس

و في جزر كوك

تذهب العروسة إلى زوجها على بساط من الآدميين

فحسب تقاليد تلك الجزر .. فإن شباب هذه الجزيرة يقوموا بالإستلقاء على الأرض ووجوههم إلى أسفل .. لكي تدوس العروس عليهم أثناء سيرها على ظهورهم .. حتى تصل إلى المكان الذي يجلس فيه زوجها (الله يعينهم لو كانت من الوزن الثقيل)

و في بورما

يتم إلقاء العروسة أرضا وذلك أثناء الإحتفال .. ثم يأتي رجل عجوز ويقوم بثقب أُذنيها ..فتتألم وتتوجع وتطلق الصرخات المدوّية .. ولكن ليس هناك من يسمع .. لأن الفرقة

الموسيقية تبدأ بالعزف بأصوات صاخبة مع بداء العروسة في الصراخ .. و ذلك لكي لا يسمع أحد صرخات العروس ..

و في جزيرة جاوه

تصبغ العروس أسنانها باللون الأسود .. وتغسل أقدام زوجها أثناء حفل الزواج .. وهذا يُعتبر دليل منها على استعدادها لخدمة زوجها طيلة حياتها ..

و في قبيلة نيجريتوفي المحيط الهادئ

يذهب الخطيبان إلى عمدة القرية ، فيمسك العمدة برأسي الزوجان ويضربهما ببعض ، وبهذا يتم الزواج

ملحمة جلجامش

ملحمة جلجامش (أو ملحمة كلكامش) هي ملحمة سومرية مكتوبة بخط مسماري على 11 لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853م في موقع أثري اكتشف بالصدفة وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري آشوربانيبال في نينوى في العراق ويحتفظ بالالواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني .الألواح مكتوبة باللغة الأكادية ويحمل في نهايته توقيعا لشخص اسمه شين ئيقي ئونيني الذي يتصور البعض أنه كاتب الملحمة التي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان.

يعتقد أن النسخة الأكادية من الملحمة التي تم العثور عليها مستندة على نسخة سومرية يرجع تاريخها إلى 2100 سنة قبل الميلاد. بعد سنوات من اكتشاف الألوح 11 تم العثور على لوحة أخرى يعتبرها البعض تكملة للملحمة والبعض الأخر يعتبره عملا مستقلا وقصة أخرى لأنه كتب باسلوب اخر وفيه لايزال أنكيدو على قيد الحياة. تم ترجمة الملحمة لأول مرة إلى الإنكليزية في سنوات تلت عام 1870 م من قبل جورج سميث الذي كان عالم آثار متخصص في المرحلة الأشورية في التاريخ القديم والذي توفي عام 1876 م.

بداية الملحمة

تبدأ الملحمة بالحديث عن جلجامش ملك أورك الذي كان والده بشرا فانيا ووالدته آلهة خالدة وبسبب الجزء الفاني من دمه يبدأ بادراك حقيقة أنه لن يكون خالدا. في الملحمة نرى أن جلجامش لم يكن ملكا محبوبا من قبل سكنة أورك حيث كانت له عادة سيئة وهو ممارسة الجنس مع كل عروسة جديدة في ليلة دخلتها قبل أن يدخل بها العريس وكان يجبر الناس على بناء سور ضخم حول أورك.

قام الناس بالدعاء من الآلهة بأن يجد لهم مخرجا من ظلم جلجامش فاستجاب الآلهة وقامت احدى الالهات واسمها أرورو بخلق رجل وحشي كان الشعر الكثيف يغطي جسده ويعيش في البرية ياكل الاعشاب ويشرب الماء مع الحيوانات أي أنه كان على النقيض تماما من شخصية جلجامش ويرى بعض المحللين أن هناك رموزا إلى الصراع بين المدنية وحياة المدن الذي بدأ السومريون بالتعود عليه تدريجيا بعد أن غادروا حياة البساطة والزراعة المتمثلة في شخصية أنكيدو.

كان أنكيدو يخلص الحيوانات من مصيدة الصيادين الذي كانوا يقتاتون على الصيد فقام الصيادون برفع شكواهم إلى الملك جلجامش الذي أمر إحدى خادمات المعبد بالذهاب ومحاولة إغراء أنكيدو ليمارس الجنس معها وبهذه الطريقة سوف يبتعد الحيوانات عن مصاحبة أنكيدو ويصبح أنكيدو مروضا ومدنيا. حالف النجاح خطة الملك جلجامش وبدات خادمة المعبد وكان اسمها شامات وتعمل خادمة في معبد الآلهة عشتار بتعليم أنكيدو الحياة المدنية من كيفية الأكل واللبس وشرب النبيذ ثم تبدأ باخبار أنكيدو عن قوة جلجامش وكيف أنه يدخل بالعروسات قبل أن يدخل بهن أزواجهن وعندما يسمع أنكيدو هذا الشيئ يستشيط غضبا ويقرر أن يتحدى جلجامش في مصارعة كي يجبره على ترك تلك العادة. يتصارع الإثنان بشراسة حيث أن الإثنان متقاربان في القوة ولكن في

النهاية تكون الغلبة لجلجامش ويعترف أنكيدو بقوة جلجامش وبعد هذه الحادثة يصبح الأثنان صديقين حميمين.

يحاول جلجامش دائما القيام بأعمال عظيمة لكي يبقى اسمه خالدا فيقرر في يوم من الأيام الذهاب إلى غابة من أشجار الأرز ويقطع جميع أشجارها ولكي يحقق هذا يجب عليه القضاء على حارس الغابة الذي هو مخلوق ضخم وقبيح واسمه هومبابا. ومن الجدير بالذكر أن غابة الأرز كان المكان الذي يعيش فيه الألهة ويعتقد أن المكان المقصود يقع الأن في منطقة بين إيران والبحرين.

يبدأ جلجامش وأنكيدو رحلتهما نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة شمش إله الشمس الذي كان أيضا إله الحكمة عند البابليين والسومريين وهو نفس الإله الذي نشاهده في مسلة حمورابي المشهورة وهو يناول الشرائع إلى الملك حمورابي وأثناء الرحلة يرى جلجامش سلسلة من الكوابيس والأحلام لكن أنكيدو الذي كان في قرارة نفسه متخوفا من فكرة قتل حارس الغابة يطمأن جلجامش بصورة مستمرة على أن أحلامه تحمل معاني النصر والغلبة.

عند وصولهما الغابة يبدآن بقطع أشجارها فيقترب منهما حارس الغابة هومبابا ويبدأ قتال عنيف ولكن الغلبة تكون لجلجامش وأنكيدو حيث يقع هومبابا على الأرض ويبدأ بالتوسل منهما كي لا يقتلاه ولكن توسله لم يكن مجديا حيث أجهز الإثنان على هومبابا وأردياه قتيلا. أثار قتل حارس الغابة غضب آلهة الماء أنليل حيث كانت أنليل هي الآلهة التي أناطت مسؤولية حراسة الغابة بهومبابا.

بعد مصرع حارس الغابة الذي كان يعتبر وحشا مخيفا يبدأ اسم جلجامش بالانتشار ويطبق شهرته الآفاق فتحاول الآلهة عشتار التقرب منه بغرض الزواج من جلجامش ولكن جلجامش يرفض العرض فتشعر عشتار بالإهانة وتغضب غضبا شديدا فتطلب من والدها آنو، إله السماء، أن ينتقم لكبرياءها فيقوم آنو بإرسال ثور مقدس من السماء لكن أنكيدو يتمكن من الامساك بقرن الثور ويقوم جلجامش بالإجهاز عليه وقتله.

بعد مقتل الثور المقدس يعقد الآلهة اجتماعا للنظر في كيفية معاقبة جلجامش وأنكيدو لقتلهما مخلوقا مقدسا فيقرر الآلهة على قتل أنكيدو لأنه كان من البشر أما جلجامش فكان يسري في عروقه دم الآلهة من جانب والدته التي كانت آلهة فيبدأ المرض المنزل من الآلهة بإصابة أنكيدو الصديق الحميم لجلجامش فيموت بعد فترة. بعد موت أنكيدو يصاب جلجامش بحزن شديد على صديقه الحميم حيث لا يريد أن يصدق حقيقة موته فيرفض أن يقوم أحد بدفن الجثة لمدة أسبوع إلى أن بدأت الديدان تخرج من جثة أنكيدو فيقوم جلجامش بدفن أنكيدو بنفسه وينطلق شاردا في البرية خارج أورك وقد تخلى عن ثيابه الفاخرة وارتدى جلود الحيوانات. بالإضافة إلى حزن جلجامش على موت صديقه الحميم أنكيدو كان جلجامش في قرارة نفسه خائفا من حقيقة أنه لابد من أن يموت يوما لأنه بشر والبشر فانٍ ولا خلود إلا للآلهة. بدأ جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية. لكي يجد جلجامش سر الخلود عليه أن يجد الانسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود وكان اسمه أوتنابشتم والذي يعتبره البعض مشابها جدا أن لم يكن مطابقا لشخصية نوح في الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام. وأثناء بحث جلجامش عن أوتنابشتم يلتقي بإحدى الآلهات واسمها سيدوري التي كانت آلهة النبيذ وتقوم سيدوري بتقديم مجموعة من النصائح إلى جلجامش والتي تتلخص بأن يستمتع جلجامش بما تبقى له من الحياة بدل أن يقضيها في البحث عن الخلود وأن عليه أن يشبع بطنه بأحسن المؤكولات ويلبس أاحسن الثياب ويحاول أن يكون سعيدا بما يملك لكن جلجامش كان مصرا على سعيه في الوصول إلى أوتنابشتم لمعرفة سر الخلود فتقوم سيدوري بإرسال جلجامش إلى المعداوي، أورشني، ليساعده في عبور بحر الأموات ليصل إلى أوتنابشتم الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود.

عندما يجد جلجامش أوتنابشتم يبدأ الأخير بسرد قصة الطوفان العظيم الذي حدث بامر الآلهة وقصة الطوفان هنا شبيهة جدا بقصة طوفان نوح، وقد نجى من الطوفان أوتنابشتم

وزوجته فقط وقررت الآلهة منحهم الخلود. بعد أن لاحظ أوتنابشتم إصرار جلجامش في سعيه نحو الخلود قام بعرض فرصة على جلجامش ليصبح خالدا، إذا تمكن جلجامش من البقاء متيقظا دون أن يغلبه النوم لمدة 6 أيام و 9 ليالي فإنه سيصل إلى الحياة الأبدية ولكن جلجامش يفشل في هذا الاختبار إلا أنه ظل يلح على أوتنابشتم وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له كي يحصل على الخلود. تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة على جلجامش فتدله على عشب سحري تحت البحر بإمكانه إرجاع الشباب إلى جلجامش بعد أن فشل مسعاه في الخلود، يغوص جلجامش في أعماق البحر ويتمكن من اقتلاع العشب السحري. بعد حصول جلجامش على العشب السحري الذي يعيد نضارة الشباب يقرر أن يأخذه إلى أورك ليجربه هناك على رجل طاعن في السن قبل أن يقوم هو بتناوله ولكن في طريق عودته وعندما كان يغتسل في النهر سرقت العشب إحدى الأفاعي وتناولته فرجع جلجامش إلى أورك خالي اليدين وفي طريق العودة يشاهد السور العظيم الذي بناه حول أورك فيفكر في قرارة نفسه أن عملا ضخما كهذا السور هو افضل طريقة ليخلد اسمه. في النهاية تتحدث الملحمة عن موت جلجامش وحزن أورك على وفاته.

يعتقد في هذه الأسطورة أن أوزوريس كان ملكاً عادلاً محباً للخير يحكم مصر من مقره بالوجه البحري ،وكان أخوه ست يحسده ويريد عرش مصر فأعد وليمة كبيرة دعا إليها أخاه وكان قد أعد صندوقاً فاخراً فدعا ست المدعوين إلى الاستلقاء في التابوت فمن يجد التابوت مناسباً له يستطيع أن يأخذه. وكان ست قد أعده على مقاس أوزوريس وعندما استلقى فيه أوزوريس أغلق ست وأعوانه التابوت عليه ورموه في النيل فمات أوزوريس غرقاً. فأخذت إيزيس تبحث عن زوجها حتى وجدته في جبيل) ببيلوس) ولكن ست أفلح في سرقة الجثة وقطعها إلى 14 جزءاً (وفي بعض الروايات 16 جزءاً) ثم قام بتفريقها في أماكن مختلفة في مصر ولكن إيزيس ونفتيس تمكنتا من استعادة الأشلاء ما عدا عضو التذكير (وفي بعض الروايات يقال أنها استعادت كل الأجزاء) واستخدمت إيزيس السحر

في تركيب جسد أوزوريس لإعادة الروح له الإنجاب منه ثم حملت من أوزوريس وقد كان من الصعب أن يحيا أوزوريس مثل حياته الأولى فلزم عليه أن يحيا في مملكة الموتى .و يكون ملكا فيها. وولدت أيزيس منه ولداً وهو حورس) بالسحر أيضاً) وقامت إيزيس بتربية حورس في أحراش الدلتا سراً حتى اشتد ساعده فأخذ يصارع ست انتقاما منه لأبيه حتى هزمه في النهاية.

ويقال أن أصل أسطورة أوزوريس أنه شخصية حقيقة كان ملكاً في عصر سحيق للغاية على أرض مصركلها وكانت عاصمته شرق الدلتا "بوزيريس" (أبو صير – بنها الحالية) وقد فسر موته غرقاً على يد الإله ست أنه مات في ثورة ضده كان مركزها مدينة "أتبوس" التي أصبحت مقر عبادة الإله ست (مكان طوخ بمحافظة قنا) وبذلك انقسمت مصر إلى مملكتين إحداهما في الدلتا والأخرى في الصعيد ووحدتا نتيجة لحملة ناجحة للشمالين. وقد انعكس هذا الصراع وإعادة تأسيس المملكة الأصلية على الأحداث القديمة (من موت أوزوريس الملك بسبب الثورة (فظهرت الأسطورة التي صورت رئيس الشمالين بابن اوزوريس الذي انتقم لأبيه وبدأت الأسطورة في التكون وظهرت بعض الشخصيات مثل أيزس ونفتيس

الفَصْلُ السَّابِعُ

أسباب انتشار الخرافة

اسباب انتشار الخرافة

هناك مجموعة كبيرة من الاسباب ساهمت بفاعلية في انتشار الخرافة وترسخها في اذهان العامه وخاصة في مجتمعات العالم الثالث، ومنها :

1) التعليم السطحي.

2) انتشار الأمية والجهل وغياب مناهج تدريس تنقل إلى الناشئة المعنى الحضاري والعميق للإسلام.

3) الفقر.

4) انتشار تداول كتب الشعوذة و الخرافة في بعض البلدان العربية

5) المفاهيم و المبادئ و القيم المتوارثة المغلوطة و البعيدة عن الدين .

6) دخلت ممارسات الدجل والشعوذة سوق الاستثمارات العربية من أبواب سرية وشديدة الخطورة، فلم تعد هذه الممارسات مقصورة على الجهلة وأنصاف المتعلمين، بل انضم إلى خيوطها عناصر من نخبنا المثقفة، وذوي المراكز المرموقة المنوط بها صنع القرار في بلادنا، وتقول إحصائية حديثة إن الدول العربية تنفق أكثر من 5 مليارات دولار سنوياً على الدجل والشعوذة.

7) يقول د. احمد الكتامي الباحث بالمركز القومي للبحوث النفسية لـ «الشرق الأوسط»: تتنوع مظاهر الدجل والشعوذة المتعارف عليها لدى العامة ما بين قراءة الفنجان وعمل الأحجية أو طرد الأرواح الشريرة أو التداوي بمواد تختار بصورة عشوائية إضافة إلى فتح المندل التي يزعم ممارسوها قدرتهم على كشف أمور تحدث في أماكن أخرى عن طريق التحديق والتركيز في بقعة زيت على مرآة من

نوع خاص، نجد مثلا أن السلطات السودانية قبضت يوم 11/ 8 الماضي على سوداني استطاع أن يستولي على 10 مليارات جنيه من مواطن خليجي إذ كان يقوم بأعمال الدجل والشعوذة لأجل مضاعفة مال الضحية!! وأكد المستشار العام لإدارة مكافحة الثراء الحرام والمشبوه السودانية على زيادة نسبة ظاهرة الدجل والشعوذة في الفترة الأخيرة حيث قدمت في أقل من شهر 3 بلاغات، تقدر قيمة الأموال المعتدى عليها في إحدى هذه البلاغات بـ10 مليارات جنيه. وذكر أن المجني عليه، الخليجي الجنسية، قد تعرض للاحتيال من قبل مشعوذ سوداني أوهم الشاكي بإمكانية مضاعفة المبلغ المسلم إليه. وسيقدم المشعوذ الجاني إلى المحكمة، كما تم الحجز على ممتلكات الجاني لحين الفصل في القضية فيما تقدر قيمة البلاغ الآخر بحوالي 27 مليون دولار قام مشعوذ بأخذها من مواطن عربي آخر بهدف مضاعفة المبلغ والعلاج .

8) ارتياد الفتيات العازبات، اللواتي انسد في وجوههن أمل الزواج، وبالتالي يلجأن إلى الشعوذة بغية جلب الحظ والسعد والظفر بزوج قبل زحف "العنوسة".

9) وراء كل ممارسات "الشعوذة" و"السحر" توجد فئة من التجار الأكثر استفادة من هذه الممارسات، وهم العطارون والمتخصصون في المتاجرة بالأعشاب، الذين بلغ بعضهم درجة الثراء، بسبب بيعه لـ "مخ الضباع" أو أجزاء من جيف ميتة، بدعوى أنها تجلب الشفاء، وتقدم حلولا عاجلة للمرضى، بالإضافة إلى الذين يبيعون الأعشاب لصناعة "السحر"، وقد تحول بائعو الأعشاب إلى أشبه ما يكونوا بـ "الصيدليات" من خلال تنظيم هذه المهنة في إطار قانوني، ووضع قائمة الأعشاب في قاعدة معلومات بالكمبيوترات، واشتراط الحصول على "وصفة" من "الساحر" أو

"المشعوذ" المعتمد لديهم. إنها واحدة من الحيل التي يستعملونها بالتنسيق مع "السحرة والمشعوذين" .

10) الأجهزة الأمنية تعلم بوجود هؤلاء "السحرة" وعناوينهم، غير أنها لا تتدخل إلا عندما تتلقى شكاية تظلم من الضحايا.

11) أصبحت الشعوذة و الدجل مهنة المثقفين الذين رأوا فيها وسيلة لكسب العيش السريع دون تعب أو شقاء وبالطبع الطريدة تكون جيوب الأغنياء والفقراء ممن يتميزون بصفة البساطة.

12) الإحباط و حالة القلق التي يمر بها الإنسان مما يدفع إلى اعتقداه بأن ممارسة بعض طرق الخرافة هي النجاة لديه.

13) يؤكد د . سعيد عبد العظيم أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة ورئيس الجمعية المصرية للطب النفسي أن التحليل النفسي يؤكد أن الإنسان بطبيعته لديه غريزة حب المعرفة بما سيأتي ،وقراءة المستقبل مما يجعلهم ،يلجئون إلى المنجمين (قراءة الكف، الفنجان، الأبراج.) ، ومع أن العصر الذي نعيش فيه يعد من عصور العلم والنهضة والتقدم العلمي الواضح في مختلف العلوم والمعارف ،إلا أنه مازالت هذه الغيبيات مسيطرة على عقول الكثير من الناس مما يؤكد تأثير المخزون الثقافي على مر العصور .

14) وسائل الإعلام المسموعة و المقروءة فالجديد الشعوذة الفضائية و فكرة البرامج تقوم على سحب المشاهد للسحرة ومفسري الأحلام عن طريق مشاهدة التلفاز بدلا من الدخول بهم في سراديبهم المظلمة، والاتصال بهم عبر الإيميلات ورسائل Sms ليحكي عن مشكلته التي تدور بين المرض المستعصي، وتأخر الزواج، والعقم، والرغبة في معرفة المستقبل.. إلخ.




الفصل الثامن

التحول الثقافي وتناقض الأفكار في ترسيخ مفاهيم الخرافة والأسطورة




التحول الثقافي وتناقض الأفكار
في ترسيخ مفاهيم الخرافة والاسطورة

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب.

صدق الله العظيم

في دراسة منهجيه تحليلية للشيخ محمد تقي فلسفي تناول فيها التحول الثقافي لدى الشعوب واثرها الكبير في ترسيخ مفاهيم الخرافة والاسطورة اتناولها في هذا المبحث تعزيزا للفكرالجمعي في تفنيد مؤسسات هذا التحول المرسخ للخرافة والاسطورة في حياة الشعوب .

الباب الأول : آثار التحول الثقافي

أخذت ثقافات الدول تتحول بسرعة في عالم اليوم ، وكذلك تتغير المباني العلمية والبرامج التربوية دائماً ، ويقدم العلماء كل يوم نظريات جديدة في مواضيع مختلفة للعالم، وكل نظرية ، صحيحة كانت أم خاطئة ، تترك آثاراً على أفكار الناس.

والتحول الثقافي غيّر جميع شؤون حياة الإنسان ، فردياً واجتماعياً، وبدل أخلاق الشعوب وسلوكها، كما أنه أضعف العقيدة الدينية في باطن الأشخاص، وزعزع المبادئ الأخلاقية الثابتة، وقلل من أهمية التقوى والطهر. وأدى هذا التحول إلى اختلاف معايير الفضيلة والرذيلة ، وفقدت الآداب والسنن الإجتماعية أهميتها، وفي بعض المواضع حلت أعراف جديدة مكانها.

واختلط الصحيح والخطأ في الثقافة الجديدة، فإلى جانب التعاليم الصحيحة والمفيدة وجدت تعاليم خاطئة ومضرة، وعلى اثر التعاليم السيئة فقد تعقّد الصواب

والخطأ يوماً بعد آخر، وأصبح من الصعب التمييز بين الخير والشر، كما ازدادت حيرة الناس في معرفة المباح والمحرّم.

فالأطفال ينشأون في العائلة طبقاً لمعتقدات الوالدين والسنن والآدابوالإجتماعية. وعلى هذا الأساس تثبت أعمدة شخصياتهم ، ولكنهم عندما يصلون سن الشباب، ويدخلون المجتمع ، ويواجهون التعاليم المخالفة لتربيتهم في عهد الطفولة، يصابون بالقلق، ونتيجة التضاد الداخلي والاضطراب الفكري تتزعزع شخصياتهم.

الباب الثاني :اهتزاز الشخصية

يقول جان ديوي: يرزح الإنسان اليوم تحت تأثير عوامل كثيرة كل منها يترك في ذهنه أثراً يدفعه إلى التفكير.

ومن الطبيعي أن أثر المبادئ الدينية والصحف والمجلات ومراكز التعليم والمدارس والجامعات ومعاشرة الناس، ليس متساوياً، وفي الوقت نفسه فإن لكل شخص مبادئ تعليمية وتربوية مختلفة، وهناك اختلاف شديد بين العادات، كما أن أعمدة الشخصية مهتزة وغير ثابتة، والمبادئ الأخلاقية ضعيفة والتصرفات غير مطمئنة يقول صموئيل كينغ: إن المجتمع المتحضر اليوم متناقض جداً ومعقد، ويفرط خاصة في توقع الأفضل من الأفراد. ويشاهد غالباً أن هناك اختلافاً كبيراً بين تربية البيت والمسجد، أو الكنيسة والمدرسة وبين التعليم الذي يتوقعه المجتمع.

الباب الثالث : ضياع الشباب

يقول الدكتور هاريس: تطرح الحياة خارج محيط المنزل والمدرسة، أي في صالات السينما والمحافل، ومواضيع الكتب والمجلات والتلفزيون)، أمام الشباب مواضيع ليس لها

ذكر في البيت والمدرسة والمراكز الدينية، أو هي مواضيع مخالفة لمواضيع هذه الأماكن، ولذا فإن الشباب،الذين لم ينضجوا عقلياً بموازاة النموالجسمي، يصابون بالضياع ولا يستطيعون أيجاد انسجام بين أحاسيسهم وحقائق المجتمع لقد أُصيب إنسان اليوم، نتيجة التحول الثقافي، باضطراب نفسي وتناقض فكري لدرجة أن البعض قد تعرض لأمراض نفسية.

إن ثقافة اليوم قد ألحقت أضراراً بالمبادئ الإيمانية والأخلاقية، التي هي نقطة ارتكاز النفس، والمقر الأساسي لهدوء الضمير، وسلبت راحة الفكر من الناس. إن الكثير من الأشخاص تأثروا تأثيراً كبيراً بالمواضيع المتناقضة للثقافة الجديدة لدرجة أنهم أخذوا ينظرون إلى جميع القضايا الدينية والعلمية والأخلاقية الأساسية نظرة شك وتردد فيها الكثير من سوء الظن أدت بهم إلى الضياع والحيرة وجعلت في داخلهم صراعاً دائماً مع النفس في اتخاذ أي قرار، وفي انسجامهم مع الظروف المحيطة.

الباب الرابع: عجز في مواجهة التغييرات

إن التغييرات السريعة في الثقافات أوجدت أفكاراً جديدة ، وقد أدى هذا الوضع الفوضوي بالكثير من الأشخاص الى الحيرة والضياع وتعذبت نفوسهم نتيجة عدم استطاعتهم إشباع رغباتهم والانسجام مع المقتضيات الإجتماعية، ولهذا السبب فمن المحتمل أن يصاب مثل هؤلاء الأشخاص بمختلف أنواع الأمراض والعقد النفسية، التي تؤدي بهم إلى الانتحار ، أو الانخراط في زمرة المجرمين.

يذكر (بلوك) في كتابه (الاختلال الفردي والاجتماعي) أن الأشخاص عندما يواجهون تغييرات اجتماعية عميقة غير متوقعة، ويعجزون عن الانسجام مع هذه التغييرات يحتمل أن يسلكوا خمس طرق:

1) الانسجام مع الآداب والتقاليد الجديدة.

2) إيجاد طريقة أخلاقية خاصة والسعي لكي يقبل المجتمع ذلك.

3) سلوك الأساليب غير الاجتماعية كالجريمة والتمرد على النظام الموجود والهجوم عليه.

4) الابتعاد عن المجتمع والابتلاء بالأمراض النفسية المختلفة.

5) سلوك طريق الانتحار ، هرباً من الحياة.

الباب الخامس :اختلاف الآراء لدى الشيوخ والشباب

إن التحول السريع للثقافة في عصرنا ترك أثراً عميقاً في المجتمعات البشرية وأحدث تغييرات في مختلف مجالات العقائد والآراء لجميع الطبقات . والتحول الثقافي غيّر كيفية تفكير الناس في الكثير من القضايا الدينية والعلمية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية والتربوية ، والقضايا النظرية والعملية الاخرى ، ونتيجة لذلك ظهر اختلاف في وجهات النظر ، وتناقض في التفكير لدى الكثير من الشبان والكبار في العائلات والمجتمعات.

من الملاحظ أن هناك فوارق بين الناس في كسب العلم واستيعابه كما تختلف مستوياتهم العلمية ، ولهذا السبب تختلف أيضاً وجهات النظر بين الشيوخ والشباب في العائلات، وإن نقاشهم وبحثهم يتناسب والمستوى العلمي والثقافي لكل عائلة.

الباب السادس :العائلات المتعلمة:

ففي العائلات التي يكون الشيوخ فيها أو على الأقل كبير العائلة يكون متعلماً، والشباب فيها مثقفون، إذا حصل اختلاف في الرأي بينهم في بعض القضايا، فمن الممكن

حله بالبحث والتفاهم، وإذا كانت الاختلافات عميقة ومبدئية ولا يمكن حلها بالطريقة السابقة فإنهم يقطعون النقاش ويبقى كل واحد منهم على رأيه، والحقيقة أنه من النادر أن يحدث في مثل هذه العائلات اختلافات علمية ونظرية تؤدي إلى العداء والخصومة وتوتر أجواء البيت لدرجة وقوع جرائم.

الباب السابع :العائلات الأمية:

أما اختلافات الشيوخ والشباب في العائلات الأُمية فليس هناك أي أساس علمي لذلك وإنما يعود معظمه إلى الانحرافات الأخلاقية لدى الفتيان والفتيات فشباب هذه العائلات لم يحصلوا على القدر الكافي من العلوم ولم يدخلوا المدارس لاكتساب العلم، ولم يستفيدوا مما دونه العلماء في كتبهم ليرتفع مستوى تفكيرهم، وهم أُميون كآبائهم وأُمهاتهم.

ولكن مشاهدة الأفلام المنحطة والجنائية التي هي من مظاهر الثقافة الجديدة، وكذلك المعاشرات الفاسدة، ومشاهدة المناظر الضالة، استطاعت أن تترك أثراً على أخلاق وتصرفات بعض هؤلاء، فدفعت بهم نحو الفساد والشر، وشرب الخمر والمقامرة، والسرقة والجريمة، وبقية الممارسات الضارة للأسف أن الإنسان يتعلم الرذائل بسهولة أكثر من اكتسابه الفضائل وتعلمه للشر أسرع من تعلمه للخير .

ومن الصعب جداً بلوغ العدالة والإنصاف والتخلق بالعفة وكف النفس عن الخبائث، وغيرها من السجايا الإنسانية، لكن من السهل جداً تعلم الظلم والاستبداد، والفساد واللامبالاة ، وغيرها من الرذائل الأخلاقية. قال علي عليه السلام » : ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها.

الباب الثامن : العار الاجتماعي

إن الوالدين والكبار في هذه العائلات يتأثرون لمشاهدة التصرفات الشريرة للشباب، وذلك خوفاً مما قد يصيب العائلة من سمعة سيئة وعار اجتماعي ويقولون: إن هؤلاء الشباب قد أساءوا لسمعة العائلة وكرامتها بتصرفاتهم السيئة.

وإذا كان الكبار في العائلة متمسكين بالتعاليم الدينية فإن انزعاجهم يكون مضاعفاً ، أولاً للإساءة إلى سمعة العائلة، وثانياً بسبب مخالفة القرارات الدينية.

إن الخلاف بين الكبار والشباب في هذه العائلات لا يمكن أن يأخذ شكلاً علمياً واستدلالياً، لأن الطرفين يفتقدان العلم والاستدلال، ويتصف اختلافهم بالاعتراض والمؤاخذة، أو العنف، أو المشاجرة والصراخ، وقد ينتهي أحياناً بالضرب والجرح، وربما القتل والجريمة.

الباب التاسع : الشباب المتعلم والشيوخ الاميون:

إن المشكلة الكبرى هي في العائلات التي يكون كبارها قد حرموا من التعليم في مرحلة الطفولة لعدم وجود مدرسة أو معلم أو لأي سبب آخر وبقوا أُميين، ولكن أبناءهم الشباب درجوا في مدارج العلم نتيجة وجود الظروف التعلمية، ودخلوا المدارس منذ الصغر. في مثل هذه العائلات ولاختلاف المستوى العلمي والثقافي، توجد خلافات كثيرة بين الشباب والشيوخ في الكثير من القضايا ، وهذا ما يدفعهم للمواجهة.

فالشباب المثقف فضلاً عن أنهم لا يعيرون أهمية لآراء الكبار ولا يتبعون أفكارهم، وإنما عندما يشاهدون شيئاً يستوجب اختلاف الرأي يفتحون أفواههم بالانتقاد ويرفضون اسلوب آبائهم واسلوب الكبار ويعتبرونه خاطئاً مما يدفع بالكبار لاتخاذ موقف دفاعي عن

آرائهم من خلال البحث والنقاش الذي قد يؤدي في بعض الأحيان إلى النزاع، وإذا تطـور يصل الجدال إلى قطع العلاقات العائلية ، فينفصل الأبناء عن الآباء، والنساء عن الأزواج، فتتدمر العائلات وتتشتت.

الباب العاشر :العائلات والتحول الثقافي:

وعليه فإن التحول الثقافي يترك أثراً ـ بشكل ما ـ على العائلات المثقفة وغير المثقفة، ويوجد الاختلاف بين الشيوخ والشباب ، ولكي نوضح جانباً صغيراً من هذا الاختلاف الكبير، ونقدم سبلاً لتقليل هذا التضاد وعدم الانسجام، نناقش هنا قسماً من مطالب الشباب المتعلم، التي تدورغالباً حول ثلاثة مواضيع تعاني منها أكثر العائلات

أحدها انتقادهم لبعض الآداب والتقاليد الاجتماعية، وهذا ما سنبحثه في هذه المحاضرة، والآخر اسئلة الشباب حول الله تبارك وتعالى والقضايا الدينية، التي يكون البحث فيها في المحاضرتين القادمتين . ولتوضيح البحث يلزم أولاً أن نقدم توضيحاً عن الآداب والتقاليد الاجتماعية.

الباب الحادي عشر : العادات والتقاليد:

منذ القدم كانت هناك آداب وتقاليد وسنن وآراء تعتنقها الشعوب المختلفة، البعض منها، يمكن تبريره تبعاً للظروف الزمانية والمكانية وطبقاً للحاجات الاقتصادية والمصالح الاجتماعية وشؤون العائلة، والبعض الآخر منها نتيجة الجهل والخرافات، التي قد يكون لها أحياناً جانب جنائي، وتعتبر من الممارسات اللاإنسانية، وسنورد مثالاً لك قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

القسم الأول : العادات التي يمكن تبريرها نتيجة ظروف الزمن :

1) المرأة المطلقة في قبيلة (سكالا واي) في مدغشقر لا تتمكن بدون موافقة زوجها السابق أن تتزوج ثانية، والزوج السابق يعقد اتفاقية مع الزوج الجديد على أن يكون الأطفال الثلاثة الأوائل من الزوج الجديد أبناءً له . ويقول أهالي هذه

القبيلة إن فائدة هؤلاء الأطفال كفائدة أطفاله له، وهذا العمل يدل على أن للأطفال فائدة اقتصادية.

2) إن القبائل البدائية غالباً ما يتزوج أفرادها من خارج قبيلتهم . ويعتقد تايلور (tylor)أن الزواج من خارج القبيلة يؤدي إلى علاقات ودية مع عدة قبائل اخرى هي بدورها تعقد مثل هذا الزواج مع قبائل اخرى فتعود عليهم هذه العلاقات بالنفع (على القبائل الوحشية أن تتذكر دائماً أن أمامها أمرين : إما أن يتزوج أفرادها من القبائل الاخرى أو يُقتلون خارج قبيلتهم)، وبما أن الزواج من القبائل الأخرى له هذه الفائدة ، فإن الزواج من القبيلة نفسها يجب أن يكون مذموماً ومرفوضاً.

3) أن ينجب المرء ابناً يعتبر في الصين من الواجبات لأنه يهتم بقبور والديه ويحرق لذكراهم البخور ، وبهذا الشكل فإنه يقوم بتخليدهما .

وعلى هذا فمن الممكن أن يكون طلب الولد هو خلود الإنسان من خلال الآخرين.

القسم الثاني : العادات الخرافية والوهمية :

1) كان (الأريون (يعتقدون أن أرواح الأموات تحتاج إلى الطعام والشراب والمسكن، وأن الأرواح التي لا تملك مسكناً وطعاماً تبقى جائعة وضائعة دائماً فإنها لا تستطيع المحافظة على أفراد العائلة بل تكون طيفاً مرعباً لهم . إن هدوء الروح لا يتم إلا بدفن الميت باحترام وخشوع ويوضع في قبره الخمر والحليب والعسل.

2) يجب أن يكون المدفن أمام المنزل ليس بعيداً عن الباب وقريباً من أفراد العائلة لكي يواجهوا أرواحهم في دخولهم وخروجهم ويتحدثوا إليهم ويتضرعوا ويبكوا.

3) وكانوا يملكون مكاناً خاصاً لإشعال النار المقدسة داخل المنزل ويضعون الطعام في النار، وكانوا يعتقدون أنه طالما كانت النار مشتعلة فإن أرواح الأموات تحوم حولها، ولذا يجب أن تكون النار مشتعلة دائماً، إلى أن يموت آخر فرد في العائلة وتنقرض بكاملها.

القسم الثالث : العادات والتقاليد ذات الطابع الإجرامي اللاإنساني فضلاً عن بعدها الخرافي

1) كان المصريون القدماء يطرحون في النيل فتاة يسمونها عروس النيل حين يتم فيضانه كتقدمة شكر له على اعتقاد أنه إله الخصب، وما زالت هذه العادة تتوارثها الأجيال المصرية حتى اليوم،وإنما تغير الجوهر والعرض معاً.

2) في الهند ، كانت العادة أن يلقوا بأشخاص في النهر قرابين للآلهة بغية استنزال المطر. وفي عام 1924 ، شح المطر في منطقة من مناطق الهند ، واعتقد الناس أن آلهة المطر غضبت على شخص ما ولذا شح المطر، فأخذوا يبحثون عن هذا الشخص حتى إذا وجدوه أحرقوه حياً ليزول غضب الألهة فترسل مطراً، وعلمت الحكومة بهذا الأمر فأعلنت أن من يشترك في هذا الموضوع سيعاقب بشدة.

3) في الهند ، كانت العادة أنه عندما يموت الزوج ، فلا يجب أن تبقى الزوجة على قيد الحياة ، ولهذا فعندما كانوا يدفنون الميت كان الناس يحضرون ويضعون الزوجة الحية في القبر ويهيلون عليها التراب وفي عصرنا هذا أيضاً ، هناك شعوب

متقدمة ومتخلفة ونامية ، لها عقائد وآراء وتقاليد بعضها عقلاني يمكن تبريره، وبعضه الآخر وهمي وخرافي بل وربما ظالم ولا إنساني

في الدول الغربية المتقدمة، يعتقد أتباع الكنيسة بالأقانيم الثلاثة الأب والإبن والروح القدس، إن فكرة التثليث الخرافية تغطي ككتلة من سحاب قاتم سماء أوربا وأمريكا.

وهناك الكثير من الناس في بلاد المغرب يعتقدون بالأعمال الوهمية للسحرة والمشعوذين ، ويعتبرونها عادات مقبولة ، وينفقون سنوياً قسماً من أموالهم ووقتهم في هذا المجال.

الباب الثاني عشر : التشاؤم من الرقم 13:

كما أن عالم الغرب المتمدن يعتبر الرقم 13 رقماً مشؤوماً ، ولذا لا يرغب الناس أن يكون رقم منزلهم 13، أو رقم غرفتهم 13 في الفندق أو المكان الذي يسكنون فيه، ولا يرغبون تناول الطعام على مائدة عليها ثلاثة عشر شخصاً .

1) يقول الدكتور مارتين لوثركينغ : إن أكبر حاجات الإنسان هو أن يجعل نفسه فوق مستنقع الدعايات الكاذبة ، فالأشخاص المصابون بالأمراض والضعف النفسي يستسلمون بسرعة إلى الخرافات، وأنفسهم قلقة وخائفة دائماً، يخافون من يوم الأحد الثالث عشر من الشهر، ومن القطة السوداء التي تضع يديها فوق بعض على شكل صليب. ولقد لاحظت شخصياً عندما كنت في مصعد كهربائي في فندق كبير بنيويورك أن الفندق ليس فيه طابق برقم 13، بل يوجد طابق 14 بعد طابق 12، فسألت موظف المصعد عن السبب فأجاب إن هذه العادة متبعة في معظم الفنادق، لأن عدداً كبيراً من النزلاء يخافون الإقامة في الطابق 13، ثم

أضاف : بل إن البعض عندما يرون أن الطابق 14 هو بـدل الطـابق 13 يمتنعـون عن الإقامة فيه.

الباب الثالث عشر : الصنم والتضحية بالأبناء

في الشرق، أيضاً، توجد عقائد خرافية كثيرة، ولا يزال عدد كبير من الناس يعبـدون الأوثان، ويصرون على ذلك ، حتى إن البعض من هؤلاء الناس أصبحوا أسرى الأوثـان الجامدة، وتصوروا أنها مصدر قرار يؤثر في حياتهم ، لدرجة أنهم مستعدون لتقديم أبنائهم قرابين لها ، فقبل ثلاث سنوات ذكر نبأ في صحيفة أن المحكمة الجنائية في مدينة (جيبـور) الهندية قد حكمت بالإعدام على شخصين لتقديمهما صبياً في الثانية عشرة من عمره قرباناً لأحد الآلهة الهنود . وكان هذان الشخصان قد عقدا اتفاقية لصنع أحواض الماء مـع دائـرة المياه الصالحة للشرب في المدينة ، وقبل قيامهم بالعمل ذبحا الصبي أمام الصنم وهما يطلبان رضى الآلهة ومنحهما ذلك التوفيق في العمل الذي عقدا الاتفاقية عليه .

إن الامم والشعوب المختلفة في العـالم ، قـديماً وحـديثاً ، كـانوا ولا يزالـون أسـرى العقائد الخرافية والأفكار الخاطئة.

والطريف إن عقائد وآراء الشعوب والأُمم ، صحيحة كانت أم خاطئة، هي التي تبني المحيط الاجتماعي وهو بدوره يكون قوياً لدرجة أن أحكامه وقوانينه تُفرض على الشخص وتنشئه على التماثل مع المجتمع.

إن العلماء يعتقدون أن المحيط الاجتماعي يلعب دوراً أكثر تأثيراً من المحيط الطبيعـي في صنع الشخصية وتنشئة الأفراد.

الباب الرابع عشر : دور المحيط في شخصية الفرد

إننا غارقون في عادات محيطنا مثل غرق خلايا النسيج في السوائل العضوية. ونحن مثل هذه الخلايا عاجزون عن الدفاع عن أنفسنا ضد تأثير المجتمع. إن الجسم يقاوم العالم الكوني بقوة أكثر مما يقاوم بها العالم النفسي . . .إنه محروس ضد غارات أعدائه الطبيعية والكيميائية بواسطة الجلد والأغشية المخاطية للجهازين التنفسي والهضمي أما حدود العقل فهي على العكس من ذلك مفتوحة دائماً، وهكذا يتعرض الشعور لهجوم المحيط العقلي والروحي وتبعاً لطبيعة هذا الهجوم ينمو العقل إما في حالة طبيعية أو ناقصاً.

إن للمجتمع قوة اجتماعية ونفسية، والأشخاص يفتقرون إليها منفردين ، (وهذه القوة هي الثقافة) أو (الآداب والتقاليد). فالأداب والتقاليد الاجتماعية هي عبارة عن وسائل يضعها المجتمع تحت تصرف الأشخاص، كما أن هذه الآداب والتقاليد هي التي تفرض على الفرد السلوك الاجتماعي ، ولهذا السبب يجب اعتبارها أعلى من الفرد.

من الضروري القول إن المحيط الإجتماعي مع قوته وقدرته على فرض رغباته على الأفراد وتحميلهم صفات المجتمع، إلا أن ذلك ليس ثابتاً ودائماً، لأن هناك عوامل وأسباب عديدة من الممكن أن تغير المحيط الإجتماعي، وتغير السنن والتقاليد العامة، وتحارب العقائد الخرافية، وتحول دون الأعمال الاإنسانية.

الباب الخامس عشر : عوامل تغيير المحيط:

ومن تلك العوامل القادرة على تغيير المحيط هي قرارات الحكومات القوية، وإرادة الأشخاص العظماء، وارتفاع مستوى الثقافة لدى الناس . لتوضيح هذا الموضوع نشير إلى هذه العوامل باختصار .

الباب السادس عشر : الحكومات القوية

إن أحد العوامل التي بإمكانها التأثير في المحيط الاجتماعي وتغير مسير المجتمع، هو عزم الحكومات، فالحكام المقتدرون يستطيعون من خلال قواتهم العسكرية والمدنية، محاربة الأفكار الخاطئة والعقائد الخرافية، وإلغاء الآداب والتقاليد الباطلة المتفشية بين الناس، ومنع الأعمال غير العقلانية والتصرفات الاإنسانية للجهلة عن طريق القوة.

طبعاً هذه المكافحة يجب أن تكون عميقة ومستمرة، لدرجة تبعث اليأس في قلوب أولئك الجهلة من القيام بأعمالهم الخاطئة وتجعلهم ينسون رويداً رويداً أفكارهم الباطلة.

فلولا وجود حكومات قوية في البلدان التي تشيع فها عبادة الأوثان، ولولا وجود القوانين الجزائية لذهب الكثير من الأطفال قرابين يقدمها عباد الأوثان الجهلة.

ولولا أن الحكومة الهندية قامت بمنع التقاليد الجاهلية لتم دفن عدد من النساء الأحياء مع أجساد أزواجهن الأموات في كل سنة، وربما قام أشخاص بتقديم قرابين بشرية لآلهة المطر بإلقائهم في أمواج النهر الثائرة.

على أية حال، تعتبر الحكومة من العوامل التي تستطيع أن تغير الآداب والتقاليد الإجتماعية في المحيط الاجتماعي. ورغم أن التربية في مرحلة الطفولة تترك أثراً في أعماق كيان الإنسان، ويبقى هذا الأثر حتى آخر العمر، إلا أن الحكام المقتدرين بإمكانهم التغلب على آثار التربية عند الناس ، وإزالة ما تعلق لدى الأطفال من الأساليب التي تعلموها من الوالدين، وإحلال أساليبهم مكانها.

قال علي عليه السلام : « الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم

الباب السابع عشر : إرادة العظماء:

إن وجود العظماء ذوي الإرادة القوية هو عامل من عوامل تحول المجتمع. فإن عامة الناس يقعون تحت تأثير محيطهم الإجتماعي شاءوا أم أبو ، فيتبعون الآداب والتقاليد الحسنة والسيئة لمجتمعهم، وينشأون عليها كسائر الناس بوعي منهم أو بدون وعي.

ولكن أحياناً يظهر في المجتمعات البشرية أشخاص عظماء ونوابغ ذووا إرادة صلبة لا تلين يختطون لأنفسهم مناهج غير تلك التي يسير عليها المجتمع ويعارضون ما دأب المجتمع على اتباعه من تقاليد خرافية وسنن خاطئة ، فيبدأون نضالاً من أجل ذلك، دون أن يثني عزمهم شيء ويزعزع من إرادتهم أمر ، فإنهم يصمدون حتى الوصول إلى الهدف دون أن يشعروا بكلل أو ملل .

قال الصادق عليه السلام : « ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة إن أُولئك النوابغ وبإرادة الإصلاح الخيرة يقومون في سبيل الوصول إلى هدفهم المقدس، بجهاد متواصل ومساع حثيثة ولا يضعفون أمام ردود فعل الناس بل يقاومون ، ويكتسبون ذوي الاستعداد من الناس بالمنطق والاستدلال، ويجعلونهم إلى جانب عقائدهم بالتدريج، ومن ثم ينسجمون مع بعض حتى الوصول إلى هدفهم، وينقذون المجتمع من الأعراف ويحررون الناس من قيود الجهل.

الباب الثامن عشر : الأنبياء وإصلاح المحيط

يقف الأنبياء والرسل عليهم السلام على رأس مجموعة الرجال العظماء ذوي الإرادة في العالم. إن الأنبياء عليهم السلام أمضوا أعمارهم الشريفة في محاربة الشرك وعبادة الأوثان والجهل والجريمة والأخلاق السيئة، والأعمال المضللة. إن هؤلاء العظماء

قاموا بجهاد عظيم لإنقاذ الإنسان ، وإزالة الآداب والتقاليد الباطلة من المجتمعات البشرية، وتحملوا في هذا الطريق المشاق والصعاب الكثيرة، والبعض ضحى بحياته في هـذا الـسبيل، وكان النصر الكبير يتوج جهودهم ويكلل متاعبهم.

لقد نهض نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم في مكة عندما كـان ظـلام الـشرك والضلال يلف جميع أرجاء الجزيرة العربية، والنـاس يغرقـون في الجهـل، وعبـادة الأوثـان شائعة في كل مكان بل كانـت تعتـبر مـن أقـدس الآداب والتقاليـد الاجتماعيـة، في تلـك الأيام. فالناس يعبدون هذه الأصنام ويطلبون منها ما يتمنون وللتقرب منها كانوا يقدمون الأبقار والأغنام والجمال، وأحياناً أطفالهم قرابين لها.

إن المحيط الاجتماعي القوي فرض هذه السنة الخاطئة على جميـع النـاس رجـالاً ونساءً، شيباً وشباباً، بدواً وحضراً بتقليد هذه العـادة تقليـداً أعمـى هـم يـشعرون براحـة لعبادة الحجر والخشب، ولم يكن هناك أحـد يجـرؤ علـى مخالفتهـا، حتـى إنهـم لم يفكـروا بالتمرد أو الاعترض على هذا التقليد الخاطئ.

الباب التاسع عشر: الرسول الأكرم (ص) وجيل الشباب

لقد بعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وطبقاً لأمر الله تبارك وتعالى أعلن معارضته للشرك وعبادة الأوثان، ولقد واجه في هذا الطريق مقاومة شـديدة من قبل الشيوخ المتعصبين والمحافظين، وتصدوا له مـن كـل جانـب، ولكـن الـشبان ذوي الفطرة السليمة والطبيعة الحرة، كانوا يـستمعون بـشوق لكلماتـه الإلهيـة، ونتيجـة للفكـر والتدبر توصلوا إلىالحقيقة، وأقبلوا بإخلاص على الدين الإسـلامي، ورغبـوا عـن ديانـة

آبائهم نحو عبادة الواحد الأحد رغم أنوف آبائهم . وهذا الأمر أدى إلى إيجاد انشقاق واختلاف وإحداث فجوة في جبهة المشركين.

إن اندفاع الجيل الجديد، في ذلك العهد، إلى دعوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بشكل متزايد، جعل الشيوخ يغضبون بشدة ويظهرون اعتراضهم في المحافل، ويبدون قلقهم. وقد وصف المشركون إسلام الشباب بالفساد، ووردت هذه الأوصاف على ألسنتهم لدى بث شكواهم على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قال (عتبة) أحد أشراف مكة لأسعد بن زرارة:

خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله سفه أحلامنا وسب آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرق جماعتنا ونهض الشبان المتحمسون المؤمنون ووقفوا بوجه الرجال والشيوخ المتعصبين، في سبيل نشر التوحيد والعلوم الإسلامية، ولذا نشطوا في محيط العائلات والمجتمع، وهدفهم زعزعة أساس عبادة الأوثان، وإزالة سنة الشرك الحمقاء من المحيط الاجتماعي، وإنقاد أفكار كبار السن من الجهل، وإزالة هذا العار من المجتمع ، ومن ثم الوصول إلى الهدف وتحرير المحيط الاجتماعي في الجزيزة العربية من أسر عبادة الأوثان.

الباب العشرين : صنم (مناة)

كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة ، وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له (مناة) كما كانت الأشراف تصنع، تتخذه إلهاً تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان من بني سلمة : معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح، في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذر الناس منكساً على رأسه،

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يتلمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه، فإذا أمسى عمرو ونام عدوا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك.

فلما أمسى عمرو ونام، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم عدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله، وحسن إسلامه، فقال، حين أسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لملقاك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من أن أكون في ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدي النبي المرتهن

لقد نهض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمعارضة سنة عبادة الأوثان التي كانت من أكبر وأهم الآداب والتقاليد الاجتماعية في الجزيزة العربية ، وواصل جهاده بالتعاون مع الشبان المؤمنين حتى بلغ مرحلة الانتصار ، فلقد تمكن قائد الإسلام العظيم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يحطم 360 صنماً كانت موجودة داخل الكعبة المكرمة، وكذلك الأصنام الموجودة في سائر المدن والقرى آنذاك ، فأزال عادة عبادة الأوثان الجاهلية من المحيط الاجتماعي، وأنقذ الناس من هذه العقيدة الخرافية.

الباب الحادي والعشرين : تقاليد الجاهلية

إن فساد وانحراف العرب قبل الإسلام لم يقتصر على عقيدة الشرك الوهمية وعبادة الأوثان ، وإنما كانت الآداب والسنن المناقضة للعقل والفطرة في جميع مظاهر حياة الناس، وكذلك تفشي التقاليد المخالفة للعدل والإنصاف في جميع الأماكن.

فقد كان الاعتداء يقع على شرف وحياة الناس في المحيط الجاهلي، وكانوا يهدرون كرامة الأشخاص في المحافل والمجالس، والسيوف تشهر لأدنى ذريعة، والدماء تسفك دون سبب معقول، في ذلك المحيط أيضاً لم يكن الأطفال بمنجىً، فطبقاً للعادات المحلية كان وأد البنات وقتل الأطفال الأبرياء من إملاق عرفاً قائماً.

وأما بالنسبة للنساء، اللواتي كن يمثلن نصف المجتمع، فلم يعترفوا لهن بحق، فكانوا يحتقرونهن بشتى الوسائل،وأحياناً كان الأزواج يبيعون زوجاتهم كالأغنام في سوق النخاسة، وأحياناً يخسرونهن في المقامرة، وكانت المرأة مجبرة أن تستسلم للرابح في المقامرة.

الباب الثاني والعشرين : الاعتداء على الأموال

كذلك كانت أموال وثروات الناس، كعرضهم وشرفهم ، عرضةً للنهب والسلب، فالقوافل التجارية كانت تتعرض للهجوم والسرقة، وكانوا يعتقدون أن هذا العمل دليل على الشجاعة والشهامة، وفي المدن كان الأقوياء ورؤساء القبائل يغتصبون أموال الناس بالقوة، ويرثون الموتى دون أن يعطوا لذويهم شيئاً ويأكلون أموال اليتامى، ويخونون الأمانة. كانت جميع هذه الممارسات الظالمة والخاطئة من عادات وتقاليد مجتمع ذلك العهد. والأجيال تأخذها عن المجتمع وتقلدها بشكل أعمى.

لقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلابة وإرادة لا تتزعزع، طوال ثلاثة وعشرين عاماً، هي مدة رسالته، على جميع هذه الآداب والتقاليد الخاطئة، وطهر المجتمع من جميع هذه الشرور، وفي حجة الوداع، في السنة الإخيرة من عمره الشريف، ألقى خطبة في جمع من الناس، أشار في جوانب منها إلى الأنحرافات الإجتماعية في العصر الجاهلي، وأشار إلى تعاليم القرآن الكريم وبين الإصلاحات الأساسية للإسلام في ذلك المجال. ولمزيد من الإطلاع ننقل فيما يلي جانباً من عبارات تلك الخطبة.

الباب الثالث والعشرين : الاسلام والاصلاحات السياسية

حول احترام النفس والعرض في المجتمع قال صلى الله عليه وآله: « أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم .

وحول ضرورة أداء الأمانة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم » : فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وحول الانتقام وأساليبه الخاطئة في العهد الجاهلي، قال صلى الله عليه وآله وسلم : وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة.

وحول حقوق النساء وإحياء شخصيتهن الاجتماعية قال صلى الله عليه وآله وسلم: « أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً.

بهذه العبارة القصيرة بين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الحقوق المتقابلة للمرأة والرجل في الإسلام، ورفض تضييع حقوق النساء، الأمر الذي كان سائداً في الجاهلية وحول احترام شرعية وقانونية أموال الناس قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أيها الناس" **إنما المؤمنون إخوة** (ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا من طيب نفسه.

وهذا الحكم الإسلامي أنهى جميع أنواع الاعتداء على أموال الغير الذي كان سائداً في العصر الجاهلي.

وحول مساواة حقوق الناس قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب) **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** (وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

إن ما جاء في هذه العبارات من خطبة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو جزء من البرنامج الإصلاحي للقرآن الكريم الذي حل محل الآداب والتقاليد الخاطئة للعهد الجاهلي. إن المحيط الاجتماعي قد تغير تماماً بما بذله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهود، فأنقذت التعاليم الإسلامية المجتمع من الشرك وعبادة الأوثان، بالإضافة إلى تطهيره من الظلم والاستبداد والفساد والانحطاط، ووجهت الناس نحو التكامل والسعادة.

نستخلص مما ذكرنا أن الرجال العظام والمصلحين الكبار، والأنبياء عليهم السلام في مقدمتهم، يستطيعون بإرادتهم القوية وتصميمهم القاطع أن يغيروا أوضاع المجتمع، وأن يكافحوا الآداب والتقاليد والسنن الباطلة، وأن يزيلوا جذور التقاليد الخرافية، لإنقاذ الناس من أغلال الجهل.

الباب الرابع والعشرين : الإرتقاء العلمي

إن أحد العوامل الاخرى التي لها تأثير كبير في إيجاد التحول في المجتمع، وبإمكانها تغيير أوضاع وظروف المحيط الاجتماعي، وإزالة السنن والأوهام والتقاليد والآداب الخرافية، وإنقاذ الناس من أغلال الجهل، هو نمو العلم الإجتماعي.

مما لا شك فيه أن اكتساب العلم والمعرفة هو من معايير الفضيلة والكمال الحقيقي للإنسان. إن اكتساب العلم ينمي عقل الإنسان، ويقوي الذاكرة، ويرفع من مستوى الإدراك ويحرك وعي الإنسان إزاء الحقائق.

إن الأشخاص المثقفين، نتيجة كسب علم أكثر ، يفهمون أكثر وبإمكانهم تحليل المواضيع بصورة أفضل، وبمقدار ما اكتسبوه من العلم يمكنهم أن يعرفوا الصحيح من الخطأ. إن إشعاع العلم ينير ضمير الإنسان، ويغير من نظرته إلى الأشياء، ويكشف له عن الحقائق الكامنة . إذاً فإن هناك فارقاً كبيراً بين المتعلمين والجهلة، كما جاء في القرآن الكريم) : **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب** قال علي عليه السلام : « ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم بل أي شيء فات من أدرك العلم.

الباب الخامس والعشرين : النفس الضعيفة

إن اكتساب العلم وارتفاع مستوى الفكر، من أفضل الوسائل للخلاص من قيود الخرافات والمعتقدات الوهمية، ولهذا السبب فإن العائلات المثقفة وكذلك الشعوب المتطورة علمياً وثقافياً نادراً ما تتعرض للأفكار الخرافية والآداب والتقاليد الجاهلية.

وبالعكس فإن العائلات الأمية والشعوب التي لم تتلق ثقافة صحيحة، ومتخلفة علمياً، تكون نفوسها ضعيفة، سرعان ما تؤثر فيها الأفكار الخاطئة. إن هؤلاء ونتيجة فقدانهم للمعلومات، ولعدم نضوج أفكارهم، لا يمكنهم أن يعرفوا علل الأشياء ولا يستطيعون تحليل الأمور وفهمها ومعرفة الصواب من الخطأ، ولهذا السبب فإنهم يتقبلون الخرافات والأوهام بسهولة.

الباب السادس والعشرين : الاعتقاد بالأوهام

سايغون ـ وكالة الأنباء الفرنسية: ظهرت ثلاث قطع كبيرة جداً وعجيبة من البطاطا في ثلاثة أماكن مختلفة دفعة واحدة في ضواحي مدينة سايغون وزن كل قطعة منها ما بين عشرين إلى ثلاثين كيلو غراماً وقطرها يصل إلى 30 سم ولقد أوجدت هذه الظاهرة لدى الفيتناميين نوعاً من العبادة . والشيء الملفت للنظر في هذه المسألة أن هذه البطاطات الثلاث قد نمت وترعرعت من نفسها دون أن يقوم أحد بزراعتها، وبشكل منفصل عن بعضها البعض، وقد نمت إحداها في أرض قتل فيها عدد لا حصر له من الجنود عام 1968. واعتقد صاحب المزرعة أن أرواح الجنود تدب فيها، فلم يجرؤ على أكلها، وفي كل ليلة كان يشعل أعواد البخور أمام منزله، وعندما شاع هذا الخبر انهال سيل المرضى

والمعاقين على بيت هذا المزارع ، يلمسون حبة البطاطا ويشربون من ماء بئر قريبة ويأخذون قليلاً من الماء ثم يذهبون.

الباب السابع والعشرين : ضرورة التعليم والتعلم

إن مسألة التعليم والتعلم أصبحت حاجة ضرورية لا يمكن اجتنابها مع تقدم الحضارة في المجتمعات البشرية اليوم ، فإذا أرادت الشعوب السير مع التقدم في العالم جنباً إلى جنب والحصول على مزايا الحياة الجديدة، فلابد من الإهتمام بالدراسات العلمية والتعاليم المدرسية في الماضي كان اكتساب العلم مقتصراً على مجموعة خاصة، ولم تكن الغالبية تشعر بأهمية تلقي الدروس العلمية والثقافية، لأن الناس في كل عصر يرثون تجارب آبائهم وأجدادهم ، ولذا كانت تجارب الأجيال السابقة ـ طوال القرون والأعصار ، تلبي حاجة حياة إنسان ذلك العصر.

ولكن تغيرت الحياة مع اتساع الحضارة وظهور التمدن الصناعي، واضطر الناس بالإضافة إلى تعلم تجارب الأجيال السابقة ، أن يتلقوا العلوم الحديثة أيضاً، وأن يستفيدوا من معلومات العلماء الماضين والمعاصرين في مختلف الفروع .

إن الحياة في عالم اليوم بحاجة إلى تخصص ومهارة فنية ، ولا يمكن الحصول على المعلومات المتخصصة إلا عن طريق اكتساب العلم والدخول في المراحل التخصصية.

الباب الثامن والعشرين : المراكز التعليمية

مع انتشار المدنية، لم يعد باستطاعة الأطفال أن يتعلموا بصورة صحيحة نهج الحياة في المجتمع من خلال الاشتراك بالأعمال المعقدة للكبار، لأن الكثير من أعمال الكبار ينجز بعيداً عن محل سكنى الصغار، والكثير من هذه الأعمال يقصر فهم الطفل عن استيعابه.

ولـذا فـإن تقليـد الطفـل يفقـد، بالتـدريج، أهميتـه التربويـة الأُولى، ويـصبح مـن الضروري على المجتمع أولاً أن يعد أفراده ويربيهم لنـشاطات الحيـاة ، ومـن ثـم يـدفعهم للعمل، وهذا يؤدي اضطراراً إلى إنشاء مؤسسات يطلق عليها (مراكز تعليمية) تقدم فيها مواضيع منظمة تسمى دروس (تعلم للأطفال.

في المجتمعات المتحضرة لا يمكن نقل جميع العلـوم المتوارثـة والـذخائر الاجتماعيـة الواسعة إلا من خلال التربية والتعلـيم الـرسميين بالإضـافة إلى ذلـك، فـإن الأطفـال، في التربية والتعليم الرسميين يألفون الكتابة والمطالعة اللتين تعتبران وسيلة لانتشار المعلومات ومن البديهي أنه لا يمكن تعلم الكتابة من الحيـاة العمليـة ومـن التعـاون مـع العـاملين في الميادين المختلفة.

الباب التاسع والعشرين : طريقة انتقال المعلومات

في عصرنا الحاضر تنتقل معلومات الجيل السابق، التي هـي مـيراث اجتمـاعي، عـن طريقين إلى الجيل اللاحق، أحدهما غير مباشر من خـلال التعـايش الاجتمـاعي، والآخـر بصورة مباشرة في المراكز التعليمية أو بعبارة اخرى إن إنسان اليوم يجـب أن يتلقـى العلـم من مدرستين: الأولى، مدرسة المجتمع والثانية مركز التعليم، ففـي المجتمـع وبتقليـد أعمـال الكبار وبالتعاون معهم يحصل على تجارب ومعلومات ، وفي مركز التعليم وبالاسـتماع إلى دروس العلم ومطالعـة كتـب الأسـاتذة يتعـرف علـى أفكـار العلمـاء فيزيـد بـذلك مـن معلوماته، وهاتان المدرستان لهما تأثير في ازدهار العقل وتنمية الفكر.

قال علي عليه السلام : « العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب "

الباب الثلاثين : التقليد والاقتباس

لا يظهر أي خلاف أو تناقض بين الجيلين القديم والجديد طالما أن الشباب يأخذون معلوماتهم عن طريق التقليد الإقتباس من كبار السن ويتخذون من عقائدهم وآرائه وآدابهم وتقاليدهم وأعمالهم قدوة لأنفسهم، وذلك لتماثل سلوك الجيلين واسلوب تفكيرهما؛ ولا زالت هذه الطريقة موجودة في بعض العائلات والقرى وفي المدن التي يفتقر شبانها للتعليم المدرسي، ولذا فإن التنسيق والتوافق من حيث العقيدة والرأي والسنن والتقاليد بين الأبناء والوالدين يكون قائماً، ولكن منذ أن توجه الشباب إلى مراكز التعليم، وبدأوا بالدراسة ومطالعة الكتب العلمية، وحل التحقيق والدراسة في الكثير من المواضيع، محل الاقتباس والتقليد، فإن اختلاف وجهات النظر بدأ بالظهور تدريجياً، كما ازداد البحث والانتقاد مع ازدياد التعليم.

يتلقى الناس معظم معلوماتهم من خلال الدروس الرسمية والعامة، ولهذا فإنهم يهتمون بهذه المعلومات، ولكنهم يحصلون على قسم آخر من معلوماتهم من خلال حياتهم اليومية ونتيجة احتكاكهم بالآخرين، ولذا فإنهم لا يلحظون كيفيتها، وعليه فإنه كلما اتسع نطاق التربية والتعليم الرسميين ازداد تعارض هذه النوعين من المعلومات (الإرادية واللاإرادية) ، فيحظى حل هذا التعارض بأهمية أكبر .

إن الآباء والأمهات الذين لم يحصلوا على تعليم مدرسي، تنحصر معلوماتهم نتيجة تجاربهم الحياتية التي اكتسبوها بصورة غير مباشرة من الكبار، وما تعلموه من المجتمع، ولعلمهم أن مقدار هذه المعلومات لا يكفي لتلبية حاجات عالم اليوم فإنهم يبعثون بأبنائهم منذ الصغر إلى المدارس ليكسبوا علماً يمكنهم من خلاله رسم حياتهم المستقبيلة الملائمة لظروف الحياة الجديدة.

الباب الحادي والثلاثين : بداية الاختلاف

يذهب الأطفال إلى المدرسة، ويحصلون طوال سنوات على معلومات مختلفة تترك بالتدريج آثاراً على أفكارهم، وتتسع قوة استدلالهم ويزداد مستوى إدراكهم. وعندما يصلون سن الشباب ويستيقظ فيهم حس البحث والتحقيق ، عندها يرون أن قسماً من آراء وعقائد الكبار، وكذلك جزءاً من الآداب والتقاليد الموجودة في العائلة والمجتمع لا تنسجم مع ما تعلموه في المدرسة، أو يبدو لهم ذلك، وكلما استمروا في دراساتهم فإن مواضع الاختلاف تزداد.

إن هذا (التضاد) الفكري، يدفع بالشبان المثقفين أن يطرحوا مطالبهم أمام الوالدين والكبار، وأن يناقشوهم، وينتقدوا أفكارهم وأعمالهم ، لكي يثبتوا وجودهم ويظهروا كفاءاتهم عن هذا الطريق.

الباب الثاني والثلاثين : الانتقاد بحسن النية

إن بعض الشباب ينتقدون عن حسن نية وواقعية، بهدف إصلاح العائلة والمجتمع، ولهذا السبب فإنهم يراعون حدود الأدب والأخلاق في كلامهم، ويدلون بانتقادهم مع حفظ احترام الوالدين والكبار، في مثل هذه العائلات، مع أن الشبان لديهم آراء مخالفة للكبار في بعض القضايا، قلما يؤدي الاختلاف إلى تضادٍ ينتهي إلى مشاجرة.

الباب الثالث والثلاثين : الانتقاد التحقيري

إن بعض الشباب المتسرع والمتطرف في الغرور والكبر نتيجة إنهائهم بعض المراحل الدراسية، يقدمون على أعمال خاطئة بحجة انتقاد أساليب الكبار في محيط العائلة أو المجتمع، لأنهم يعتبرون أنفسهم ممثلين عن الثقافة الجديدة، أو من أتباعها، وتقدميين، ولذا يتجاهلون الكثير من الحقائق، كما يتجاهلون التعاليم الإلهية، ويحتقرون الأشخاص المؤمنين، ولا يعيرون المبادئ الأخلاقية أهمية، ويعتبرون الآداب والسنن الاجتماعية تافهة، ويسحقون المبادئ التي تشكل أساس سعادة الفرد والمجتمع، وهم بعد كل ذلك فرحون لأنهم يتصورون أنفسهم أحراراً.

إن أمثال هؤلاء الشباب يهينون وبكل وقاحة الكبار في العائلات ويتهمونهم بالخرافية وبأنهم أتباع الثقافة القديمة والأفكار الرجعية والأعمال الخاطئة، وهؤلاء الشباب لا يطيعون الشيوخ وتقاليدهم بل هم يهاجمونهم قدر ما يستطيعون، وينتقدونهم، بحق أو غير حق. وأحياناً، ولكي يشعروا الآخرين بوجودهم، يتجاوزون حدود الإنتقاد إلى السخرية من أفكارهم والاستهزاء بأعمالهم. فيغضب الكبار للتصرفات المهينة والكلمات الحادة التي يوجهها لهم الشباب المغرور، فينهضون لمواجهتهم بالبحث والنقاش، ولكي يثبتوا صحة أفكارهم وأعمالهم، يأتون بالأدلة، ولكن وبسبب جهلهم، وافتقارهم إلى العلم، ونتيجة أفكارهم واستدلالاتهم الضعيفة، فإنهم لا يتمكنون من البحث بقوة، أو إثبات صحة أقوالهم ، حتى وإن كانت صحيحة فعلاً، ونهاية الأمر أن النزاع والخلاف يبقى يهدد المحيط العائلي ، ثم إنه لو فرض أن أقوالهم كانت صحيحة ومستدلة ومقبولة فإن الشبان لا يرضخون لهم أيضاً ، ولا يقبلون استدلالهم ، لأنهم يتصورون أن منزلتهم العلمية أكبر وهم غير مستعدين للإستسلام والاعتراف بالفشل.

قال علي عليه السلام : « لا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك.

الباب الرابع والثلاثين : الاختلاف بين المتعلم والجاهل

إن ارتفاع المستوى العلمي للمجتمع، هو أحد أسباب تغيير المحيط الاجتماعي، كما أن الدراسة العلمية تزيد من إدراك الشباب، وتغير طريقة تفكيرهم، مما يؤدي إلى بروز اختلاف في الآراء في الكثير من العقائد والآراء والآداب التقاليد الاجتماعية من الشيوخ الاميين ، فيناقشونهم . وكلما ازداد المستوى العلمي، وازداد عدد الشبان المثقفين ازدادت الخلافات في وجهات النظر على مستوى أوسع، فتتغير عاجلاً أم آجلاً بعض العادات والتقاليد والآداب من المحيط الاجتماعي.

ولكي لا يدفع خلاف هذين الجيلين، الشباب إلى التمرد والعصيان، والكبار إلى العنف والقسوة، ويحدث فساد وانحراف، ولكي لا تهتز العلاقات العائلية والنظام الإجتماعي، فينتج انفصال الوالدين عن الأبناء والزوجات عن الأزواج، فمن الضروري أن تكون نظرة الجيلين واقعية عند البحث والنقاش فلا تحيد عن الحق والحقيقة وتتجنب العناد.

ويجب أن يتذكر الكبار أنه يوجد شيء من الحقيقة في حديث الشبان المثقفين لا يمكن تجاهله ولذا عليهم أن يأخذوه بعين الاعتبار ويتقبلوه بأحسن قبول، وإن وقوفهم اللامنطقي بوجهه ينافي الواقع والحقيقة، بل يمكن أن يؤدي إلى مفاسد لا يمكن التعويض عنها، فيتحول الشبان العقلاء إلى أشخاص متمردين عصاة.

إن بعض الكبار الأميين ورثوا بعضاً أو سلسلة من العقائد الخرافية والتقاليد الوهمية عن أسلافهم، يؤمنون بها. فمثلاً يتوسلون بشجرة لطلب الحاجة ويربطون بها

خيطاً، أو لكي يعالجوا شخصاً مصاباً بالصرع يتوجهون إلى (مشعوذ (ويطلبون مساعدته، ولكي يبقوا بعيداً عن (عين الحسود) يحرقون البخور ، ولكي يطلعوا على مستقبلهم يستعينون بالمنجمين أو الفلكيين والعشرات من هذه الأمثلة.

الباب الخامس والثلاثين : واجب الكبار

إن هذه العقائد الخرافية ناتجة عن جهل الكبار وتؤدي إلى انتقاد الشباب المتعلم الذي يرفضها جملة وتفصيلاً. والواجب على الكبار في هذه الحالات تجنب الجدال والبحث وترك العناد والتشدد واستخدام العقل والفكر بدقة والاستماع لحديث أبنائهم العقلاء،وباتباع الحق والحقيقة يحررون أنفسهم من قيود الجهل والخرافة.

الباب السادس والثلاثين : الشباب والمشاعر الانسانية

بالإضافة إلى التعليم والدراسات العلمية، فإن المشاعر الإنسانية والرغبات النفسية للشباب هي أيضاً مصدر لاختلافاتهم مع الكبار. فللشباب نفوس طاهرة ونظيفة، وهؤلاء الذين دخلوا الحياة الإجتماعية حديثاً، ولم تتعرض فطرتهم الإنسانية وضمائرهم وأخلاقهم لأية صدمة من مظالم المجتمع، يعشقون بطبيعتهم الحقيقة والفضيلة ويريدون العيش في محيط خالٍ من الظلم والاستبداد، ولكنهم يرون عكس هذه الخصال في الكبار ذوي الأخلاق السيئة إذ يعتدون على حقوق الآخرين ويحامون عن بعض المعتدين، والبعض الآخر منهم يتحكمون بالضعفاء ، بالإضافة إلى وقوف البعض من ذلك موقف المتفرج.

إن الشباب يشهد ظواهر الظلم والجور والعنف والقسوة وتضييع حقوق الضعفاء أمراً شائعاً في المجتمع ، بينما الكبار ألفوا هذه الأعمال وكأنهم لا يدركون قبحها !

إن مشاهدة هذه الأعمال من قبل الشبان المثقفين تـدفعهم إلى الغـضب والاعـتراض وانتقاد أساليب الكبار . وفي مثل هذه المواقـف علـى الكبـار أن يقبلـوا حـديث الـشباب ويذعنوا للحق، ويصلحوا أنفسهم ، ويتركوا الصفات السيئة، لا أن يقحمـوا أنفـسهم في جـدال ونقـاش ويـردوا علـى تلـك النـصائح بعنـف دفاعـاً عـن ممارسـتهم الخاطئـة.

إن الشبان المثقفين أيضاً، ولكي لا يندفعوا كثيراً في انتقادهم ولا يتجاوزوا حدود الحق والمصلحة العامة، ولا يصبحوا سبباً للخصومة والعداء في العائلة والمجتمع ، يجب عليهم أن يراعوا نقطتين:

الباب السابع والثلاثين : الشباب والحقائق المجهولة

الأولى : يجب أن ينتبهوا أن دراسة عدة سـنوات يجـب أن لا تـؤدي إلى الغـرور والتعالي، ولا يعتقدوا أن جميع الحقائق موجودة في معلوماتهم القليلة، ولا يعتبروا فكرهم المحدود معياراً لمعرفة الحق والباطل . وليعلموا أن الإنسان مهما كان علمه ودراسـته، فـإن الحقائق المجهولة أكثر بكثير مما يعلمه.

يقول أديسون: إننا نعلم فقط نسبة واحد من مليون من 1٪ من مجموع العلوم . وقد قال نيوتن : إن العلم كخليج أخذت أنا وزملائي عدة حصيات من ساحله الواسع.

قال علي عليه السلام : « لا تعادوا ما تجهلون فإن أكثر العلم فيما لا تعرفون.

الباب الثامن والثلاثين : المعايير القاصرة:

إن بعض الشباب يخلطون الحق بالباطل في انتقادهم ، وبالإضافة إلى رفضهم لما هـو خاطئ فهم يرون بعض القضايا الصحيحة خاطئة، ولـذا يتـصورون أن الواقـع يكمـن في الأشياء التي يعرفونها هم، أو يقيسون الأشياء بمعايير اليوم القاصرة.

فإذا كان هناك شيء غير مقبول بالمعايير الحالية فإنهم يعتبرونه غير صحيح، ولهذا السبب ينفون بعض المسائل الدينية، أو على الأقل ينظرون إليها بشك، ويمتنعون عن أداء الواجبات الإسلامية، التي هي طريق للسمو الروحي والتكامل المعنوي، ويطرحون تساؤلاتهم الانتقادية إلى الكبار المؤمنين حول العبادة وأداء الفرائض ، كالصلاة والصوم.

وهذه المسألة من المسائل الأساسية لاختلاف الشيوخ والشباب في العائلة والمجتمع. ولكي يتضح هذا الموضوع المهم أكثر ، ويقف الشباب على القيم الإسلامية بصورة أدق ولا يفرطوا في انتقادهم ، فإن المحاضرتين التاليتين ستختصان بموضوع الإيمان بالله تبارك وتعالى، ومناقشة القضايا الدينية، بالإضافة إلى بحث في بعض تساؤلات الشباب.

الباب التاسع والثلاثين : الانتقاد ومراعاة الأدب:

عندما تكون انتقادات الشباب صحيحة وبناءة، ولكي تترك أثراً مفيداً لدى الكبار وتحررهم من المعتقدات الخرافية والتصرفات المذمومة، يجب مراعاة الأدب والاحترام في الحديث، والابتعاد عن السخرية والإهانة، واجتناب اللوم والتوبيخ. باختصار يجب أن يكون الانتقاد بشكل لا يحطم حب الذات والشخصية لدى الكبار، لأن الانتقاد الممزوج بالإهانة واللوم والتوبيخ لا يترك أي استجابة نافعة بل على العكس يضر الموقف إذ يدفعهم إلى الإصرار والبقاء على ممارساتهم الخاطئة ، ومن ثم يؤدي إلى العداء والخصومة، ويحول محيط العائلة إلى ساحة شجار وحرب.

قال علي عليه السلام : « الإفراط في الملامة تشب نيران اللجاج. وهذا يعني أن اللوم المتكرر للأشخاص ، لن يدفعهم فقط إلى عدم الكف عن أعمالهم الخاطئة، بل سيجعلهم يصرون على ممارسة تلك الأعمال

الباب الأربعين : سر تأثير الكلام

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يتصرف برفق لهداية الناس، ويذكرهم بالتعاليم الإصلاحية بكل أدب ولين، وهذا العمل بحد ذاته كان من عوامل نفوذ كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب الناس.

عن هلال بن الحكم قال : لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمت أُموراً من أُمور الإسلام، وكان فيما علمت ، قيل لي : إذا عطست فاحمد الله وإذا عطس العاطس اطلب الرحمة له فبينا أنا في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عطس رجل، فقلت :يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: ما لكم تنظرون إليّ بعين شزر، فسبح القوم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاته، قال: من المتكلم ، قالوا : هذا الأعرابي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « إنما الصلاة للقراءة ولذكر الله عز وجل ، وإذا كنت في الصلاة فليكن ذلك حالك » قال فما رأيت معلماً أرفق من رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفصل التاسع

طرق محاربة الخرافة

للقضاء على الخرافة، يستوجب ذلك القضاء على جذورها، وجذور الخرافة اليوم تنطلق عبر وسائل إعلامية تدعمها دول ومؤسسات ورجال أعمال يمتلكون مقاليد السلطة، ولكنهم يفتقرون للوازع الأخلاقي الذي يمنعهم من تسريب الأباطيل عبر قنوات تدار تحت رعايتهم ودعمهم المادي والمعنوي، قنوات متخصصة في ترويج السحر والشعوذة، قنوات تبث أفلاما تروج للسحر والشعوذة والقيم المنحرفة، قنوات تناقش مواضيع الخرافة بطريقة مبهمة وسطحية ترسخ تأثير هذه الخرافات بدلا من توعية الناس وتبصيرهم.

من المفيد أن نعترف بواقعنا ، هذا الواقع الذي أفرز فكرًا خرافيًا، لا يؤمن بالأسباب.

اضافة الى الهزائم النفسية الفكرية وما خلّفته من مشاعر العجز والإحباط والخوف من المستقبل. و لقد دعا القرآن الكريم للإيمان بالغيب (البقرة 3) ، وتحدث عن بعض الغيبيات ، كالملائكة والجن والشياطين وعرش الرحمن ويوم القيامة وعلامات الساعة، وتلك من الأسس الاعتقادية للمسلمين .

ومنهج القرآن في حديثه عن الغيبيات يقوم على أساسين هما معاً الضابط في الموضوع:

الأول: حصر الإيمان بالغيوب في مجالات محددة **والثاني** حصر الإيمان بها على ما جاء في القرآن فقط، وما عدا ذلك فهو خرافة ، فلقد حصر القرآن مجالات الغيوب وهي: ذات الله تعالى، الملائكة، الجن والشياطين، غيب المستقبل والقيامة واليوم الآخر، وكل هذه

الغيوب خارج نطاق الحس البشري، أو خارج نطاق عالم الشهادة،أي غيب. وهى تقع في إطار ما نسميه بالغيب المطلق . ثم حصر الإيمان بهذه الغيوب على ما جاء عنها في كتاب الله القرآن الكريم وحده، ومعنى ذلك أن أي حديث عن هذه الغيبيات المحددة لا يكون إلا من القرآن الكريم وحده. وهنا لابد من بيان اهم الاسلحة التي من شأنها الحد والقضاء على الخرافة والحيلولة دون انتشارها :

1) مخاطبة القائمين على القنوات الفضائية كقناة المجد والرسالة والشارقة والعربية وغيرها من القنوات العربية ومطالبتها بتكثيف البرامج الإسلامية خصوصا التي تُعنى بنشر العقيدة السلفية الصحيحة ، وإبطال ما يضادها من شرك وسحر وكهانة وبدع وخرافات.

2) مخاطبة أئمة المساجد وخطباء الجوامع لبيان ضلال مثل هذه البرامج الفضائية التي تناقض التوحيد. وتكثيف الخطب في مجال العقيدة، والتحذير من السحر والكهانة.

3) تكثيف المحاضرات في مدارس البنين والبنات، والجوامع والدور النسائية لبيان ضلال مثل هذه البرامج الفضائية التي تناقض التوحيد. و شرح العقيدة الصحيحة.

4) تقديم البرهان على الخرافات و هنا يلزم شرح الآتي:

فكلمة البرهان : اصطلاح عام يشمل النقاط و الآراء و الأفكار و الأفكار المساندة...الخ و التي تستخدم لإثبات وجهة نظر ما و أنواع البرهان هي :

أ. الرأي: (و يشمل الرأي العادي و الاعتقاد و الشعور و التحيز و التخمين)

ب. الحقيقة: (و تشمل الحقيقة العادية و الأدلة من القرآن و السنة و التجربة الشخصية و التجربة العامة و الأمثلة الحقيقية.)

و هنا عندما يكون البرهان المقدم من القرآن و من السنة يكون أقوى فلا مجال للمراوغة فيه.

5) معظم الخرافات قائمة على معتقدات و عادات لا أساس لها من الصحة و يستعملون التعميمات لإثبات صحتها فهنا يجب لنا مقاومتها مثل (الجميع يلجئون للمعالج فلان .... بغية علاجه من العين) فهنا ننبه القائل من هم الجميع؟ و من هم الذين يلجئون له؟ و أن نبين له الطرق الصحيحة في علاج العين من منهج رسولنا الكريم و نثبت ذلك ببراهين و حقائق .

6) أن نبين للناس بأن معظم المشعوذين و الذين يطلقون الخرافات يستعملون مهارة التسمية (يدّعي شخص ما، أنه يعرف الموقف، فيقوم بتسميته أو وضع عنوان له.)، مثل (البرامج التي تقدم الشعوذة و الخرافة و السحر يسمون الضيف معالجا.. والناس الذين يتصلون به يقول له (يا شيخ... فلان ولا يقولون يا ساحر ولا يا كاهن) مم قد يعطوهم صفة شرعية و هذه من أساليب الدجل و إثبات الحق مع أنه في باطنه باطل .

7) أن نبدأ نشير و نعلن و نصدر الأحكام بجمع جميع أنواع الخرافات و نقوم بتصنيفها و نبين قذارتها و ضررها و ما حكمها في الإسلام و أن يتم نشرها بجميع الطرق الممكنة من (جرائد و مجلات و قنوات فضائية و منتديات و إذاعة و خطب) لنشر الوعي الصحيح .

8) استعمال طرق التحفيز المختلفة للابتعاد عن الخرافة و طرق التحفيز تقسم لقسمين (الألم – المتعة) و أما استعمال الألم فهو بيان خطورتها و أثرها المدمر دنيا و آخرة أو باستعمال المتعة ببيان (الأجر و الثواب لمن تخلى عنها، و بيان الأجر المكتسب لمن ينشر و يساهم بالطرق الصحيحة في القضاء عليها).

9) على الصعيد الشخصي لقد بدأت وضع تدريبات بورش العمل في الدورات التي أقيمها و مناقشة موضوع الخرافة و التوصل لحلول و نشر الوعي في المجتمع.

وابين هنا خبرا منقول عن موقع صحيفة المصريون وهو يمثل خطوة على الطريق وتحتاج لتفعيل أكبر حتى يتم القضاء على جميع بؤر السحر والشعوذة في العالم الإسلامي وهذا نصه:

"نايل سات" يحظر فضائيات السحر والشعوذة و"شبيك لبيك"

القاهرة - خدمة قدس برس : بتاريخ 25 - 6 - 2007

أمهلت إدارة القمر الصناعي المصري "نايل سات" صاحب قناتي "شهرزاد" و"كنوز" مدة عشرة أيام لوقف بث البرامج المتعلقة بالسحر والشعوذة ما لم تصححا وضعهما المخالف لشروط التعاقد التي تحظر تناول برامج الفضائيات لقضايا الإرهاب أو الشعوذة أو السحر، أو بث أي مواد مخلة بالآداب والأعراف والتقاليد.

وقالت مصادر في شركة "نايل سات"، أنه في أعقاب صدور قرار إدارة القمر الصناعي العربي "عرب سات" منع بث نفس القناتين، وصدور فتوى من هيئة كبار العلماء في السعودية، ودعوة "الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين" لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية بالسعي لمنع بث برامج قنوات السحر والشعوذة بواسطة الأقمار

8) استعمال طرق التحفيز المختلفة للابتعاد عن الخرافة و طرق التحفيز تقسم لقسمين (الألم – المتعة) و أما استعمال الألم فهو بيان خطورتها و أثرها المدمر دنيا و آخرة أو باستعمال المتعة ببيان (الأجر و الثواب لمن تخلى عنها، و بيان الأجر المكتسب لمن ينشر و يساهم بالطرق الصحيحة في القضاء عليها).

9) على الصعيد الشخصي لقد بدأت وضع تدريبات بورش العمل في الدورات التي أقيمها و مناقشة موضوع الخرافة و التوصل لحلول و نشر الوعي في المجتمع.

وابين هنا خبرا منقول عن موقع صحيفة المصريون وهو يمثل خطوة على الطريق وتحتاج لتفعيل أكبر حتى يتم القضاء على جميع بؤر السحر والشعوذة في العالم الإسلامي وهذا نصه:

"نايل سات" يحظر فضائيات السحر والشعوذة و"شبيك لبيك"

القاهرة – خدمة قدس برس : بتاريخ 25 - 6 - 2007

أمهلت إدارة القمر الصناعي المصري "نايل سات" صاحب قناتي "شهرزاد" و"كنوز" مدة عشرة أيام لوقف بث البرامج المتعلقة بالسحر والشعوذة ما لم تصححا وضعهما المخالف لشروط التعاقد التي تحظر تناول برامج الفضائيات لقضايا الإرهاب أو الشعوذة أو السحر، أو بث أي مواد مخلة بالآداب والأعراف والتقاليد.

وقالت مصادر في شركة "نايل سات"، أنه في أعقاب صدور قرار إدارة القمر الصناعي العربي "عرب سات" منع بث نفس القناتين، وصدور فتوى من هيئة كبار العلماء في السعودية، ودعوة "الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين" لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية بالسعي لمنع بث برامج قنوات السحر والشعوذة بواسطة الأقمار

الصناعية العربية، تلقت إدارة الشركة المصرية رسائل عديدة، بينها رسائل من نشطاء إنترنت، تشكو من برامج السحر والشعوذة المخالفة للدين والعقيدة، ما دعا إدارة القمر المصري للتفاعل مع الشكاوى المقدمة.

وكان نشطاء عرب ومصريون، قد شنوا حملة رسمية وشعبية على قنوات السحر والشعوذة بالفضائيات العربية، وسعوا في أعقاب تهديد المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية "عربسات" لقناتي كنوز وشهرزاد بالإيقاف، إذا ما استمرت في بث تلك البرامج، لإرسال مئات الرسائل إلى صلاح حمزة رئيس الشؤون الهندسية بالقمر المصري "نايل سات" لحثه على إيقاف هاتين القناتين بعدما صرح بأنه "لا يمكن إلغاء عقد أي قناة فضائية بدون وجود شكاوى صريحة موجهة ضدها، أو رصد مخالفة صريحة عمدت القناة على فعلها"، يعددون فيها مخالفات هذه القنوات، وفتاوى كبار العلماء بشأنها.

هناك نوعية جديدة من الفضائيات التي تعتمد على أسلوب التنجيم وقراءة الفنجان على الهواء مباشرة، حيث يزعمون أنهم "يقرؤون الفنجان عن بعد"، ويكتبون "الحجاب" للمشاهدين عبر الأثير، لفك السحر أو جلب الرزق أو فتح الطريق للزواج أو إعادة الحب للزوجين، وتعتمد برامجهما على "الحبكة الدرامية" عن طريق إلباس الضيوف الذين يردوا على المشاهدين ملابس تشبه لباس العرافين والعرافات في الأفلام المصرية القديمة لجذب "الزبون" وإيهامه بقدرتهم على قضاء حاجته المطلوبة، مثل استضافة امرأة عجوز تلبس لباسا غريبا، كي ترد على المتصلات بالفضائية تليفونيا، أو "شيخا" يرتدي عباءة العرافين القدامى ليفك العمل والسحر.

ومن الطريف، أن هؤلاء المشعوذين يكررون نفس المطالب القديمة في الفضائيات، والتي كان يتم السخرية منها في الزمن القديم مثل طلب "ورك نملة" و"عين ديك" و"جناح

خفاش" حتى أن "العرافة" في أحد المرات قالت لمن تسأل عن "عمل" معمول لأخيها: "هاتي من عند العطار عين ديك وكسبرة ناشفة.. حبة البركة.. بذر البقلة.. حرمل، وحطيهم على البخور.. وعين الديك هذه توضع بعدد حروف اسمك وعدد حروف اسم أمك.. وتبخريها وتقولي: "يارب ابعد شياطين الأنس والجن من هذا المكان بحق لا اله إلا الله محمد رسول الله وأنها تكفي يارب.. وتمسح شقتك وعتبتك بخل وعرق حلاوة ورجلة"، حسب زعم المشعوذة.

ويعتقد علماء دين وإصلاحيون اجتماعيون وتربويون، أن خطورة هذه الفضائيات التي يبلغ عددها ثلاث حاليا، وهناك رابعة في الطريق، تتركز في أنها تروج للسحر والشعوذة، وبعضها يستخدم غطاءا دينيا ويخلط بين أمور الشعوذة وآيات القران لإيهام المشاهدين أنه لا تعارض بين ما يقومون به من دجل وسحر وشعوذة، وبين الدين، قائلين: "أليس السحر مذكور في القرآن!".

ويضيف هؤلاء أن المشعوذين، يفرقون بين المرء وزوجه في كثير من الأحيان، حتى أن أحد هؤلاء العرافين، قال لإحدى المتصلات فور أن بدأت حديثها: "تطلقي من زوجك أولاً"، وأخر قال لزوجه تشكو من إقامة زوجها عند أمه كثيرا لرعايتها: أعملي الحجاب التالي (...) كي يبعد عن أمه، ثم قال لها: لو عاد زوجك لأمه تعالي لي مرة ثانية!". ويقول إعلاميون يعملون في بعض هذه الفضائيات أن مصدر رزقهم الأساسي يعتمد على نخبة من النساء والرجال المترفين الأغنياء الذين يعانون من فراغ قاتل وخواء في الثقافة والأفكار والمفاهيم الدينية واتخمهم الثراء، ولا يجدون مشكلة في الاتصال بهذه الفضائيات بدافع التسلية وتضييع الوقت، وإن هذه الفضائيات تعتمد على اتصالات هؤلاء الزبائن وتتعاون مع مراكز دولية للاتصالات أو وكالات إعلان لجلب هؤلاء الضيوف ونزف

أموالهم عبر الاتصالات التي ينفقون عليها أموالا كثيرة. وأن هذه القنوات تستغل المزايا التي يقدمها عصر التكنولوجيا والفضائيات من جهة، وظروف الحياة الصعبة والتوترات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم، كي يصلوا إلى الناس الذين تدفعهم هذه الظروف الصعبة والضغوط ،كما يقول خبراء، للهروب إلى عالم الغيبيات. دجال لكل 240 مواطن!

ويؤكد خبراء أن الإقبال على هذه الفضائيات كان نتيجة لانتشار الاعتقاد بهذه الخرافات بين الجمهور، وبينت دراسة علمية مصرية أن بعض المصريين الذين يؤمنون بالخرافات والدجل وأساليب مكافحة الحسد الشعبية وغيرها أنفقوا قرابة 10 مليار جنية مصري على الدجالين والمشعوذين الذين يلجئون إليهم بهدف إخراج جن أو "فك عمل" أو عمل "حجاب" يقي صاحبه شرا ما وهو ما يشير بدوره لارتفاع هذا الرقم في السنوات اللاحقة!.

وكانت دراسة أعدها المركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية، أواخر عام 2003، أكدت أن هناك قرابة 300 ألف شخص يعملون في مجال الدجل والشعوذة في مصر، نتيجة استمرار اعتقاد الكثير من الأسر في دور هؤلاء الدجالين في حل الكثير من مشاكلهم. حيث أن كم الخرافات التي تتحكم في سلوك المصريين يصل إلى 274 خرافة!.

وجاء في الدراسة أن هناك دجال لكل 240 مواطن لعلاجه من "الجن" أو "كشف المستور" وغير ذلك من لغات الدجالين، وأن 50 في المائة تقريبا من نساء مصر يعتقدن في أمور الدجل وأنهن أكثر من يلجأن إلى هؤلاء الدجالين.

كما أكدت دراسات منشورة عام 2007، أن 63 في المائة من المصريين (منهم 11 في المائة من الفنانين والسياسيين والمثقفين) يلجئون للسحر في بعض الحالات، و20 في المائة

يعتقدون بجدوى "الزار" و55 في المائة من المترددات على المنجمات فعليا أو فضائيا هن من المتعلمات المثقفات"، وفق دراسة للدكتورة سامية الساعاتي أستاذة علم الاجتماع، والدكتور عبد الرحمن عيسوي.

وسبق لوزراء الصحة العرب، أن دعوا بدورهم في فبراير 2007 في الجزائر، إلى "التصدي لبعض القنوات الفضائية التي انتشرت فيها ظاهرة الشعوذة ومدعي الطب، إضافة إلى ما تبثه هذه القنوات الفضائية من مواد مسمومة لا تحترم عقول الناس"، مشددين على أن "هذه الفضائيات المشعوذة تستخف بعقول الناس وتروّج للخرافات التي تسهم في زيادة معدلات المرضي والإعاقة والهدر الاقتصادي للموارد"، حسب تأكيدهم.



الفصل العاشر

الأساطير أساس علم الفلاسفة والعلماء




الاساطير اساس علم الفلاسفة والعلماء

من اعلام الفلاسفة الذين انشغلوا بالاسطورة مابين دارس لها ومتفحص وما بين مستند عليها كأساس للبحث .

الفـــــــــارابي

أبو نصر محمد الفارابي (ولد عام 260 هـ/ 847م في فاراب وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر و هي جزء مما يعرف اليوم بتركستان وتوفي عام 339 هـ/ 950 م) فيلسوف مسلم أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنباً عن الدنيا، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها.

اسمه الكامل هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، تركماني من مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان وكان أبوه قائد جيش، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام بها إلى حين وفاته. يعود الفضل اليه في ادخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء. تأثر به كل من ابن سينا وابن رشد.

من أشهر كتبه :

- كتاب الموسيقى الكبير
- آراء أهل المدينة الفاضلة
- الجمع بين رأي الحكيمين — حاول فيه التوفيق بين افلاطون وأرسطو
- التوطئة في المنطق
- السياسة المدنية

- احصاء العلوم والتعريف بأغراضها
- جوامع السياسة

نبذة عن الفارابي

الفارابي ينتمي إلى فاراب وهي بلدة تركمانية ولد سنة 257هـ. وتوفي 339هـ. جاء إلى بغداد وهو في سن الأربعين، تنقل بين مصر وسوريا وحلب وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني ثم ذهب لدمشق وبقي فيها حتى وفاته عن عمر 80 عاما ووضع عدة مصنفات وكان أشهرها كتاب حصر فيه أنواع وأصناف العلوم ويحمل هذا الكتاب إحصاء العلوم. سمي الفارابي "المعلم الثاني" نسبة للمعلم الأول أرسطو والإطلاق بسبب اهتمامه بالمنطق لأن الفارابي هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية.

إيمانه بوحدة الحقيقة

إيمانه بوحدة الحقيقة كان يعتقد أن الحقيقة الطبيعية الفلسفية واحدة وليس هناك حقيقتان في موضوع واحد بل هناك حقيقة واحدة وهي التي كشف عنها أفلاطون وأرسطو، وبرأيه أن كل الفلسفات التي تقدم منظومة معرفية ينبغي أن تحذو حذو أفلاطون وأرسطو. ولكن بين أفلاطون وأرسطو تناقض أساسي وكان الفارابي يعتقد أن فلسفة أفلاطون هي عين فلسفة أرسطو ووضع كتاب (الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو) أفلاطون وأرسطو كلاهما يبحثان في الوجود من جهة علله الأولى، وعند أفلاطون الوجود والعلل الأولى هي (المثل) وأرسطو (العلل الأربعة) ولكن الفارابي كان يعتقد في كتابه أنه لا فرق وحاول أن يوفق بين الفيلسوفين وقدم مجموعة من الأدلة ليقول أن هؤلاء كشفا الحقيقة وكل من جاء بعدهما يجب أن يحذو حذوهما. س/ لماذا وقع الفارابي بالخطأ وقال أنهما ليسا متناقضين رغم أنهما كذلك؟ ج/ لأنه استخدم في المقارنة

بكتابه كتاب (أثولوجيا) الذي نسب لأرسطو إلا أنه ليس لأرسطو بل لأفلوطين الاسكندري وحين نقل السريانية الكتاب أخطئوا، وبناء عليه عندما نقله العرب من السريانية أخطئوا. أقام الفارابي جهد توفيقي على كتاب اثيولوجيا وكان كمن يوفق بين أفلاطون وأفلوطين فلم يظهر التناقض ونرى الكثير كالفارابي وقعوا بهذا الخطأ.

(نظريته الخاصة بالصدور) عنوان وصلة نظريته في الوجود، وهنا تبدو النظرية التي تسمى بالصدور والفيض وهي أبرز ما يميز الفارابي فهو يميز بين نوعين من الموجودات: الموجود الممكن الوجود الموجود الواجب الوجود هنا موجودات ممكنة الوجود كثيرة، لكن موجود واحد واجب الوجود. الموجود الممكن الوجود: الموجود الذي متى فُرِض موجودا أو غير موجود لم يعرض منه محال. يعني وجوده أو عدم وجوده ليس هناك مايمنع ذلك.

لكن إذا وجدت لابد لها من علة وكل الموجودات التي تحقق وجودها حوادث. الموجود الواجب الوجود: الموجود الذي متى فرضناه غير موجود عرض منه (الهاء تعود على الفرض) محال. يعني لا يمكن إلا أن يكون موجودا وهو في المصطلح الديني (الله) فنحن لا يمكن أن نقول الله ليس موجود؛ لأنه لا يمكن لنا أن نقول بعد أن قلنا الله ليس موجود كيف وجد العالم. (مؤيس الأيسات عن ليس) تعني موجود الموجودات من العدم (أليس أي أوجد). س/ لا نستطيع أن نفهم كيف وجدت الموجودات الممكنة عن واجب الوجود؟ وكان جواب الكندي هو (مؤيس.....) أما الفارابي يقول أن واجب الوجود طبيعته عقل محض واحد من كل الجهات جوهر عقل محض يعقل ذاته وموضوع تعقله هو ذاته، خلافا لنا نعقل ذاتنا ونعقل أيضا الموجودات الطبيعية ولكن واجب الوجود عند الفارابي يعقل ذاته فقط ويقول الفارابي أنه من تعقله لذاته يفيض عنه عقل أول، يكفي أن يعقل واجب الوجود ذاته حتى يصدر عنه عقل أول أي فعل التعقل فعل مبدع يصدر

على سبيل الضرورة لا الإرادة والقصد. يصدر عقل من تعقله لما فوقه يصدر عقل آخر ومن تعقله لذاته يصدر فلك..الخ العقل الأخير هو العقل الفعال والفلك الخاص به فلك القمر.

العلاقة بين الفيلسوف والنبي

التمييز الذي قام به الفارابي بين النبي من ناحية والفيلسوف من ناحية: المعرفة تكون بتجريد المعاني الكلية من المحسوسات، النبي والفيلسوف كلاهما يتلقى حقائق وينقلها للآخرين. يقول الفارابي أن معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله لكن فرق بين حقائق النبي وحقائق الفيلسوف فالفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقليه وليس حسية، الرسول تأتيه المعارف منزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل ويتلقى الوحي بالمخيلة ثم يتم تحويل الصور المتخيلة إلى صور ومعاني تنقل للناس. المعارف النبوية هي معارف المخيلة أساس فيها.

فلسفته السياسية والأخلاقية

ما تميز به الفارابي بعد تميزه بالمنطق هو السياسة والأخلاق ومن أشهر كتبه:

- آراء المدينة الفاضلة
- الموسيقى الكبير

آراء أهل المدينة الفاضلة: خير المدن الممكنة على الأرض بالنسبة للبشر، وقضية الكاتب هي قضية السعادة التي يطلبها جميع الناس ويقسم الكتاب إلى قسمين: قسم يبحث فيه الفارابي نظرية الوجود ونرى فيها التمييز بين الممكن والواجب، القسم الثاني خاص بالمدينة وآراء أهل الجماعة الفاضلة القسم الأول يقابله القسم الثاني والمدن المضادة

للمدينة الفاضلة. يبني الفارابي المدينة على غرار الوجود بأسره، فكما للوجود مبدأ أعلى كذلك المدينة الفاضلة لها مبدأ أعلى وهو الرئيس. والفارابي يقول أن القصد في المدينة الفاضلة الإبانة عن الجماعة التي تسود فيها السعادة والمدينة الفاضلة هي التي يطلب جميع أهلها السعادة والمدن المضادة يطلب فيها أهلها أشياء مضادة. السعادة عند الفارابي مرتبطة بتصوره للتركيبة الإنسانية والنفس الإنسانية والسعادة تكون عندما تسيطر النفس العاقلة (وفضيلتها الحكمة) على النفس الغضبية (وفضيلتها الشجاعة) والنفس الشهوانية (وفضيلتها العفة) فيصل الإنسان للسعادة.

- **المدينة الجاهلة:** عكس المدينة الفاضلة، يطلب أهلها السعادة الآتية من النفس الغضبية والشهوانية.
- **المدينة الفاسقة:** هي التي عرف أهلها المبادئ الصحيحة وتخيلوا السعادة على حقيقتها ولكن أفعالهم مناقضة لذلك.
- **المدينة المبدلة:** أيضا مضادة للمدينة الفاضلة ويكون السلوك فيها فاضل ثم يتبدل.
- **المدينة الضّالّة:** ويعتقد أهلها في الله والعقل الفعال آراء فاسدة واستعمل رئيسها التمويه والمخادعة والغرور ويصّور الله والعقل الفعال تصوير خاطئ وكانت سياسته خداع وتمويه.

وجعل الفارابي مجموعة سمات مميزة لأهل المدينة الفاضلة: معرفة السبب الأول وصفاته (أي الله) معرفة العقول والأفلاك معرفة الأجرام السماوية معرفة الأجسام الطبيعية معرفة الإنسان يعرفون السعادة ويمارسونها أي معرفتهم كاملة بالوجود وبكل الموجودات وعلى رأس المدينة الفاضلة يضع الفارابي الرئيس مثلما للوجود رئيس هو الله

وللإنسان رئيس هو القلب. والذي يقول على المدينة الفاضلة (الرئيس) له صفات: - تام الأعضاء - جودة الفهم والتصور - جودة الحفظ - جودة الذكاء والفطنة - حسن العبارة في تأدية معانيه - الاعتدال في المأكل والمشرب والمنكح - محبة الصدق وكراهية الكـذب - كبر النفس ومحبة الكرامة (أي تقدير الذات) - الاستخفاف بأعراض الدنيا - محبة العـدل بالطبع وكره الجور - قوة العزيمة والجسارة والإقـدام - ويتـوج هـذه الـصفات بالحكمـة والتعقل التام - جودة الإقناع - جودة التخيل - القدرة على الجهاد ببدنه.

الرازي الطبيب العالم

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي أحد العلماء المسلمين البـارزين في مجـال الطـب، تنوعت مجالات المعرفة لهذا العالم العظيم في العديد من المجالات التي نبغ بها والتي تمكن من تحقيق التكامل بين أفرع العلوم المختلفة لتكمل أحداهما الأخرى ويفوز هو بالنتائج الـتي يقدمها لخدمة العلم والطب.

نبغ الرازي كما سبق أن ذكرنا في العديد من العلوم منها الطب، الفلسفة، الكيمياء، الرياضيات، العلوم الطبيعية وغيرها الكثير، وكانت من ثمار هذا الجهد المتواصل للـرازي مجموعة المؤلفات الضخمة التي تركها إرث من بعده لأجيـال مـن العلمـاء والدارسـين في العديد من المجالات العلمية والتي أخـذوها كمرجـع لهـم في الكـثير مـن المـسائل العلميـة والطبية.

النشـــأة

ولد الرازي في عام 865 م في مدينة الري بإيران "تقع شرقي مدينة طهران حاليـا"، عـرف عن الرازي منذ الصغر عشقه للإطلاع والمعرفة فاتجه نحو الدراسة والبحث وتحصيل العلوم المختلفة، حيث كان يقضي وقت طويل فيهم.

فعمل على دراسة الرياضيات والموسيقى وعندما بلغ الثلاثين مـن عمـره أتجـه إلـي دراسة الطب والكيمياء، وكانت القراءة هي رفيقـه الـدائم في رحلتـه العلميـة والـتي كـان يستغرق فيها أوقاتاً طويلة، وخاصة في فترة المساء فكان يمكث في فراشه يقرأ قبل أن يخلـد للنوم.

رحل الرازي إلي بغداد حيث عكف فيهـا علـى دراسـة الطـب واقبـل علـى هـذه الدراسة بشغف كبير وإصرار وعزيمة أن يحقق بهذه الدراسة الكـثير، وبعـد أن أتم دراسـته قام بترأس البيمارستان العضدي في بغداد، ثم عاد مرة أخرى إلي موطنه الأصلي في الري حيث شغل هناك منصب رئيس الأطباء في البيمارستان الملكي فيها.

إنجازاتـــه

ساهم الرازي بالعديد من الاختراعات والابتكارات في مجال الطب والكيميـاء هـذا نظراً لذكائه وأبحاثه وسعيه الدائم من أجل العلم مما جعله مساهم أساسي في العديـد مـن الأمور الطبية والعلمية التي يسير عليها الأطبـاء والعلمـاء إلـي الآن، نـذكر مـن إنجـازات الرازي العلمية ما يلي:

- ابتكاره خيوط القصاب من أمعاء القطط هذه الخيوط التي تـستخدم في العمليـات الجراحية.

- قام باستعمال الفتائل في الجروح.
- كان هو أول من فرق بين كل من الجدري والحصبة وقام بوصف كل منهما وصفا دقيقا.
- قام بتركيب مراهم الزئبق.

وغيرها العديد من الإنجازات الطبية الهامة، فكان الرازي هو أول من استخدم الكيمياء لخدمة الطب فقام بتحضير عدد من المركبات الكيميائية التي تخدم الصيدلية مثل أنه أول من قام بتحضير مادة الكحول من مخمرات محاليل سكرية، وحمض الكبريتيك بتقطير كبريتات الحديد.

كما عمل الرازي على تقديم شرح لعدد كبير من الأمراض منها أمراض الأطفال والنساء والولادة، وجراحة العيون وأمراضها، ومارس الرازي العديد من الأمور الطبية المتخصصة التي نعرفها اليوم في الطب الحديث حيث كان يعتمد في دراساته وأبحاثه على إجراء التجارب والتحقق العملي منها للحصول على النتائج وكان يختبر الدواء أولاً على القرود قبل أن يعطيه للإنسان، كما عمل على متابعة الحالة المرضية وتسجيل التطورات التي تطرأ عليها لكي يتمكن من تقديم العلاج المناسب لها، وعمل على إجراء التحاليل للمريض وقياس النبض لكي يتمكن من تشخيص المرض.

وكان يدعو دائماً للعلاج بالدواء المفرد وعدم اللجوء للدواء المركب إلا في حالات الضرورة، وكان يقول في ذلك " مهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد، فلا تعالج بدواء مركب".

شهرته العالمية

نال الرازي شهرة عالمية وذاعت شهرته في العديد من البلاد الأوربية كما لاقت مؤلفاته انتشار هائل وتم ترجمتها لعدد من اللغات الأوربية مثل اللاتينية والفرنسية والألمانية، كما أعيد طبعها أكثر من مرة وضمت المكتبات الأوربية هذه النسخ والتي قاموا باستخدامها كمراجع طبية هامة، ومصدر للدراسة والعلم، وظلت هذه المؤلفات هي المراجع الرئيسية للطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادي.

ومما يدل على مدي تأثير هذا العالم الطبي العظيم على الساحة العلمية هو احتفاظ جامعة "برنستون" الأمريكية بمؤلفاته في واحدة من أعظم قاعاتها، كما قامت بإطلاق أسمه عليها كنوع من التكريم والتبجيل لهذا العالم العظيم نظراً لجهوده العلمية المؤثرة في العلوم الطبية.

مؤلفات الرازي

كتب الرازي الطبية

يذكر كل من ابن النديم و القفطي أن الرازي كان قد دون أسماء مؤلفاته في "فهرست" وضعه لذلك الغرض . ومن المعروف أن النسخ المخطوطة لهذه المقالة قد ضاعت مع مؤلفات الرازي المفقودة. ويزيد عدد كتب الرازي على المائتي كتاب في الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى. ويتراوح حجمها بين الموسوعات الضخمة والمقالات القصيرة ويجدر بنا أن نوضح هنا الإبهام الشديد الذي يشوب كلا من "الحاوي في الطب" و "الجامع الكبير". وقد أخطأ مؤرخو الطب القدامى والمحدثون في اعتبار ذلك العنوانين كأنهما لكتاب واحد فقط، وذلك لترادف معنى كلمتي الحاوي والجامع.

ألف جالينوس (130 م تقريبا- 200 م تقريبا) كتابا في الفصد في ثلاثة مقالات، وخصص المقالتين الأولى والثانية من هذا الكتاب لمناقضة أرسطوطاليس من مدرسة الإسكندرية القديمة، القرن الرابع ق. م- القرن الثالث ق. م)، ثم تلاميذ أرسطوطاليس وكانوا جميعا يمنعون من الفصد، ظنا منهم بأنه يجلب المرض. وذكر جالينوس في المقالة الثالثة ما يراه من العلاج بالقصد. وكان الرازي يؤمن بأن القصد مفيد لعلاج بعض الأمراض. قرأت كتاب الرازي "في الفصد والحجامة" أربع عشرة مقالة- بحثا عن تجربة المقارنة التي دونها في مذكراته الخاصة "الحاوي في الطب"، وكنت قد نشرت عنها كلمة وجيزة وملخصها "أن الرازي قسم عددا من المرضى المصابين بمرض السرسام (التهاب سحائي) إلى مجموعتين. ثم فصد جميع أفراد المجموعة الأولى وترك أفراد المجموعة الثانية بدون فصد، يقول: "وتركت متعمدا جماعة استدني بذلك رأيا" ولم أعثر على هذه التجربة الشيقة في كتاب "الفصد والحجامة" ولكني كوفئت بمعلومات جديدة، لم يسبق نشرها، عن الرازي، حيث يقول: "وقد كان بمدينة مصر رجل بغدادي يتصرف في خدمة السلطان. وكان يلزمني تدبيره، وسنه يومئذ نيف وسبعون سنة. كنت أفصده في كل خمسة وعشرين يوما وما يقرب منها، في جميع الأزمنة واحتمال زيارة الرازي هذا الشيخ المسن في مصر أكثر من احتمال توجه هذا المريض مرة في خمسة وعشرين يوما إلى مدينة الري أو إلى بغداد. ومن الطريف أن يقول الرازي في كتاب "في الفصد والحجامة": "وخبرني بعض من كنت أتعلم عنده الفصد أنه عسر عليه إخراج عرق امرأة، فنهرها وزجرها ولكمها فبرزت عروقها ففصدها للوقت، واعتذر إليها وأخبرها بحيلته".

كما يقول في نفس الكتاب: "وأخبرني من كنت أقرأ عليه أن المأمون افتصد. فلما أق وقت التثنية عسر خروج الدم، فأحضر المتطببين، فكل أشار بما لم يقبله. وحضر المجلس من ضمن خروج الدم بأسهل الوجوه، بعد أن يزول من حضر. فلما زالوا امتص العروق، فأنزل في فمه في الوقت".

وإذا أمعنا النظر في قول الرازي: "وأخبرني من كنت أقرأ عليه أن المأمون افتصد" ثم قوله "وخبرني بعض من كنت أتعلم عنه الفصد" لا ستدللنا على أن الرازي درس الطب على أستاذ طيب، ولكنه تعلم الفصد عند فصاد من غير الأطباء، ممن كانوا يمارسون "أعمال الطب الجزئية".

ويقول الرازي في هذا الكتاب أيضا "وقد رأيت بمدينة السلام رجلا من ولد أحمد بن عبد الملك الزيات وسنه نيف، وأربعون سنة. وكان من قصافة البدن وصفرة اللون على غاية. وكان يعرض له في كل شهر أو ما زاد قليلا أن يحمر جسمه ويختنق كأن نفسه تميط، حتى يلجأ إلى الفصد. وكان يخرج من الدم قدر خمسة عشر درهما كيلا، فكان يأنس بالراحة في الوقت. وكان الذي يعرض لهذا احتراف الدم لا كثرته. وأيضا كان هذا الرجل قد قرأ كثيرا من كتب جالينوس على معلم، ولم تكن له دربة ولا خدمة". وتدلنا هذه القصة على اسم طبيب معاصر للرازي، لم يقرن دراسة العلم بالعمل، فبقي متخلفا في مهنته. فهذا طبيب من أطباء القرن الرابع الهجري عرفنا الرازي به وبمدى تعلمه صناعة الطب.

ويقول الرازي في كتاب "المرشد أو الفصول": "ليس يكفي في أحكام صناعة الطب قراءة كتبها. بل يحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى. إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى. يستفيد من قبل التجربة كثيرا. ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب، يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة، ولا يشعر بها البتة. ولا يمكن أن يلحق بها في مقدار عمره، ولو كان أكثر

الناس مزاولة للمرضى ما يلحقه قارىء الكتب مع ادنى مزاولة، فيكون كما ذكر القرآن عز وجل: (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (سورة يوسف آية105) .

كتاب "الشكوك على جالينوس"

هذا كتاب غزير المادة، ولم يطبع حتى الآن. وينقد الرازي لا هذا الكتاب ثمانية وعشرين كتابا من كتب جالينوس، أولها كتاب "البرهان" ، وآخرها كتاب "النبض الكبير" وأن مقتطفات الرازي من كتاب "البرهان" لجديرة بالدراسة المتعمقة، فقد كان الجزء الأكبر من هذا الكتاب الفلسفي مفقودا في زمان حنين بن إسحاق (192- 260 هـ 808 ــ 873 م) الذي ترجم ما عثر عليه من النصوص اليونانية لبعض مقالات هذا الكتاب. ويقول حنين ابن إسحاق أنه سافر إلى مدينة الإسكندرية ، باحثا عن المخطوطات النادرة الموجود لهذا الكتاب القيم .

إن نقد الرازي لكتب جالينوس لدليل قوي على اتجاه جديد محمود بين أطباء العالم العربي، فكم من أجيال توارثت النظريات والآراء العلمية الخاطئة دون أن يجرؤ أحد على نقدها أو تعديلها، خشية الخروج على العرف السائد. يقول الرازي في مقدمة كتاب "الشكوك على جالينوس": "إني لا أعلم أن كثيرا من الناس يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيرا منهم يلومونني ويعنفونني أو كان يجزي إلى تحليتي تحلية من يقصد باستغنام واستلذاذ منه كذلك، إلى مناقضة رجل مثل جالينوس، في جلالته ومعرفته وتقدمه في جميع أجزاء الفلسفة، ومكانه منها؟ وأجد أنا لذلك يعلم الله مضضا في نفسي. إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق على منة، وأكثرهم لي منفعة، وبه اهتديت، وأثره اقتفيت، ومن بحره استقيت".

وهذه مقدمة شيقة لما نسميه الآن بنقد الكتب وتقريظها، وتعبر عن الحقيقة إلى حد بعيد. فإن لجالينوس الفضل الأول في بناء صرح الطب، فقد أسهم بنصيب وافر في عامة فروع الطب، وخاصة في علمي التشريح وضائف الأعضاء، بالإضافة إلى ما حفظ لنا في نصوص كتبه من مقتطفات من تراث الأوائل الذي قد فقد أغلبه.

ثم يتكلم الرازي كأستاذ عالم ناقد، فيقول "لكن صناعة الطب كالفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم، ولا مساهمتهم وترك الاستقصاء عليهم. ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه.. وأما من لامني وجهلني في استخراج هذه الشكوك والكلام فيها، فإني لا أرتفع به، ولا أعده فيلسوفا. إذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراء ظهره وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم". ويستشهد الرازي بقول ينسب إلى أرسطوطاليس، فيقول "اختلف الحق وفلاطن- وكلاهما لنا صديق (إلا أن الحق أصدق من فلاطن".

وكان جالينوس نفسه سليط اللسان، ويتضح ذلك جليا لكل من يقرأ كتبه. ويقول الرازي في ذلك: "ولا أحسب نجا منه أحد من الفلاسفة ولا من الأطباء إلا مشدوخا، وجل كلامه عليهم حق، بل لو شئت لقلت كله حق".

ويؤمن الرازي بأن "الصناعات لا تزال تزداد وتقرب من الكمال على الايام، وتجعل ما استخرجه الرجل القديم في الزمان ، الطويل (في متناول) الذي جاء من بعده في الزمان القصير حتى يحكمه، ويصير سببا يسهل له استخراج غيره به فيكون ، مثل القدماء في هذا الموضع مثل المكتسبين، ومثل من يجيء من بعد مثل المورثين المسهل لهم ما ورثوا اكتسابا أكثر وأكثر".

وإني لأقدر الصعوبات الجمة التي سوف يلقاها كل من يرمى إلى نشر كتاب "الشكوك على جالينوس" للرازي نشرا علميا محققا، لما في مخطوطاته الثلاثة من خروم وأخطاء، ومصطلحات طبية وأخرى فلسافية عسرة الفهم، كما أن الخط في المخطوطات الثلاثة دقيق وغير واضح. وكم رجعت إلى مخطوطات لكتب جالينوس بحثا عما يقتطفه الرازي منها، حتى أفهم قصد جالينوس، فيفتح لي ذلك مستغلق قول الرازي. واكتفى هنا بان أورد أمثلة قليلة من مادة كتاب "الشكوك على جالينوس"

يبين الرازي في نقده لكتاب "البرهان" ما أهمله جالينوس من ملائمة العين لوظيفتها باتساع الناظرين في الظلمة وضيقها في النور، ومنها قوله (أي قول جالينوس): "أنا إذا غمضنا إحدى العينين اتسع ثقب الناظر في الأخرى فنعلم يقينا أنه يملؤه جوهر جسمي". ويقول الرازي ردا على ذلك مباشرة: "و (ولو) كان هذا الجوهر الجسمي لا يجرى إليه إلا في حال تغمض الأخرى، لم يكن يتسعان جميعا في حالة ويضيقان في أخرى. وقد نجد النواظر كلها تتسع في الظلمة وتضيق في الضوء. هذا أحد ما ذهب على جالينوس، فلم يدركه، ولا خبر بمنفعته. والمنفعة في ذلك انه لما كان النور شديد التأثير في حاسة البصر حتى أنه يؤذيها ويؤلمها بأفرأط، والظلمة مانعة من الإبصار، احتاج البصر إلى اعتدال منهما يقع معه الإبصار بغير أذى، فهيئت العين هيئة يمكن معها أن يتسع ثقبها في حالة ويضيق في أخرى، لكن إذا كان المبصر في موضع نير جدا، أضاق فوصل من النور بمقدار ما يبصر به ولا يؤذي. وإذا كان في هواء أقل نورا، اتسع ليصل من النور أيضا ما يقع به الإبصار. كرجل له بستان يجري إليه الماء في بربخ معلوم كيلا يفسد كثرته ولا يقصر قلته. فجعل على فم هذا البربخ لوحا وصماما، يزن به الماء ليدخل بقدر حاجته. فمتى نقص الماء، شاله عن فم البربخ بقدر الحاجة ومتى زاد مدة عليه بقدر الحاجة أيضا.

وأما اتساع أحد الناظرين في حال تغميض الأخرى، فلأن الحاس الأول متى فاته من المبصر بعين واحدة ما فات، يروم أن يستدرك ذلك بالعين الأخرى، فيوسع لذلك ثقب العين المتهيء لذلك ليكشف الشبح من الجليدية بمقدار ما اقتسر عنه من العين الأخرى، أو يقارب ذلك بأكثر ما يمكن. كالرجل الذي يجري إلى بستانه ما يكفيه من الماء في مجريين. فحدث على أحدنا حادث، فاستدرك سعة المجرى الآخر ما فاته من المجرى المنسد. فقد بان أن العلة في اتساع أحد الناظرين في حال تغميض العين الأخرى ليس هو أن جوهرا جسميا يجري إلى الأخرى إذ كانا قد يتسعان ويضيقان في حال وهما مفتوحتان ليكون الاستدراك بالكشف عن الجليدية من المبصر ما فات في الآخر .

يقول الرازي: "وقد أفردت للنظر في هذا الرأي مقالة ضخمة وبينت أن الإبصار يكون بتشبح الأشباح في البصر" وجدير بمؤرخي الطب أن يبحثوا في دور الكتب التي لم تفهرس مخطوطاتها بعد، عن هذه المقالة الضخمة التي يذكرها الرازي. ويثبت مؤرخو العصور الوسطى المؤلفات الآتية للرازي في الإبصار، وكلها في حكم المفقودة: "كتاب في فضل العين على سائر الحواس"، "مقالة في المنفعة في أطراف الأجفان دائما"، "مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في الضوء وتتسع في الظلمة"، "كتاب في شروط النظر"، و" مقالة في علاج العين بالحديد".

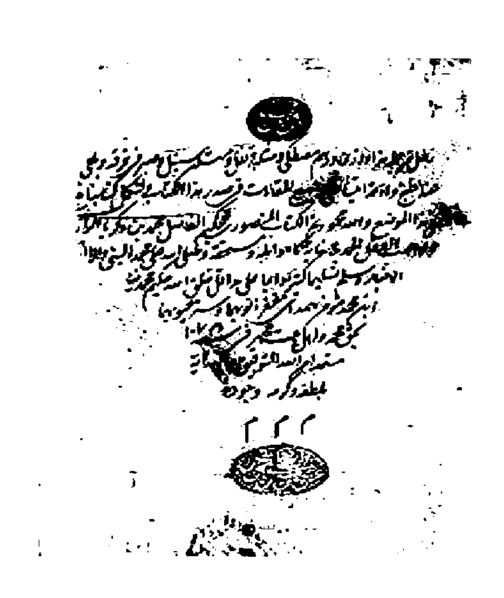
ومن المعروف أن الرازي كان طبيبا إكلنيكيا عظيما وفي النص التالي ما يدل أيضا على أنه كان جراحا ماهرا. ففي نقده للجزء الأول من كتاب جالينوس "في تركيب الأدوية" يقول الرازي: "فأما كتاب "قاطاجانس" فالإنسان أن يلزمه ويعدله بالحق على تطويله وتكريره الكلام في تلك المراهم، كأنه لا يشفق على الزمان، أو ليس له شغل هو أولى به. وجل تلك المراهم مما لا نستعملها نحن قط، على كثر عنايتنا لصناعة الجراحات، ومعالجة الرديئة

منها، ولم نر أحدا من أصحاب الجراحات استعملها. إلا أن الإنسان أيضا يجب أن يمدحه غاية المدح ويقرظه لما علمنا في فيه من مداواة جراحات العصب. وهذا أمر عظيم من منافع هذا الكتاب".

وفي كتاب "الشكوك على جالينوس" ينقد الرازي كتاب جالينوس "في البحران"، فيقول: "ما يتضارب العلم مع العمل، فإن جالينوس يصور الحميات بصور ثابتة أو قريبة من الثابتة، محددا أوقاتها الأربعة: الابتداء والتزيد والمنتهى ولانحطاط. وغذا طلب الطبيب ذلك بالفعل وقعت الشكوك المغلظة"، ولا يلاحظ ذلك إلا من كثرت تجربته واشتدت عنايته وزاد تفقده للأمراض فكم من مرة رأى الرازي الحمى تبتديء بنافض يشبه نافض الغب، وتصعد صعودها، ثم تصير بعد ذلك إلى حمى يوم فيبرأ المريض برءا سريعا. ويعدد الرازي حالات أخرى كثيرة غير هذه، ثم يقول في مرض أصابه فجأة: "ومنذ قريب حممت وأنا على سفر، وظهر اليرقان بي، وهو شيء لم يعترني قط، من غير يوم النوبة في العين، وفي الماء، وذلك إني لما رأيت الماء صبيحة تلك الليلة قلت: انظروا إلى عيني، لما رأيت اليرقان في الماء. فأخبروني بما فيها منه. ثم لم يكن إلا خيرا. وكم ترصدت في البيمارستان ببغداد وفي الري، وفي منزلي، سنين كثيرة هذه المعاني وأثبت أسماء من كان أمره جرى على حكم هذه الكتب، وأسماء من جرت حالته على خلاف ذلك (كل) على حدة. فلم يكن عدد من جرى أمره منهم على الخلاف بأقل عددا فينبغي أن يطرح ولا يعبأ به، كحكم سائر الصناعات بل شيء كثير لا ينبغي لعاقل محترس أن يثق معه بهذه الطريقة غاية الثقة ويركن إليها، ويطلق القول بتقدمة المعرفة، أو ينزع إلى العلاج والتدبر بحسبها. وذلك أن من جرى أمره على الخلاف قد كانوا على الستمائة من نحو ألفي مريض ومن ذلك أمسكت عن الإنذار بما هو كائن، إلا حيث كان الأمر من وضوح الدلائل وقوتها ما

لم يلزمني فيه شك. وبقيت زمانا أطلب بالتجربة والقياس تدبير الأمراض الحادة حريزا آمنا معه ألا أجني على المريض بالخطأ مع أن أخطأت، ألا يطول، مدة العلة متى وجدت".

إن رسالة الراازي في هذا النص لواضحة جلية: لأهل العلم والبحث أن يتشككوا فيما يقرؤون ولا يصدقوا إلا ما يثبت صحته بالتجربة والقياس، وكثيرا ما ردد الرازي رأيه هذا في كتابه "في خواص الأشياء".



مخطوطة الرازي

أثرى الرازي المكتبة الطبية والعلمية بالعديد من المؤلفات الهامة التي شملت العديد من المجالات فيوجد له مؤلفات في الطب والكيمياء والفلسفة والمنطق نذكر من مؤلفاته الطبية :

الحاوي في علم التداوي، الجدري والحصبة، المنصوري في التشريح، الكافي في الطب، سر الطب، منافع الأغذية، دفع مضار الأغذية وغيرها العديد من الكتب في المجال الطبي، أما بالنسبة لمؤلفاته في الطبيعيات فمنها كيفيات الإبصار، شروط النظر، الهيولي المطلقة والجزئية، هيئة العالم، اشتهر الرازي في علم الكيمياء كواحد من رواد هذا العلم والذي استغرق في دراسته وأجراء العديد من التجارب الكيميائية والتي وظفها في خدمة الطب وعرف الرازي كواحد من تلاميذ العالم العربي الكبير جابر بن حيان رائد علم الكيمياء، ومن مؤلفات الرازي في علم الكيمياء هي سر الأسرار، التدبير، الأكسير، رسالة الخاصة، الحجر الأصفر، هذا بالإضافة إلي مؤلفاته في مجال الفلسفة ومنها المدخل إلي المنطق، المدخل التعليمي، المدخل البرهاني، ويوجد الكثير من المؤلفات الأخرى والتي تضمها أعظم المكتبات حول العالم.

الوفــــاة

توفى الرازي في عام 936 م، وذلك بعد أن قدم العديد من الخدمات العلمية الجليلة وبعد أن بذل الكثير من الجهود من أجل أبحاثه وتجاربه حتى أنه فقد بصره في أواخر حياته نتيجة لشغفه بالإطلاع المستمر واستغراقه في القراءة لفترات طويلة من الليل.

من أقوالـــه

- عالج أول العلة بما لا يسقط القوة، وما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه الناس وعضدته التجربة وليكن أمامك.
- إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.
- ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء فخطؤه في جنب صوابه يسير جدا.
- الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه خطر.

ابن باجة

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التُجيبي السرقسطي المعروف بابن باجّه. أول مشاهير الفلاسفة عربي من قبيلة تجيب وهي بطن من قبيلة كندة اليمنية دخل أجداده مع الفتح الإسلامي للأندلس اشتغل أيضا بالسياسة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والطب. أسهم في الطب خاصة، توفي في فاس المغرب، مسموما سنة 529 هـ.

سيرته

ابن باجة أو ابن باجي ، محمد بن يحيى الصائغ (ابن الصائغ) النجيبي السرقسطي. فيلسوف وطبيب ورياضي وفلكي واديب وموسيقي اندلسي .

ولد في سرقسطة في اسبانيا في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي وقتل مسموما في فاس بالمغرب عام 1138م.

نشأ في سرقسطة وعمل وزيرا للمرابطين فيها وفي غرناطة ، ثم هرب من الاخيرة إلى فاس حينما اتهمه الفتح بن خاقان وآخرين بالخروج عن الاسلام . وقيل ان ابن زهير قد سمه في فاس ومات فيها.

وقد تأثر ابن باجة تأثرا شديدا بارسطو والفارابي من جهة ، وبالغزالي من جهة أخرى . فتحول عن فلسفة الغزالي التي يهتدي اليها قلب الانسان بذوقه عنده إلى علم نظري قائم على المذهب العقلي . بالاضافة إلى هذا فقد آمن ابن باجة ان للفيلسوف عالمه الخاص الذي يخلو فيه إلى نفسه بعيدا عن كل شيء .

وقد أثر ابن باجة في ابن طفيل وابن رشد تأثيرا شديدا ، ثم في أوروبا العصور الوسطى عن طريقهما. وكتب ابن باجة شروحا كثيرة على مؤلفات ارسطو والفارابي . عرف ابن باجة في الغرب باسم : Avenpace.

أهم مؤلفاته

يسرد ابن أبي أصيبعة لائحة بثمانية وعشرين مؤلفاً ينسبها إلى ابن باجّه، تقع في ثلاث فئات مختلفة: شروح أرسطوطاليس، تأليف اشراقية، ومصنفات طبية. فمن تأليفه في الطب كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس كتاب التجربتين على أدوية بن وافد وكتاب اختصار الحاوي للرازي و كلام في المزاج بما هو طبي. جميع اصول كتبه العربية ضاعت ولم ينتقل الينا منها الا ما ترجم في حينه إلى اللاتينية.

واشهر هذه المترجمات (تدبير المتوحد) الذي تخيل فيه مدينة لا يشغل اهلها غير (تدبير) واحد أو غاية واحدة طريقها العقل فتتحقق لها ولهم السعادة. ويقسم ابن باجة غايات الانسان إلى جسدية وروحانية وعقلية وهذه الاخيرة هي ارقاها. ولابن باجة ايضا (رسالة الوداع) التي اهداها لأحد اصحابه وهو على اهبة سفر طويل خشي الا يراه بعده، و رسالة (الاتصال) و (كتاب النفس) وكتاب (الكون والفساد)، وكتاب (رسالة الوداع) .

- تأليف اشراقية
- رسائل ابن باجة الإلهية
- مصنفات في الطب
- كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس

- كتاب التجربتين على أدوية بن وافد
- كتاب اختصار الحاوي للرازي
- كلام في المزاج بما هو طب

مشروعه

عمد ابن باجة إلى العودة بالفلسفة إلى أصولها الأرسطية خالصة كما هي في كتب أرسطو مبتعدا عن أفكار العرفان و الأفلاطونية المحدثة فكان بذلك أحد أفراد تيار تجديدي أندلسي حاول فصل الأفكار العرفانية التي اختلطت كثيرا بالفكر الإسلامي و الذي بدأ بمشروع ابن حزم الذي عمد إلى تأسيس منهج العودة إلى الأصول و استبعاد القياس في الفقه و استأنف بعد ابن باجه باين رشد الذي عمد إلى فصل نظام البيان الفقهي عن نظام البرهان الفلسفي. بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة كأنظمة استنتاجية و ربطهما عن طريق الغايات و الأهداف.

فلسفته

في الإنسان :

كل حي يشارك الجمادات في أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان في أمور... لكن الإنسان يتميز عن الحيوان غير الناطق والجماد والنبات بالقوة الفكرية، ولا يكون إنسانا إلا بها

في منازل الناس :

- المرتبة الجمهورية: وهؤلاء لا ينظرون إلا للمعقول.

- المرتبة النظرية : وهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات اولاً، وإلى المعقول ثانياً ولأجل الموضوعات.
- مرتبة السعداء : وهم الذين يرون الشيء بنفسه.

ابن خلدون رائد علم الاجتماع

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، كنيته أبو زيد، وهو عالم عربي شهير وواضع علم الاجتماع الحديث سابقاً بذلك علماء الغرب، تمكن من تقديم عدد من النظريات الجديدة في كل من علمي الاجتماع والتاريخ، كان يهوى الإطلاع على الكتب والمجلدات التي تركها العلماء السابقين وذلك لكي تتكون عنده خلفية علمية يستطيع أن يستند عليها في أفكاره هذا بالإضافة لتمتعه بالطموح العالي والثقافة الواسعة.

تمتع ابن خلدون بمكانة علمية عالية سواء على المستوى العربي أو العالمي، قال عنه المؤرخ الإنجليزي توينبي "في المقدمة التي كتبها ابن خلدون في تاريخه العام، أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان".

النشـــأة

ولد ابن خلدون في تونس عام 1332م ، لأسرة من أصول يمنية وكان لأسرته الكثير من النفوذ في إشبيليه ببلاد الأندلس، وقد هاجرت الأسرة مع بداية سقوط الأندلس في يد الأسبان إلى تونس وعاش ابن خلدون معظم حياته متنقلاً بين بلاد شمال أفريقيا، هذا بالإضافة لزياراته لأرض الحجاز.

أقبل ابن خلدون على العلم فقام بدراسة القرآن الكريم وتفسيره، والحديث والفقه واللغة هذا بالإضافة لعدد من العلوم الأخرى على يد عدد من علماء تونس، كما

كان يهوى الإطلاع دائماً لمعرفة المزيد من العلوم والأفكار الأخرى وأطلع على كتب الأقدمين وأحوال البشر السالفين وذلك حتى تتكون عنده ثقافة واسعة.

فكره وفلسفته

كانت لابن خلدون فلسفته الخاصة والتي بنى عليها بعد ذلك أفكاره ونظرياته في علم الاجتماع والتاريخ، حيث عمل على التجديد في طريقة عرضهم، فقد كان رواة التاريخ من قبل ابن خلدون يقومون بخلط الخرافات بالأحداث، هذا بالإضافة لتفسيرهم التاريخ استناداً إلى التنجيم والوثنيات، فجاء ابن خلدون ليحدد التاريخ بأنه "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها" ، وذلك لأن التاريخ "هو خبر عن المجتمع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال".

وعلى الرغم من اعتراض ابن خلدون على آراء عدد من العلماء السابقين إلا أنه كان أميناً سواء في عرضه لهذه الآراء والمقولات أو نقده لها، وكان يرجع أرائهم الغير صحيحة في بعض الأمور نظراً لجهلهم بطبائع العمران وسنة التحول وعادات الأمم، وقواعد السياسة وأصول المقايسة.

سعى ابن خلدون دائماً من أجل الإطلاع والمعرفة فكان مطلعاً على أراء العلماء السابقين، فعمل على تحليل الآراء المختلفة ودراستها، ونظراً لرحلاته في العديد من البلدان في شمال إفريقيا والشام والحجاز وعمله بها وإطلاعه على كتبها، فقد اكتسب العديد من الخبرات وذلك في عدد من المجالات سواء في السياسة أو القضاء أو العلوم، فجاءت أفكاره التي وصلت إلينا الآن تتمتع بقدر كبير من العلم والموضوعية.

مهامه العلمية

شغل ابن خلدون عدد من المهام أثناء حياته فتنقل بين عدد من المهام الإدارية والسياسية، وشارك في عدد من الثورات فنجح في بعضها وأخفق في الأخر مما ترتب عليه تعرضه للسجن والإبعاد، تنقل ابن خلدون بين كل من مراكش والأندلس وتونس ومن تونس سافر إلى مصر وبالتحديد القاهرة ووجد هناك له شعبية هائلة فعمل بها أستاذاً للفقه المالكي ثم قاضياً وبعد أن مكث بها فترة أنتقل إلى دمشق ثم إلى القاهرة ليتسلم القضاء مرة أخرى، ونظراً لحكمته وعلمه تم إرساله في عدد من المهام كسفير لعقد اتفاقات للتصالح بين الدول، ومن بين المهام التي كلف بها تمكن ابن خلدون من إيجاد الوقت من أجل الدراسة والتأليف.

مؤلفاتــــــه

قدم ابن خلدون عدد من المؤلفات الهامة نذكر من هذه المؤلفات "المقدمة" الشهيرة والتي قام بإنجازها عندما كان عمره ثلاثة وأربعون عاماً، وكانت هذه المقدمة من أكثر الأعمال التي أنجزها شهرة، ومن مؤلفاته الأخرى نذكر "رحلة ابن خلدون في المغرب والمشرق" وقام في هذا الكتاب بالتعرض للمراحل التي مر بها في حياته، حيث روى في هذا الكتاب فصولاً من حياته بجميع ما فيها من سلبيات وإيجابيات، ولم يضم الكتاب عن حياته الشخصية كثيراً ولكنه عرض بالتفصيل لحياته العلمية ورحلاته بين المشرق والمغرب، فكان يقوم بتدوين مذكراته يوماً بيوم، فقدم في هذا الكتاب ترجمته ونسبه والتاريخ الخاص بأسلافه، كما تضمنت هذه المذكرات المراسلات

والقصائد التي نظمها، وتنتهي هذه المذكرات قبل وفاته بعام واحد مما يؤكد مدى حرصه على تدوين جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة به لأخر وقت.

ومن الكتب التي احتلت مكانة هامة أيضاً نجد كتاب "العبر" و "ديوان المبتدأ والخبر" والذي جاء في سبع مجلدات أهمهم "المقدمة" حيث يقوم في هذا الكتاب بمعالجة الظواهر الاجتماعية والتي يشير إليها في كتابه باسم "واقعات العمران البشري" ومن الآراء التي قدمها في مقدمته نذكر "إن الاجتماع الإنساني ضروري فالإنسان مدني بالطبع، وهو محتاج في تحصيل قوته إلى صناعات كثيرة، وآلات متعددة، ويستحيل أن تفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد، فلابد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحُصل القوت له ولهم- بالتعاون- قدر الكفاية من الحاجة الأكثر منهم بإضعاف".

الوفــــــاة

توفى ابن خلدون في مصر عام 1406 وتم دفنه بمقابر الصوفية عند باب النصر بشمال القاهرة، وذلك بعد أن ترك لنا علمه وكتبه القيمة التي مازالت مرجع للعديد من العلماء الآن.

ابن طفيل

محمد بن عبدالملك بن طفيل القيسي الأندلسي (أبو بكر) هو فيلسوف وفيزيائي وقاضي أندلسي [بحاجة لمصدر] مسلم، ولد في وادي آش، وهي تبعد 55 كم عن غرناطة، ثم تعلم الطب في غرناطة وخدم حاكمها. توفي في 581 هـ بمراكش وحضر السلطان جنازته.

كان ابن طفيل فيلسوفاً ومفكراً وقاضياً وطبيباً وفلكياً. يمثل ابن طفيل الأب الروحي للنزعة الطبعية في التربية عبر كتابه "حي بن يقظان"، والذي حاول فيها التوفيق الفلسفي بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية.

درس على يد ابن باجة وخدم في بلاط أبو يعقوب يوسف حاكم الأندلس من سلالة الموحدين.

جابر بن حيان

نسبه ونشأته

هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي ، ولد على أشهر الروايات في سنة 101هـ (721م) وقيل أيضاً 117هـ (737م) وقد اختلفت الروايات على تحديد أصله وكذلك مكان مولده فمن المؤرخين من يقول بأنه من مواليد الكوفة على الفرات ، ومنهم من يقول أن أصله من مدينة حران من أعمال بلاد ما بين النهرين ويوجد حتى من يقول أن أصله يونانياً أو أسبانياً . ولعل هذا الانتساب ناتج عن تشابه في الأسماء فجابر المنسوب إلى الأندلس هو عالم فلكي عربي ولد في إشبيلية وعاش في القرن الثاني عشر الميلادي . ولكن معظم المصادر تشير إلى أنه ولد في مدينة طوس من أعمال خراسان.

هاجر والده حيان بن عبد الله الأزدي من اليمن إلى الكوفة في أواخر عصر بني أمية، وعمل في الكوفة صيدلياً وبقي يمارس هذه المهنة مدة طويلة (ولعل مهنة والده كانت سبباً في بدايات جابر في الكيمياء وذلك لارتباط العلمين) وعندما ظهرت دعوة العباسيين ساندهم حيان ، فأرسلوه إلى خراسان لنشر دعوتهم ، وهناك ولد النابغة جابر بن حيان المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء.

وعندها شعر الأمويون خطر نشاط حيان بن عبد الله الأزدي في بلاد فـارس فـألقوا القبض عليه وقتلوه . ولهذا اضطرت عائلة حيان الأزدي أن تعود إلى قبيلة الأزد في اليمن. وهناك ترعرع جابر بن حيان الأزدي. وعندما سيطر العباسيين على الموقف سنة (132هـ) في الكوفة واستتب الأمن، رجعت عائلة جابر بن حيان إلى الكوفة. وتعلم هناك ثم اتـصل بالعباسيين وقد أكرموه اعترافاً بفضل أبيه عليهم وكـان أيـضاً صـاحب البرامكـة. وتـوفي جابر وقد جاوز التسعين من عمره في الكوفة بعد فر إليها من العباسيين بعد نكبة البرامكة وذلك سنـة 197هـ (813م) وقيل أيضاً 195 هـ810) م) وقد وصف بأنه كان طويل القامة ، كثيف اللحية مشتهراً بالإيمان والورع وقد أطلق عليه العديـد مـن الألقـاب ومـن هذه الألقاب " الأستاذ الكبير " و " شيخ الكيميائيين المسلمين " و " أبو الكيميـاء " و " القـديس السامي التصوف " و " ملك الهند . "

تعلمـه

حينما استقر جابر بن حيان في الكوفـة بعـد عـودة عائلتـه مـن الـيمن ، انـضم إلى حلقات الإمام جعفر الصادق ولذا نجد أن جابر بن حيان تلقى علومه الـشرعية و اللغويـة والكيميائية على يد الإمام جعفر الصادق . وذكر أنه درس أيضاً على يد الحميري .

ومعظم مؤرخي العلوم يعتبرون جابر بن حيان تلقى علومه من مصدرين:

- الأول : من أستاذه الحقيقي الإمام جعفر الصادق
- الثاني : من مؤلفات ومصنفات خالد بن يزيد بن معاوية.

فعن طريق هذه المصادر تلقى علومه ونبغ في مجال الكيمياء وأصبح بحق أبو الكيمياء فقد وضع الأسس لبداية للكيمياء الحديثة . وسوف نتحدث لاحقاً عن منهجه وإنجازاته العلمية. وسنتطرق قبل ذلك إلى إعطاء نبذة عن الكيمياء القديمة .

الكيمياء في عصره

بدأت الكيمياء خرافية تستند على الأساطير البالية، حيث سيطرت فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة. وذلك لأن العلماء في الحضارات ما قبل الحضارة الإسلامية كانوا يعتقدون المعادن المنطرقة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديث والرصاص والقصدير من نوع واحد ، وأن تباينها نابع من الحرارة والبرودة و الجفاف والرطوبة الكامنة فيها وهي أعراض متغيرة (نسبة إلى نظرية العناصر الأربعة، النار و الهواء و الماء والتراب)، لذا يمكن تحويل هذه المعادن من بعضها البعض بواسطة مادة ثالثة وهي الإكسير.

ومن هذا المنطلق تخيل بعض علماء الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية أنه بالإمكان ابتكار إكسير الحياة أو حجر الحكمة الذي يزيل علل الحياة ويطيل العمر .

فعلم الكيمياء مر بحقبة من الزمن سادتها الخرافات و الشعوذة ولكن علماء العرب المسلمين هم الذي حرروها من ذلك الضجيج الفاسد الذي لا يعتمد على علم ، بل كان مصدرها الشيطان والبلبلة.

وبالفعل تأثر بعض العلماء العرب و المسلمين الأوائل كجابر بن حيان و أبو بكر الرازي بنظرية العناصر الأربعة التي ورثها علماء العرب والمسلمين من اليونان . لكنهما

قاما بدراسة علمية دقيقة لها ،أدت هذه الدراسة إلى وضع وتطبيق المنهج العلمي التجريبي في حقل العلوم التجريبية.

فمحاولة معرفة مدى صحة نظرية العناصر الأربعة ساعدت علماء العرب والمسلمين في الوقوف على عدد كبير جداً من المواد الكيماوية ، وكذلك معرفة بعض التفاعلات الكيماوية ، لذا إلى علماء المسلمين يرجع الفضل في تطوير اكتشاف بعض العمليات الكيميائية البسيطة مثل :

التقطير – التسامي – الترشيح – التبلور – الملغمة – التكسيد

وبهذه العمليات البسيطة استطاع جهابذة العلم في مجال علم الكيمياء اختراع آلات متنوعة للتجارب العلمية التي قادت علماء العصر الحديث إلى غزو الفضاء .

منهجه العلمي

بنى جابر بن حيان معلوماته الكيميائية على التجارب والاستقراء و الاستنتاج العلمي ، لذا فإنه بحق صاحب المنهج العلمي .فنلاحظ أن جابر آمن إيماناً عميقاً بأهمية إجراء التجارب كسبيل علمي دقيق للوقوف على الحقائق ، بعد أن تخلى عن منهج التأمل العقيم المنقطع الصلة بالواقع المشاهد

فلقد نادى جابر بن حيان بأعلى صوته أن دراسة العلوم الطبيعية أساسها التجربة ، لذا نجد أن علماء المسلمين نهجوا منهج جابر بن حيان وحذوا حذوه وذلك ليس في مجال الكيمياء وحسب وإنما في العلوم الأخرى . فجابر أول من أدخل التجربة العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي الذي أرسى قواعده ؛ وقد كان جابر ينصح طلابه بالقول المأثور عنه :" و أول واجب أن تعمل وتجري تجارب ،لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل

إلى أدنى مراتب الإتقان . فعليك بالتجربة لتصل إلى المعرفة " . فقد درس جابر بكل إمعان المنهج العلمي عند علماء اليونان، فوجده يرتكز على التحليلات الفكرية الغامضة . لذا نلاحظ أن جابر بن حيان اعتمد على المنهج العلمي الذي يخضع للتجربة المخبرية والبرهان الحسي، وذلك مع الاحتفاظ بالنظريات التي تعتبر عصب البحث العلمي، فقد ألزم نفسه بأسلوب من البحث النظري والسلوك العملي، يضم تحته كلا المنهجين الاستدلالي و الاستقرائي، والذي هو في النهاية الأسلوب العلمي في المعنى الحديث .

فجابر يطرح منهجه قائلاً : "يجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب ، خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه. بعد أن امتحناه وجربناه ، فما صح أوردناه وما بطل رفضناه ، ومما استخرجناه نحن أيضاً وقايسناه على هؤلاء القوم " . وإضافة لهذا نرى جابر يجمع بين الامتحان التجريبي أو العمل المعملي والفرض العقلي الذي تأتي التجربة لتأييده أو رفضه أو تكذيبه و هو ما يعتبر لب المنهج التجريبي فيقول" : قد عملته بيدي وبعقلي من قبل وبحثت عنه حتى صح و امتحنته فما كذب". فالتجربة وحدها لا تكفي لتصنع عالماً ، بل لا بد من أن يسبقها الفرض العلمي الذي يصنعه العالم ، ثم التجربة بعدئذٍ هي المحك ، و يقول جابر أيضاً: "إياك أن تجرب أو تعمل حتى تعلم ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى أخره بجميع تقنيته وعلله ، ثم تقصد لتجرب فيكون بالتجربة كمال العلم ."

مؤلفاته

اذا جئنا لمؤلفات جابر بن حيان ، نكون قد جئنا إلى الأثر الكبير الذي خلفه جابر بعد وفاته وهذا الذي أجج الحساد من الغرب و أدى إلى عدة ردود أفعال من جانبهم :

أ. بعضهم ادعى بوجود شخصية اسمها جابر اللاتيني نسبوا لها بعض مؤلفات جابر الموجودة باللغة اللاتينية

ب. البعض الآخر قال بأن تلاميذ جابر هم الذين قاموا بتأليف هذه الكتب ثم نسبوها إليه .

ج. والبعض الذين عمى الحسد أعينهم قالوا بأن جابر هذا لا وجود له .

وكل هذه الادعاءات لا تقوم على دليل سوى البغض والحسد للعلماء العرب والمسلمين .

وقد ذكر أبن النديم المئات من المؤلفات والمصنفات لجابر بن حيان و نذكر من كتبه:

أ. كتاب الرحمة : وتطرق فيه إلى تحويل المعادن إلى ذهب .

ب. كتاب السموم ودفع مضارها : وقسمه خمسة فصول تبحث في أسماء السموم وأنواعها و تأثيراتها المختلفة على الإنسان والحيوان ، وعلامات التسمم و المبادرة إلى علاجها و الاحتراس من السموم ، وقد قسم السموم فيه إلى حيوانية كسموم الأفاعي والعقارب وغيرها ، ونباتية كالأفيون والحنظل ، و حجرية كالزئبق و الزرنيخ و الزاج .

ج. كتاب " استقصاءات المعلم.

د. كتاب "نهاية الإتقان .

ه. الوصية الجابرية

و. الكيمياء الجابرية :

ويشتمل على مجموعات من مكتشفاته المهمة ، وأهمها :

- الماء القوي أو الماء الملكي .
- سم السليماني " المعروف اليوم باسم كلوريد الزئبق .
- حجر جهنم (قابل للانصهار وشفاف كالبلور.
- الراسب الأحمر ، ونحصل عليه عن طريق أخذ مقدار رطل من الزئبق ومقدار رطلين من الزاج ورطل واحد من الحجر الصخري ، ونعامل هذا المزيج بواسطة النار ، فنحصل على مركب لماع أحمر .
- المستحلب الكبريتي .
- كتاب المائة واثني عشر : ويضم 112 رسالة عن صناعة الكيمياء عامة مع إشارات إلى كيميائيين قدماء .
- كتاب السبعين : ويضم سبعين رسالة فيها عرض منظم لجهود مؤلفها في الكيمياء
- كتاب الموازين : ويضم 144 رسالة تعرض الأسس النظرية والفلسفية للكيمياء والعلوم عامة .
- كتاب الخمسمائة : ويضم خمسمائة رسالة تعالج بتفصيل بعض المسائل التي وردت موجزة في كتاب الموازين .
- كتاب الميزان .
- كتاب الخواص الكبير .
- كتاب الزئبق .

- الشمس كتاب الذهب
- كتاب الخواص .
- كتاب الأحجار كتاب الموازين .
- كتاب الوصية .
- كتاب الخالص .
- الأسرار .
- لقمر كتاب الفضة .
- كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل .
- كتاب صندوق الحكمة .
- كتاب خواص إكسير الذهب .
- رسالة في الكيمياء .
- كتاب المماثلة والمقابلة .
- كتاب الأحجار :- ويقع في أربعة أجزاء .
- الحدود .

ولقد قضى جابر بن حيان معظم حياته في طلب العلم، وتعليم علم الكيمياء فأنجب تلامذة يمتازون بالذكاء بالقدرة على الإنتاج مثل الرازي، و ابن سينا، و الفارابي وغيرهم.

و خلاصة القول أن جابر بن حيان كان سابقاً عصره بقرون ولولا ما كان منه من نتاج علمي ضخم لما وصل العالم إلى التقدم الذي يعيشه .فهذه الصنعة (أي الكيمياء)

هي صنعة جابر وقد قال فيه أحد المفكرين الغربيين " إن فضل جابر على الكيمياء، كفضل أبقراط في الطب، و أرسطو طاليس في علم المنطق، و إقليدس في علم الهندسة

ابن رشد "الشارح الأكبر"

الذي لا ينسى

فيلسوف وعالم وطبيب ومفكر تبوأ مكانة مميزة بين أقرانه من العلماء، وله كنز ضخم من المؤلفات، تولى القضاء في كل من أشبيلية وقرطبة، وقام بشرح كتاب أرسطو فأجاد في ذلك، وأصبح له الفضل في انتشار فلسفة أرسطو بين دول أوروبا في العصور الوسطى، وأطلق عليه الشاعر الإيطالي دانتي لقب "الشارح الأكبر".

النشأة

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد عام 520هـ بقرطبة، وينحدر من أسرة عريقة في الأندلس، فكان جده أبو الوليد محمد بن رشد يتمتع بشهرة فائقة في كل من الأندلس وبلاد شمال إفريقيا وذلك نظراً لفتاويه وخدماته السياسية والاجتماعية فكان الناس يلجأون إليه لسداد رأيه وحكمته، وقد ولي الجد القضاء بقرطبة ومثلما كان الجد كان الوالد فقد تولى هو أيضاً منصب القضاء وكان له حظ وافر من العلم.

الحياة العلمية والعملية

جاء ابن رشد لينتهج منهج الجد والوالد في العلم والمناصب فدرس القرآن الكريم، ثم درس الموطأ للإمام مالك واطلع على فقهه، وحصل العلوم العربية والإسلامية، وأقبل على دراسة الطب على أبي جعفر بن هارون، كما درس الفلسفة والحكمة وعلم الكلام والرياضيات والمنطق وأنكب على الكتب يقرأ وينهل من العلوم المختلفة.

وقد اتصل ابن رشد بكبار مفكري وعلماء عصره مثل الفيلسوف والوزير ابن طفيل، وكان على صلة وثيقة بالطبيب ابن زهر، كما اتصل ابن رشد بأسرة الموحدين وذلك عندما رحل إلى مراكش عام 548هـ بناء على دعوة من عبد المؤمن بن علي أول ملوك الموحدين وذلك ليدلي برأيه في إنشاء عدد من المدارس بمراكش.

شرحه لكتاب أرسطو

زاع صيت ابن رشد عقب قيامه بشرح كتب أرسطو، هذه المهمة التي أسندت إليه وأنجزها على أكمل وجه، وقد أخذت منه هذه الشروح الكثير من الوقت والجهد في سبيل إعدادها بشكل وافي متكامل، وساعد ابن رشد في إتمامها فهمه العميق لفلسفة أرسطو.

لم يكن ابن رشد يجيد اللغة اليونانية ولذلك لم يقرأ فلسفة أرسطو من مصادرها الأصلية، فقرأها من ترجمات غلب عليها التحريف والتشويه ولكنه تمكن بخبرته الفلسفية أن يتوصل إلى الكثير من الآراء الصائبة عن طريق المقارنة والمقابلة التي أجراها في سبيل فهمه لهذه الآراء والنصوص، وكان ابن رشد يتبع في شرحه مناهج معينة منها الشرح الأكبر وفيه أورد ابن رشد فقرة من كلام أرسطو وذكر شروحه عليها، أما المنهج الثاني فهو الشرح الأوسط وفيه اكتفى بعرض مطلع الفقرة فقط ثم بدأ في الشرح، أما الثالث فهو الشرح الأصغر وقام فيه بعرض كتاب أرسطو عرضاً حراً يحذف منه أو يضيف إليه، وفي الأخير قام بالموازنة بين كل من آراء أرسطو في الكتاب المشروح وآرائه هو في كتبه الأخرى، وخرجت شروحه في النهاية بعد الكثير من الجهد ليستفيد منها العالم بأسره.

واشتهرت شروح ابن رشد في غالبية الدول الأوربية، كما انتشرت فلسفته، وأطلق عليه دانتي في الكوميديا الإلهية لقب "الشارح الأكبر".

في رعاية الخليفة

كان لابن طفيل الطبيب والفليسوف الفضل في اتصال ابن رشد بالخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن والذي عرف عنه اهتمامه بالعلم والعلماء وتقريبهم منه، بالإضافة لاهتمامه بجمع كتب العلم والفلسفة من أقطار المغرب والأندلس.

تقرب ابن رشد من الخليفة أبي يعقوب والذي أراد اختباره ذات مرة في أحد المسائل الفلسفية، فارتبك أبن رشد في بادئ الأمر ثم طمأنه الأمير وفتح أمامه المجال للحديث، فانطلق ابن رشد في شرح ما سئل فيه، فنال إعجاب الخليفة الذي اسند إليه بعد ذلك مهمة شرح كتاب أرسطو، كما قلده منصب القضاء بإشبيليه عام 565هـ، وظل ابن رشد في هذا المنصب لمدة عامين قبل أن يعود مرة أخرى إلى قرطبة ويتابع شروحه في كتاب أرسطو.

حظي ابن رشد بمكانة مميزة عند الخليفة والذي كان يستعين به للقيام بعدد من المهام الرسمية، وفي إطار ذلك تنقل ابن رشد بين كل من مراكش وإشبيليه وقرطبه، مهمة أخرى أوكلها إليه أبو يعقوب عندما دعاه إلى مراكش ليكون طبيبه الخاص، ثم ولاه منصب القضاء بقرطبة.

كثرة الحاقدين

نال ابن رشد مكانة عظيمة في عصره وذلك لعلمه أولاً ثم المناصب التي تقلدها وقربه من الخليفة أبي يعقوب يوسف، واستمرت مكانة ابن رشد المميزة بل أنها زادت عقب وفاة الخليفة أبو يعقوب يوسف وتولي ابنه أبو يوسف المنصور الحكم، فقربه الأمير منه ورفعه وميزه، وكما زادت مكانة ابن رشد زاد الحاقدين والخصوم من الفقهاء الذين

كانوا ناقمين على الفلاسفة والعلماء يريدون الإطاحة بهم وإبعادهم وذلك لكي يستعيدوا المكانة التي كانوا يحظوا بها أيام حكم المرابطين.

وقد ظل حقد هؤلاء يسعى وراء ابن رشد حتى نجحوا في الكيد له عند الأمير، واتيحت لهم الفرصة عندما حضر الخليفة المنصور إلى بلاد الأندلس لمحاربة جيوش ألفونس ملك الأسبان عام 591هـ ، وعندما وصل الأمير عقب انتصاره أمر باعتقال ابن رشد ونفاه إلى أليسانة وهي قرية كانت لليهود واحرق كتبه، وأصدر قراراً للمسلمين بمنع قراءة كتب الفلسفة أو التفكير في الاهتمام بها وهدد بمعاقبة من يخالف أمره.

وبعد أن نفي ابن رشد لفترة أصدر الخليفة قراره باستدعاء ابن رشد إلى مراكش والعفو عنه عام 595هـ إلا أن ابن رشد لم ينعم بالعفو كثيراً حيث جاءت وفاته في نفس العام، فدفن في مراكش ثم نقلت رفاته بعد ذلك إلى مسقط رأسه بقرطبة.

محنة ابن رشد

تباينت أراء المؤرخون حول الأسباب التي أدت لمحنة ابن رشد بعد المكانة التي حظى بها في عصره، فقد أرجع البعض سبب غضب الأمير عليه إلى تبسطه في الحديث مع الخليفة، وارجع البعض الأخر السبب إلى ميل ابن رشد إلى حاكم قرطبة والذي كان أخاً للمنصور أبي يوسف، وسبب أخر ذكره المؤرخون هو أن أعداء ابن رشد الذين حسدوه لمكانته ورفعته في بلاط الخليفة قد دسوا عليه بعض العبارات التي تشهد بإلحاده، فقيل أنه أنكر بعض ما ورد من القصص عن الأمم التي خلت وجاء ذكرها في القرآن الكريم.

ومما يؤكد الرأي الأخير أن المنصور عاد مرة أخرى فعفا عنه وأحسن إليه، ولو كان السبب في غضب الخليفة إليه يرجع لإلحاد ابن رشد وإنكاره لقصص الأولين التي وردت في القرآن الكريم ما كان عفى عنه الخليفة.

الإرث العلمي

ترك ابن رشد كم هائل من الكتب والمؤلفات والتي تعتبر إرث علمي قيم لمن يأتي من بعده من العلماء، قال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء أنها خمسون كتاباً، وذكر رينان أنها ثمانية وسبعون بين كتاب ورسالة، وضاع جزء كبير من كتب ابن رشد نتيجة للزمن والمحنة التي مر بها ونتج عنها حرق عدد من كتبه وإتلافها.

وتنقسم كتب ابن رشد إلى قسمين الأول يضم شروحاته لأراء فلاسفة اليونان وكتبهم مثل أفلاطون، وجالينوس وأرسطو وبطليموس، أما القسم الثاني فيضم المصنفات المبتكرة في الفلسفة، وكتابه الكليات في الطب والذي أتى منافساً لكتاب القانون لأبن سينا.

نذكر من شروحاته وملخصاته: جوامع سياسة أفلاطون "تلخيص كتاب الجمهورية"، ومن الكتب المشروحة لأرسطو جامع الطبيعيات والإلهيات " لخص قسماً من الحيوان"، وتلخيص عدد من الكتب مثل المنطق، البرهان، السماع الطبيعي، السماء والعالم، العقل والمعقول، الكون والفساد، الآثار العلوية، الخطابة وكتاب الشعر، ما بعد الطبيعة، الأخلاق، النفس، وشرح عدد من الكتب مثل القياس، البرهان، النفس السماء والعالم، السماع الطبيعي، تفسير ما بعد الطبيعة، ومن الكتب المشروحة لإسكندر الفردوسي شرح مقالة في العقل.

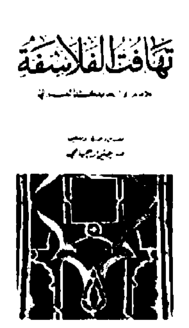
وله العديد من الشروحات، والتلخيصات الأخرى مثل تلخيص كتاب الإلهيات لنيقولاس الدمشقي، تلخيص كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس، تلخيص كتاب القوى الطبيعية وكتاب العلل والأمراض وكتاب الحميات وكتاب المزاج لجالينوس، وتلخيص المقالات الخمس الأولى من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، وتلخيص كتاب الأسطقسات لنفس المؤلف.

مقالة في ما خالف الفارابي لأرسطو في كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود، الفحص عن مسائل وقعت في العلم الإلهي في كتاب الشفاء لابن سينا، الرد على ابن سينا في تقسيمه الموجودات إلى ممكن على الإطلاق وممكن بذاته وإلى واجب بغيره وواجب بذاته، شرح أرجوزة ابن سينا في الطب، مختصر المستصفى للغزالي، شرح رسالة اتصال العقل بالإنسان لابن باجة.

أما كتبه التي ألفها في الفقه وعلم الكلام والمنطق والجدل الفلسفي فهي:فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، شرح عقيدة المهدي، الضروري في المنطق وغيرها الكثير.

تهافت التهافت





كتابي ابن رشد والغزالي

يعد كتاب ابن رشد "تهافت التهافت" هو أحد الكتب الهامة التي وضعها للرد على كتاب أبي حامد الغزالي "تهافت الفلاسفة" فقد وضع الغزالي كتاب "مقاصد الفلاسفة" والذي قام فيه بعرض مذاهب الفلاسفة والرد عليها وبيان تهافتها، ثم قام بتفنيدها في كتابه الأخر "تهافت الفلاسفة" والذي وصف فيه الفلاسفة بالتناقض في الرأي والظن السوء بالله، مظهراً قصورهم عن إثبات الحقائق نفسها بقوة البرهان، كما حاول إبطال ما يدعون وتوضيح ضعف عقيدتهم، وذلك بأسلوب جدلي يستند للدين أحياناً وللفلسفة أحياناً.

وقد رد ابن رشد على كل هذا من خلال كتابه "تهافت التهافت" فوصفه بالقصور والتشويش على الفلاسفة، فقد تحدث ابن رشد في هذا الكتاب عن التوفيق بين الدين والفلسفة وعن الفلسفة الطبيعية والفلسفة الإلهية، وقد استعمل ابن رشد نفس الاسم الذي استعمله الغزالي لكتابه إلا أنه لم يضفه إلى الغزالي فيقول "تهافت الغزالي" كما قال الغزالي "تهافت الفلاسفة" ولكنه اسماه "تهافت التهافت" لأن هذه التسمية قد تعني تناقض الغزالي في جانب من جوانبه.

ابن الهيثم 753-815 هـ / 1350 -1412 م

و العالم العربي محمد بن الحسن بن الحسن بن الهيثم أبو على البصري، عالم بصريات وهندسة له العديد من المؤلفات والمكتشفات العلمية التي أكدها العلم الحديث.

مولده ونشأته

ولد ابن الهيثم في مدينة البصرة في العراق سنة 354 هجرية 965 -ميلادية، في عصر كان يشهد ازدهارا في مختلف العلوم من رياضيات وفلك وطب وغيرها، هناك أنكب على دراسة الهندسة والبصريات وقراءة كتب من سبقوه من علماء اليونان وغيرهم في هذا المجال، كتب عدة رسائل وكتب في تلك العلوم وساهم على وضع القواعد الرئيسية لها.

أشهر أعماله

المناظر (أو علم الضوء) - صورة الكسوف - اختلاف منظر القمر - رؤية الكواكب - التنبيه على ما في الرصد من الغلط - تربيع الدائرة - أصول المساحة - أعمدة المثلثات - المرايا المحرقة بالقطوع - المرايا المحرقة بالدوائر - كيفيات الإظلال - رسالة في الشفق - شرح أصول إقليدس في الهندسة والعدد - الجامع في أصول الحساب - تحليل المسائل الهندسية - تحليل المسائل العددية. ولابن الهيثم أكثر من 80 كتابا ورسالة، عرض فيها لسير الكواكب والقمر والأجرام السماوية وأبعادها.

مؤلفاته

لابن الهيثم الكثير من المؤلفات التي يصل عددها الى ثمانين كتابا ورسالة في مختلف العلوم، ولعل أهم تلك المؤلفات كتاب المناظر الذي وضع فيه نظريته المعروفة التي

أصبحت أساس علم البصريات فيما بعد وتنص على ان العين تتمكن من الرؤية بانبعاث أشعة من الأجسام باتجاهها وهذا ما اثبته العلم الحديث مخالفا بذلك العالم اليوناني بطليموس الذي قال ان العين تخرج أشعة باتجاه الاجسام للتتمكن من رؤيتها.

تأثيره على العلم الحديث

درس إبن الهيثم ظواهر إنكسار الضوء وإنعكاسه بشكل مفصّل ، وخالف الآراء القديمة كنظريات بطليموس ، فنفى ان الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين ، كما أرسى أساسيات علم العدسات وشرّح العين تشريحا كاملا.

وفاته

توفي ابن الهيثم في مدينة القاهرة في مصر سنة 1038 م عن عمر 73 عام..

البيروني شهد له التاريخ بالنبوغ

عالم مميز، ولا تكفي كلمة عالم للتعبير عما يعنيه هذا الرجل فهو موسوعة علمية متكاملة تنوعت مجالات معرفته فهو مؤرخ ، جغرافي، فلكي، رياضي، فيزيائي، ومترجم، يقف العديد من العلماء أمام علمه الغزير موقف الاحترام والتبجيل ويتساوى في هذا العلماء العرب والأوربيين الذي أذهلهم البيروني بأبحاثه العلمية واكتشافاته، والتي تساهم إلى اليوم في خدمة العلماء في مختلف المجالات سواء رياضية أو تاريخية جغرافية أو فلكية.

برز البيروني كأشهر شخصية علمية على مر العصور المختلفة كما برزت مؤلفاته كواحدة من أهم المؤلفات العلمية التي أثرت المكتبات، واعتبرها العلماء إرث من المعرفة تركها لهم البيروني لينهلوا منه العلوم المختلفة.

النشــأة

هو أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي "البيروني"، ويأتي لفظ بيرون من الفارسـية ويعني "ظاهر" أو "خارج"، ولد البيرونـي في 4 سـبتمبر عـام 973م في مدينـة كـاث عاصـمة خوارزم "تقع خوارزم حالياً في أوزبكستان".

عرف عن البيروني منذ الصغر حبه للرياضيات والفلك والجغرافيا وأخذ علومه عن العديد من العلماء المميزين منهم أبي نصر منصور بن علي بن عراق وهو أحد أمراء أسرة بني عراق الحاكمة لخوارزم وكان عالماً مشهوراً في الرياضات والفلك، كما عمـل البيرونـي على دراسة عدد مـن اللغـات حتـى أتقنهـا وكـان مـن هـذه اللغـات الفارسـية والعربيـة والسريانية واليونانية.

رحلته مع العلم

رحل البيروني من خوارزم إلى "الري" نتيجة لحدوث بعض الاضطرابات في خـوارزم وكان هذا في عام 994م، التقى في "الري" بالعالم الفلكـي "الخوجنـدي" حيـث أجـرى معـه بعض الأرصاد والبحوث الفلكية، وبعد ذلك عاد إلى بلاده مرة أخرى حيث واصل عمله وأبحاثه في الأرصاد، سافر مرة أخرى إلى "جرجان" عام 998م حيث التحق ببلاط السلطان قابوس بن وشمكير وكان محباً للعلم والعلماء ويزخر بلاطه بالعديد من العلماء المتميـزين في شتى فروع العلوم والمعرفة، كما كانت لديه مكتبة ثرية بالكثير من الكتب القيمة.

التقى البيروني في هذه الفترة بالعالم الجليل ابن سينا ونـاظره، كمـا اتـصل بالطبيـب الفلكي أبي سهل عيسى بن يحيي المسيحي، حيث تلقى عنه العلـم كمـا شـاركه في بحوثـه العلمية.

كانت الفترة التي قضاها البيروني في بلاط السلطان قابوس بن وشمكير فترة ثرية بالنسبة له حيث درس فيها وقام بعمل الأبحاث العلمية المختلفة كما التقى بالعديد من العلماء المتميزين وكانت واحدة من إنجازاته الهامة هي قيامه بتأليف إحدى مؤلفاته الكبرى وهي "الآثار الباقية من القرون الخالية" وهو كتاب تاريخي يضم التواريخ والتقويم التي كان العرب والروم والهنود واليهود يستخدمونها قبل الإسلام، كما يقوم بتوضيح تواريخ الملوك من عهد آدم حتى وقته، كما يوجد به جداول تفصيلية للأشهر الفارسية والعبرية والرومية والهندية، وتوضيح كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض.

العودة للوطن

مكث البيروني في جرجان فترة من الزمن استطاع أن ينجز فيها العديد من الخطوات العلمية الهامة، كان خلالها موضع دائم للتقدير والاحترام، قامت بعد ذلك ثورة في جرجان قامت بالإطاحة ببلاط السلطان قابوس وذلك في عام 1009م، فقام البيروني بالعودة مرة أخرى إلى وطنه واستقر بمدينة "جرجانية" التي أصبحت عاصمة للدولة الخوارزمية، التحق بعد ذلك بمجلس العلوم الذي أقامه الأمير مأمون بن مأمون أمير خوارزم والذي كان يضم العديد من العلماء المتميزين منهم ابن سينا، وابن مسكويه المؤرخ والفيلسوف.

ومن خلال التحاق البيروني بمجلس العلوم هذا حظي بمنزلة عالية وقدر رفيع عند أمير خوارزم الذي عرف قدر البيروني كعالم جليل فاتخذه مستشاراً له وأحاطه برعايته، وفي خلال هذه الفترة واصل البيروني تحصيله للعلم وإجراء بحوثه الفلكية، حتى كان الاستيلاء على خوارزم من قبل السلطان محمود الغزنوني والذي قام بضمها إلى ملكه

فانتقل البيروني إلى بلاطه ورحل مرة أخرى في عام 1016م إلى غزنة "تقع جنوب كابول بأفغانستان".

ما بين غزنة والهند

استغل البيروني انتقاله بين العديد من الدول في التعرف على المزيد من العلوم وتوسيع دائرة علومه فخلال الفترة التي قضاها بعد ذلك في " غزنة " اشتغل بالفلك وغيره من العلوم، كما أفادته مرافقته للسلطان محمود الغزنوي في فتوحاته في بلاد الهند حيث تعرف على علومها ودرسها كما قام بتعلم اللغة الهندية واتصل بعلمائها، ودرس الطبيعة الجغرافية الخاصة بها، بالإضافة لدراسته للعادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بالبلد، لم يكن البيروني يضيع أي فرصة لاكتساب علوم جديدة فكانت المعرفة تلاحقه في أي مكان يرسو فيه وكان هو لا يسمح بأن يفوته شيء منها.

أثمرت الفترة التي قضاها في الهند عن كتاب آخر انضم للإرث الضخم من الكتب والعلوم التي تركها لنا البيروني وكان هذا الكتاب بعنوان " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" حيث تناول فيه الحضارة الهندية والجغرافيا والتقاليد والديانة وغيرها من العلوم الخاصة بهم، وساعده في ذلك دراسته للغة الهندية.

حظي البيروني بالتقدير والإعجاب من قبل الحكام الغزنويين كافة فبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي والذي كان يحيطه باهتمامه تقديرا لعلمه الغزير، تولى بعده ابنه السلطان مسعود بن محمود الغزنوي والذي ظل أيضاً يبجل البيروني وأحاطه بالعناية والتقدير الذي يستحقه عالم بمكانة البيروني العلمية.

قام البيروني بتأليف موسوعة في علم الفلك قام بتسميتها " القانون المسعودي في الحياة والنجوم" هذا الكتاب الذي يعد موسوعة ضخمة في العلوم وقام بإهدائها إلى السلطان مسعود الغزنوي الذي أعجب بهذا العمل القيم وقام بمكافأة البيروني، ولكن البيروني الذي طالما بذل حياته من أجل خدمة العلم والمعرفة أعتذر عن قبول الهدية وأوضح أنه يخدم العلم من أجل العلم فقط وليس من أجل المال.

المؤلفات

تمكن البيروني من تأليف العديد من الكتب التي عرض فيها أبحاثه واكتشافاته والعديد من النواحي العلمية في مختلف المجالات سواء فلكية أو تاريخية أو رياضية وغيرها من المجالات العلمية، هذه الكتب التي أثرت الساحة العلمية كثيراً ومازالت يرجع إليها كمرجع هام في العديد من الأبحاث العلمية التي يقوم بها العلماء الآن، تبلغ مؤلفاته المائة والعشرين ولقد ترجمت إلى العديد من اللغات منها الإنجليزية، الفرنسية وغيرها من اللغات.

نذكر من هذه الكتب :الرسائل المتفرقة في الهيئة - ويضم إحدى عشر رسالة في العلوم المختلفة.

الجماهر في معرفة الجواهر – يتضمن الكتاب العلوم الخاص بالمعادن.

استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها- وهذا الكتاب صدر في الهندسة، كتاب العمل بالإسطرلاب، كتاب في تحقيق منازل القمر، كتاب المسائل الهندسية، جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة.

تتنوع كتب البيروني في مختلف المجالات وبالإضافة لقيامه بتأليف العديد من الكتب فقد قام أيضاً بمهمة الترجمة لعدد من الكتب وذلك نظراً لإلمامه بعدد من اللغات ، فقام بنقل بعض الكتب من التراث الهندي والتراث اليوناني إلى اللغة العربية منها كتاب أصول إقليدس، وكتاب المجسطي لبطليموس.

التكريم

حصل البيروني على التكريم سواء في فترة حياته أو بعد وفاته من العديد من الهيئات العلمية التي قدرت جهوده العظيمة في مجال العلم، فقامت أكاديمية العلوم السوفيتية في عام 1950م بإصدار مجلد تذكاري عنه بمناسبة مرور ألف سنة على مولده، وفي جمهورية أوزبكستان الإسلامية تم إنشاء جامعة باسم البيروني في العاصمة طشقند، وذلك تقديراً لجهوده العلمية، كما تم إقامة تمثال له يخلد ذكراه في المتحف الجيولوجي بجامعة موسكو، كما تم إطلاق اسمه على بعض معالم القمر من بين 18 عالماً إسلامياً، وذلك تقديراً لجهوده في علم الفلك.

قالوا عن البيروني

قال عنه المستشرق سخاو: "إن البيروني أكبر عقلية في التاريخ"، ويصفه عالم آخر بقوله: "من المستحيل أن يكتمل أي بحث في التاريخ أو الجغرافيا دون الإشادة بأعمال هذا العالم المبدع".

عشق البيروني العلم والمعرفة حتى آخر أنفاسه في هذه الدنيا ففي كتاب "معجم الأدباء" يروي المؤرخ الكبير ياقوت الحموي موقف ما حدث قبل وفاة البيروني بلحظات وهذا الموقف يصفه القاضي علي بن عيسى فيقول " دخلت على أبي الريحان وهو يجود

بنفسه قد حَشْرَج نفسُه، وضاق به صدره، فقال لي وهو في تلك الحال: كيف قلت لي يومًا حساب المجدَّات الفاسدة "من مسائل المواريث" فقلت له إشفاقًا عليه: أفي هـذه الحالـة! قـال لي: يا هذا أودّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرًا من أن أخلّيها وأنا جاهل لها؛ فأعدت ذلك عليه، وحفظه... وخرجت من عنده وأنا في الطريق سمعت الصراخ".

الوفـــــاة

جاءت وفاة البيروني في غزنة وذلك في 12 ديسمبر 1048م، بعـد أن كـرث حياتـه لخدمة العلم، فيتذكره العلماء الآن من خلال تاريخه العلمي الحافل والمؤلفات العلمية التي يرجعون إليها كمادة هامة في الأبحاث المختلفة.

إسحاق نيوتن(1727 -1642)

ولد السير إسحاق نيوتن(1642- 1727) يوم عيد الميلاد بعد وفاة والـده بثلاثـة أشهروقد سمي باسم والده الذي كان معاوناً زراعياً للسيد حنا أيكسوف في وولشـورب في مقاطعة لنكن شر ومع أن المولود كان هزيلاً عليل الصحة إلا أنه نجح في أن يظل على قيد الحياة(بعد مشيئة الله (وأن ينشأ قوياً أن لم يتمتـع قـط بـصحة ممتازة ولم يعـش إسـحاق طفولة سعيدة لأن والدته تزوجت قبل أن يبلغ السنتين من عمره من قـس بروتـسي ثـري يدعى بر نابا سميث فتركت إسحاق في رعاية جدته وانتقلت إلى القرية المجـاورة الـتي كـان يعيش فيها زوجها لكي تساعده في تربية أطفاله الثلاثة وهكذا ظل إسـحاق منفـصلاً عـن والدته قرابة تسع سنوات إلى أن توفي زوج أمه عام 1653وقد أثر غيابهـا علـى الأرجـح تأثيراً حاداً في نشأة إسحاق وفي شخصيته بل ولا شك أنه كون موقفـه مـن النـساء عامـة لذلك لم يكن له معهن شأن يذكر في حياته كلها ولم يتزوج أبداً وفيما عدا قصة حب عابرة

في شبابه كان اهتمامه منصباً بكليته على عمله وإلى مدى أقل على منتقديه إذ (إن الشعور الحاد بعدم الأمان الذي جعل القلق يسيطر عليه لدى نشره أعماله والعنف اللامعقول الذي كان يدافع به عنها لازماه طيلة حياته كلها بل ويمكن تتبع آثارهما حتى سنواته الأولى وليس في طفولة نيوتن المبكرة ما يدل دلالة واضحة على قدراته العقلية فقد كان طفلاً محباً للاستطلاع وتلميذاً متوسطاً في المدرسة الثانوية في غرانتام وكان ينفق من الوقت في أحلام اليقظة في قاعة الدرس أكثر مما كان بفضل البقاء وحيداً مع نفسه أكثر من مصاحبة الآخرين ونادراً ما كان يمارس الألعاب الرياضية مع الأولاد الآخرينإذ كان مزاجياً متوتر الأعصاب جداً ولكنه كان يخلد إلى تفحص أفكاره وقد أظهر فعلاً بعض البراعة الميكانيكية (فصنع أدوات آلية من تصميمه مثل طائرة ورقية و مزولة وساعة مائية و هلم جرا (وبعد موت زوج أمه دعته والدته ليدير الملكية الكبيرة التي آلت إليها فلم تدوم هذه المهمة طويلاً إذ أثبت نيوتن عند إدارته لهذه المزرعة أنه لا يصلح لذلك إطلاقاً وأنه غير قادر على التلاؤم مع العمال المزارعين فضلاً عن اهتمامه بالأمور الزراعية كان ضعيفاً وكان من محاسن الصدف أن خاله أقنع والدته بضرورة إعادة نيوتن إلى المدرسة في غرانتام لكي يدرس فيها اللاتينية والحساب ويهيئ نفسه لصعوبات التعليم الجامعي وكانت نتائج أعمال نيوتن في مواضيع دراسته كافية لقبوله في كلية ترينيتي في كامبردج حيث حصل على شهادة القبول في عام 1661 أي عند بلغ الثامنة عشر من عمره وكانت جامعة كمبردج في ذلك الوقت مثل غيرها من الجامعات لا تزال غارقة في تعاليم أرسطو ومذهبه على الرغم من أن انتساب نيوتن أليها جاء بعد أن كان كوبرنيق و كبلر وغاليليه قد أسهموا إسهاماً عظيماً في العلم الحديث لذلك قلما كان يدور النقاش عن نظام كوبرنيق القائل بمركزية الشمس أو عن ميكانيكا غاليله وكان على نيوتن وزملائه في

الدراسة أن يتلوا بدلاً من ذلك دروساً عن أعمال أرسطو وأفلاطون وعن النظرة الشائعة آنذاك وهي أن الأرض مركز الكون على الرغم من تزايد اتضاح عدم واقعيتها غير أن نيوتن كان قد اجتذبته أعمال فلاسفة الفيزياء من أمثال رينيه ديكارت الذي (كان قد بدأ بصياغة مفهوم جديد عن الطبيعة يصورها شيئاً معقداً غير شخصي وآلة عاطلة) بل إن تأثير ديكارت في نيوتن كان هائلاً لأن ديكارت بخلاف أرسطو (كان ينظر إلى الواقع الفيزيائي على أنه ليس سوى جسيمات مادية متحركة باستمرار ويعتقد بأن جميع الظواهر الطبيعية تنشأ عن تأثير هذه الجسيمات بعضاً في بعض تأثيراً آلياً.

هذا فضلاً عن أن نيوتن وقع تحت تأثير الرياضي إسحاق بارو الذي كان أول من تعرف ألمعية نيوتن وشجعه على اهتمامه بالرياضيات كما لفت انتباهه إلى دراسة البصريات فعمل نيوتن في سنتيه الأخيرتين في كمبردج على تقوية مهاراته الرياضية وظل يتابع في الوقت نفسه دراسة أعمال علماء النهضة وفلاسفتها كما بدأ أيضاً بصياغة مفاهيمه التي غدت فيما بعد أسس إسهاماته المنقطعة النظير في العلم غير أن الجهود الكبيرة التي بذلها في دراسته الخاصة جعلت دراسته الأكاديمية المطالب بها غير متميزة لذلك عندما نال نيوتن شهادة البكالوريوس في نيسان / أبريل عام 1665 مرت أعظم موهبة في تاريخ الجامعة التعليمي بدون أن يأبه لها أحد لأن نيوتن (كان قد بحث في الفلسفة الجديدة والرياضيات الحديثة حتى لكأنه صانعه في حين قصر تقدمه في دراسات على مذكرته الجامعية وفي عام 1665.

تفشى وباء الطاعون في لندن مما دفع نيوتن إلى مغادرته كمبردج والعودة إلى بيته في وولثورب حيث قضى العامين التاليين متأملاً الأفكار التي بدأ اهتمامه بها حين كان في الجامعة عن المكان والزمان و الحركة (ومن المسلم به أنه كان حين عودته إلى كمبردج عام

1667 قد أرسى نهائياً أسس أعماله في المجلات الكبيرة الثلاثة التي اقترن بها اسمه إلى الأبد وهي حساب التفاضل والتكامل وطبيعة الضوء الأبيض والتثاقل (حقل الثقالة) الكوني وما يترتب عليه من أمور كما اكتشف أيضاً نظرية ذات الحدين (ألحدا نية)بل إنه (أثناء هذه المدة نفسها كان قد تفحص عناصر الحركة الدائرية واستنبط من تطبيق تحليله على القمر و الكواكب علاقة التربيع العكسي التي تقول إن القوة المركزية (الموجهة وفق نصف القطر المتجهي(التي تؤثر في الكوكب تتناقص متناسبة عكساً مع بعده عن الشمس أي تلك العلاقة التي غدت بعد ذلك قانوناً حاسماً للتثاقل الكوني.

ففي هذين العامين الرائعين اللذين قضاهما نيوتن في وولثورب وأوصل أعمال غاليله وكبلر إلى استنتاجاتهما المنطقية وصاغ القوانين الفيزيائية اللازمة لتفسير ديناميكية كون ميكانيكي فطغت إنجازاته العلمية على علم القرنين التاليين وعلى فلسفتهما حتى ليصعب على المرء أن يفهم كيف أمكن لشاب ناشئ في سنه أن ينجز هذه الأعمال الفذة في مدة قصيرة كهذه بيد أن مفتاح الإجابة عن ذلك كامن في أن ألمعية نيوتن تقوم على قدرته التي لا تجارى على التركيز.

كانت موهبته التي تميز بها هي قدرته على إبقاء المشكلة الفعلية المحضة حية في ذهنه إلى أن تتضح له حقيقتها بلا لبس أو غموض ويخيل لي أن تفوقه يرجع إلى أن قوى الحدس و البصيرة لديه لم يوهب بمثل شدتها وجلدها إنسان على الإطلاق فكل من فكر يوماً ما تفكيراً علمياً محضاً أو فلسفياً يعرف كيف يمكن للمرء أن يبقى مشكلة ما في ذهنه لحظة من الزمن وكيف يستجمع كل قوى التركيز لديه لكي ينفذ إلى حقيقتها وكيف أن هذه المشكلة ستتلاشى وتفلت وسيجد أن ما هو بصدد تقديره مجرد هباء وإني لأعتقد أن نيوتن كان قادراً على إبقاء مشكلة ما في ذهنه ساعات بل أياماً وأسابيع إلى أن تسلم له

سرها المكنون وأنه كان باستطاعته عندئذ وهو الذي كان يتقن الرياضيات إتقاناً فائقاً أن يعطيها مظهرها المنطقي اللائق بها قدر ما يشاء لكي تصبح صالحة للعرض غير أن تفوقه الحقيقي الخارق كان في حدسه وبصيرته إذ يقول دي مورغان (كان موفقاً جداً في تخميناته) (حتى لقد كان يبدو أنه يعرف أكثر مما يمكن أن يكون قادراً على توفير وسائل برهانه.

كانت نظرية نيوتن في الثقالة تعتمد على نظريته القائلة (أن معدل سرعة السقوط تتناسب مع شدة قوة التثاقل وأن هذه القوة تتناقص تبعاً لمربع المسافة عن مركز الأرض) إذ قادته مشاهدته سقوط تفاحة من شجرة على الأرض عند إقامته في وولثورب إلى إن يستنتج أن الأرض تجذب التفاحة باستمرار حتى حين تكون على الأرض وهذه الفكرة بأن الأرض تجذب الأشياء القريبة من سطحها لم تكن جديدة إلا أن نيوتن كان أول من قال بأن هذه القوة التي تسبب سقوط التفاحة على الأرض هي نفسها القوة التي تبقي القمر في مداره حول الأرض وتبقي الأرض في مدارها حول الشمس ولكن ما أوضحه قانون التربيع العكسي رياضياً هو كيف أن قوى التجاذب بين جسمين تتوقف على كتلتيهما وعلى المسافة بينهما كما بين هذا القانون أيضاً النتيجة التي توصل ليها نيوتن وهي أن قوة التثاقل ارضي لا تتميز بأي شيء خاص بها وإنما يمكن أن نجدها ناشئة عن جميع الأجسام في العلم ولم يكتف نيوتن بأن وحد ميكانيك كبلر وغاليليو وأكمله بل بين أيضاً أن حركات العالم الديناميكية أن توصف بعلاقات رياضية أساسية تصلح في أي مكان في هذا الكون حتى لقد أعطت فائدة الرياضيات المؤكدة هذه الفلسفة الطبيعية (كما كانت تسمى الفيزياء آنذاك) أساساً نظرية قائماً بذاته لم يكن لها مثل من قبل قط وكان ثاني إنجازات نيوتن العظيمة تجاربه في ضوء والنظرية الجسيمية التي كونها عنه.

فحين كان في وولثورب قام بتجارب على الموشور ولاحظ أنه عندما يمر شعاع ضوئي عبر موشور (كان ينكسر ولكنه يتجزأ إلى أجزاء تنكسر بانحرافات مختلفة وأن الحزمة التي تسقط على الحاجز ليست مجرد بقعة متسعة من الضوء وإنما هي شريط ذو ألوان متتابعة مرتبة بحسب ترتيب ألوان قوس قزح المألوفة الأحمر فالبرتقالي ثم الأصفر فالأخضر فالأزرق ثم البنفسجي .

وحين كان يمر الضوء عبر موشور ثانٍ (مقلوب بالنسبة للأول) كانت الألوان تعود فتتحدد لتكون حزمة بيضاء فساقته هذه التجارب إلى استنتاج أن الضوء الأبيض يتكون من جميع ألوان القوس قزح وأرشده ثبات المركبات اللونية الظاهري للضوء وإنما للضوء الأبيض إلى تكوين نظرية جسيميه للضوء عبر إذ (اعتقد أن الأشعة الأفرادية (وهي برأيه جسيمات من قدر معين (تثير عندما تسقط على شبكة العين احساسات بألوان إفرادية) ومع أن زملائه قبلوا بعد ذلك بوجه عام نظريته أن الضوء يتألف من جسيمات غاية في الصغر إلا أن عدد من المعارضين مثل كريستان هو ينغر كانوا يحاجون بأن الضوء يتألف من أمواج غير أن نيوتن كان يرد على ذلك بأن الضوء لو كان تموجياً لكان يجب أن ينعطف (يتعرج) عند الظلال على نحو ما ينعطف الصوت حول الحواف ويصبح مسموعاً وكان نيوتن على حق في فكرته هذه.

ولم يمض سوى سنوات حتى أثبتت تجارب أكثر دقة بأن الضوء ينعطف فعلاً وأنه لذلك يملك خواص تموجية ولكن النظرية الجسيمية أعيدت لها الحياة مع ذلك بمعنى ما في بداية القرن العشرين حين اقترح ألبرت أينشتاين أن الضوء يتألف من جسيمات منفصلة تدعى اليوم (فوتونات) وعلى كل حال فإن الحوار في هذا قد لا ينتهي أبداً إلى نتيجة حاسمة لأن الضوء يظهر كلا الطبيعيتين الجسيمية والتموجة .

وليام مورتون ، الرجل الذي خدر العالم

"وليام مورتون" أنه عالم أراح العالم من ألم العمليات والجراحات وكان سبباً في انطلاق الأطباء في تنفيذ عملياتهم بحرية، وأتاح للمرضى إجراء العمليات دون تحمل عبء المعاناة والألم الذي ينتظرهم أثناء إجراء العملية، وبالتالي ارتبط اسم مورتون مع اسم أعظم اكتشاف أفاد البشرية ألا وهو "التخدير".

النشـــأة

وليام توماس جرين مورتون طبيب أسنان أمريكي ولد في التاسع من أغسطس 1819 بتشارلتون بولاية ماساشوستش الأمريكية، والداه هما جيمس وريبيكا مورتون كان والده يعمل مزارعاً، درس وليام جراحة الأسنان ومارسها، وكان هوراس ويلز أحد الأساتذة الذين تعلم منهم مورتون بهارتفورد - كونيكتيكت ثم أصبح الاثنان شركاء في الاهتمام بالتخدير.

تخرج مورتون من كلية بالتيمور لطب الأسنان عام 1842، وبعد تخرجه بعام تزوج من إليزابيث وايتمان، وفي عام 1844 تابع دراسته على يد الدكتور تشارلز جاكسون، بمدرسة هارفارد للطب، ومنح درجة الطب الفخرية عام 1852 من جامعة واشنطن ببالتيمور.

البحث عن حل

أجتهد العلماء قديماً في البحث عن حل لتسكين الآلام الحادة التي يعاني منها المريض الذي تضطره الظروف للخضوع لإجراء العمليات الجراحية، فأسفرت بعض الأبحاث عن استخدام بعض الأعشاب التي تقلل من الإحساس بالألم مثل الأفيون،

والقنب وغيرها ولكنها لم تقضي على الألم نهائياً نظراً لاستخدامها بتركيزات قليلة لأن الكثير منها يفضي إلى الموت، ثم جاءت المشروبات الكحولية كوسيلة لتخفيف الألم ولكن المريض ما يلبث أن يشعر بالألم ويسترد وعيه، كما حاول البعض إفقاد المريض لوعيه حتى يتم الانتهاء من العملية، وأيضاً استخدام التنويم المغناطيسي، وقام الصينيون باستخدام الإبر للتحكم في الألم، وغيرها الكثير من الوسائل التي لم تحقق الكثير من النجاح وكان لكي يتم إجراء عملية لمريض يجب تقييده جيداً على منضدة العمليات حتى يتم الانتهاء من العملية، وكان الكثير من العمليات ينتهي بوفاة المريض.

السحر الذي منع الألم

بدأ التخدير يأخذ شكل أخر بداية من أواخر القرن الثامن عشر، فاكتشف الكيميائي بريستلي غاز أكسيد النيتروز والذي له تأثير مخفف للألم، كما اكتشف مايكل فارادي أن استنشاق غاز الأثير له تأثير يسبب فقدان الإحساس بالألم.

وتوصل د. هوارس ويلز إلى استخدام "الغاز المضحك" أو أكسيد النيتروز كوسيلة للتخدير أثناء إجراء جراحات الأسنان، ولكن لم يكتب لويلز النجاح في عرض تجاربه أمام الأطباء.

جاء دور مورتون بعد ذلك والذي توصل إلى أن "الغاز المضحك" ليس وسيلة فعالة في تخفيف آلام المرضى أثناء إجراء العمليات الجراحية، فلجأ إلى استخدام "الأثير" والذي عرف عنه أن له خواص خافضة للألم ومفقدة للإحساس.

أنكب مورتون على تجاربه على الأثير كمخدر، وكانت البداية عندما جربه على كلبه، ووجد أنه بعد التخدير يعود إلى وعيه بعد فترة قصيرة أو طويلة تبعاً لمقدار جرعة

الأثير المعطاة، ثم جربه مرة أخرى على نفسه في خلـع أسـنانه، وكانـت أول تجربـة فعليـة طبقها على حالة مرضية في 30 سبتمبر 1846 عندما استخدمه في إجراء إحدى الجراحات في أسنان مريض له أبدى استعداده لتحمل أي شيء من أجل التخلص من الألم، وبالفعل استخدم مورتون "الأثير" في تخدير المريض وعندما أفاق من التخدير قال لمورتون إنه لم يشعر بأي ألم أثناء الجراحة، وكان هذا إيذاناً بفتح باب جديد في الطب مـن أجـل القـضاء علـى الألم أثناء إجراء العمليات الجراحية.

كثير من الإحباط

توالت العمليات الجراحية التي قام بها مورتون بعد ذلك، وتم نشر هذا الاكتشاف في الصحف إلا أنه دار الخلاف بين الأطباء حول لمـن يرجـع الفـضل في اكتـشاف الأثـير واستخدامه كمخدر في العمليات الجراحيـة، فبعـد نجـاح مورتـون تقـدم أسـتاذه تـشارلز جاكسون وادعى انه هو الذي اقترح عليه استخدام الأثير كمخدر، ويقال أنه قبل اكتشاف مورتون هذا كان احد الأطباء يدعى كروفورد لونج قد استخدمه في التخدير ولم يعلن عن تجربته، ولم يظهر إلا بعد أن أعلن مورتون عن اكتشافه، ولم يتمكن مورتـون مـن تـسجيل اكتشافه للمخدر ولكنه سجل جهاز التخدير.

وعلى الرغم من استخدام "الإثير" كمخدر في الكثير من العمليات، ولكن تم تجاهـل مكتشفه مورتون الأمر الذي أصابه باليأس وتوفي فقيراً.

الوفـــــــاة

توفى مورتون في الخامس عشر من يوليو 1868 في حوالي الخمسين من عمره، بعد أن قدم للعالم خدمة عظيمة باكتشافه التخدير، وأراح المرضى من ويلات الألم الـذي كـان

من الممكن أن يعانوه لولا هذا الاكتشاف المميز، وقد فتح مورتون الباب لمزيد من الاكتشافات في مجال التخدير بعد ذلك.

تكريماً لمورتون وجهوده تم تشييد تمثال له بالقرب من مقبرته في بوسطن وقد نقش عليها العبارات التالية " وليام مورتون مخترع ومكتشف التخدير عن طريق التنفس، مما أدى إلى تخفيف الألم عند إجراء العمليات الجراحية، وكانت الجراحة قبله عذاباً ولكن بعده أصبح العلم قادراً على التحكم في الألم وعلى القضاء عليه".

داروين أقام العالم وأقعده بنظريته

تشارلز روبرت داروين شخصية علمية وصاحب "نظرية التطور" هذه النظرية التي استحوذت على تفكير العديد من العلماء والمفكرين، وقد استخلص داروين هذه النظرية بناء على تعمق شديد في دراسة التاريخ الطبيعي لكل من الإنسان والحيوان والنبات، وعلى الرغم من ذيوع صيت نظريات داروين الخاصة بالنشوء والارتقاء إلا أنها واجهت الكثير من الجدل فكانت دائماً محل نقاش سواء من الناحية العلمية أو الناحية الدينية، فخضعت دائماً للمعارضين والمؤيدين من رجال الدين والعلماء.

النشأة

ولد تشارلز داروين في الثاني عشر من فبراير عام 1809م بـ شرو سبوري بإنجلترا لعائلة علمية، والده هو الدكتور روبرت وارنج داروين، وكان جده "ارازموس داروين" عالماً ومؤلفاً بدوره، وضع كتاب " قوانين الحياة الحيوانية" هذا الكتاب الذي وضع الأساس في نظرية التطور.

كان داروين منذ طفولته منصرفاً إلى عالم الطبيعة متأملاً له جامعاً لنماذج الحشرات والنباتات، وفي سن السادسة عشر أنتقل داروين إلى أدنبرة لدراسة الطب هذه الدراسة التي لم يحبها حينها، ولم يمكث بها سوى عامين، وعلى الرغم من عدم حبه لدراسة الطب إلا انه أظهر ندم بعد ذلك على عدم إكماله لها وذلك نظراً لما كانت ستوفره له من معرفة بعلم التشريح.

بعد أن ترك داروين دراسة الطب رأى والده أن يلحقه بدراسة اللاهوت وذلك لكي يصبح رجلاً من رجال الكنيسة، ولكن لا تسير الأمور دائماً كما يخطط لها الإنسان فبدلاً من أن يصبح داروين أحد رجال الكنيسة المخلصين، جاءت نظريته عن خلق الكائنات وتطورها لتقلب رجال الدين ضده كما تقلب نظريات اللاهوت نفسها، ويتم اتهامه بالكفر والإلحاد.

داروين يتجه للطبيعة

أنتقل داروين إلى كامبريدج في أوائل عام 1828م ، وقضى في هذه المدينة ثلاث سنوات، وعمل على الإطلاع وتثقيف نفسه في العلوم الخاصة بالطبيعة، وتخرج من جامعة كامبريدج حاملاً درجته العلمية عام 1831م.

عمل داروين على دعم حبه للعلوم الطبيعية من خلال الإطلاع وخوض تجارب عديدة، فعمد إلى قراءة أخبار همبولت هذا الفليسوف والرحالة والذي قام بالعديد من الأبحاث الخاصة بعالم البحار بما فيه من نباتات وحيوانات، كما أضاف له الكثير صداقته لأستاذ متخصص في علم النباتات يدعى "هنسلو"، إلى جانب انضمامه لنادي الذواقين حيث كان يقوم أعضاء هذا النادي بإجراء التجارب على كل من النباتات والحيوانات من أجل ابتكار وصفات جديدة لطهي الطعام غير ما هو متعارف عليه.

كان داروين متأملاً لحياة الكائنات من الحيوانات والنباتات، يسعى دائماً لاكتشاف المزيد فكان يقوم بجمع أنواع مختلفة من الحشرات، شغوفاً بمعرفة المزيد عن عالم الطبيعة وما تحويه من أسرار.

هيئت لداروين فرصة متميزة يتمكن من خلالها من إجراء البحوث وجمع المعلومات المختلفة عن الطبيعة وتطور الكائنات، وذلك حينما قام أستاذ النباتات " هنسلو" بترشيح داروين لأحد أساتذة الفلك بجامعة كامبريدج وذلك لمرافقة بعثة علمية إلى " أرض النار" والأرخبيل الهندي، وجاء ترشيح هنسلو لداروين بناء على إلمام داروين وولعه بدراسة التاريخ الطبيعي.

وجاء في رسالة هنسلو إلى داروين ما يلي " إنني لم أخترك لأنني أعتبرك عالماً طبيعياً بلغ منتهى الكمال، ولكني أعرف أنك تستطيع أن تستغل هوايتك أحسن استغلال في جمع النماذج وملاحظة الأشياء وتدوين الملاحظات بدقة وعناية، ولاشك أنك ستسجل كل ما يستحق أن يسجل بالقياس للتاريخ الطبيعي".

رحلته لأرض النار

استغرقت البعثة العلمية التي صحبها داروين لأرض النار خمس سنوات وذلك على متن السفينة "بيجل" في الفترة ما بين 1831- 1836م، استثمرها داروين في إجراء الأبحاث وتدوين المعلومات والنتائج التي يصل إليها، وكان أعضاء البعثة مكلفين بدراسة أجواء وتضاريس ارض بتاجونيا وأرض النار وشيلي وبيرو وعدد من جزر المحيط الهادي، بينما أختص داروين بدراسة النباتات والحيوانات في هذه المناطق، وبدأت المعلومات تتجمع في عقلية داروين شيئاً فشيئاً عن أصل الكائنات وتطورها، وهو الأمر الذي ساعده بعد ذلك على وضع نظريته الخاصة بالتطور.

وأثناء الرحلة عمل داروين على تحليل الأتربة التي حملها الهواء وكون من خلال النتائج فكرة عن أنواع الحيوانات والنباتات الموجودة بالمنطقة، كما عمل على دراسة حفريات الحيوانات بسهول " البمباس" وسعى لمحاولة التعرف على الفروق البسيطة بين الحيوانات من الأنواع المتقاربة، الأمر الذي وجه نظره نحو فكرة التغير التدريجي للأنواع، وكانت جميع التجارب والأبحاث التي قام بها داروين والنتائج التي توصل إليها والملاحظات التي سجلها خلال رحلته عامل أساسي في تكوين نظريته في النهاية.

عاد داروين من رحلته عام 1836م حاملاً معه ما قام بجمعه من أبحاث وملاحظات عمل على جمعها على مدار خمس سنوات، واستقر بعد ذلك في لندن ثم انتقل منها إلى كامبريدج فعمل على تجميع أبحاثه وترتيبها بالإضافة للمجموعات النباتية والحيوانية التي جمعها، وعمد إلى تأليف كتابه "رحلة إلى عالم طبيعي" عام 1839م .

نظرية "أصل الأنواع"

تولدت نظرية أصل الأنواع في فكر داروين بعد سلسلة الأبحاث والظواهر والمشاهدات التي سجلها على مدار سنوات عديدة، وقام بالربط بينها ليتضح من خلالها التسلسل التدريجي والعلاقات المختلفة بين أنواع الكائنات، ظهر كتاب "أصل الأنواع" عام 1859م ، وذلك في محاولة لإظهار فكرة الأصل المشترك للكائنات وتفسير التنوع الموجود بالطبيعة.

قال داروين لأحد أصدقائه "لقد ملأت كراسات بعد كراسات بالملاحظات ودهشت للظواهر التي كانت تتجمع من تلقاء نفسها بوضوح بحيث يسهل وصفها تحت قوانين ثانوية".

وأثارت هذه النظرية ردود فعل غاضبة ومعارضة حيث جاءت نظريته معارضة مع نظرية الخلق في الكتب الدينية فثارت عليه الكنيسة، ولاقت آراؤه معارضة في الفكر الإسلامي حيث جاءت أفكاره معارضة للعقائد السماوية والتي يأتي بها أن الله سبحانه وتعالي هو الخالق لجميع الكائنات الحية المختلفة وان لكل نوع استقلاله عن غيره.

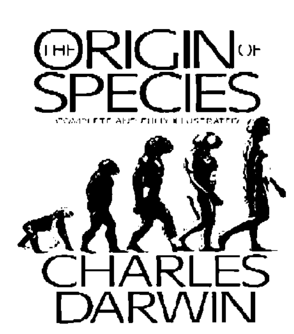
قوبلت أراء داروين في أصول الكائنات وتطورها بهجوم شديد من قبل رجال الدين وعدد من العلماء، فقد تم اتهامه بالكفر والإلحاد وذلك لما جاء في نظريته من أن الوجود نشأ بدون خالق - تعالى الله عز وجل - وان الإنسان جاء تطوره من القرود، وان جميع المخلوقات نشأت من خلية واحدة انقسمت لعدد من الخلايا وتطورت نتيجة لعدد من العوامل البيئية والمناخية، وبدأت تتطور وتتعدد خلاياها حتى تكونت النباتات والحشرات والحيوانات والإنسان فتطورت الكائنات وتنوعت حتى أصبحت في شكلها الحالي.

ومما جاء به داروين في نظريته أن غالبية البشر بالعالم هم من أصل القرود ومروا بمراحل من التطور، وأنهم يتسلسلون بحسب قربهم لأصلهم الحيواني فيتدرجون في ست عشرة مرتبة، ويأتي الزنوج، ثم الهنود، ثم الماويون ثم العرب في أسفل السلسلة، والآريون في المرتبة العاشرة، بينما يمثل الأوربيون (البيض) أعلى المراتب في السلسلة وهي الخامسة عشرة والسادسة عشرة، وأن هناك حلقة مفقودة بين كل من القرد والإنسان.

وان الأجناس في أعلى السلسلة السابقة يكون لديهم القدرة على السيطرة والتسخير للأجناس الأقل في الترتيب في السلسلة، وكلما كان الفارق بينهما في الترتيب كبيراً كلما زادت السيطرة، وطبقاً لذلك يكون الأوربيون هم أقدر على السيطرة على الزنوج أكثر من قدرتهم على السيطرة على من هم موازيين لهم في السلسلة، وأن بعض الشعوب لديها القدرة على الاستعباد وفرض السيطرة بينما تكون الفئة الأخرى قابلة للاستعباد والسيطرة عليها.

وقد أغفل داروين خلال نظريته أن جميع البشر جاءوا من أصل واحد وهو ادم وحواء، وان الله سبحانه وتعالي خلقهم من طين، وان الله هو الخالق المصور لجميع الكائنات على وجه الأرض، وخالق الكون.

مؤلفاته وأبحاثه



ظهرت العديد من الأبحاث والمؤلفات لداروين في علوم النبات والحيوان والجيولوجيا نذكر من هذه المؤلفات أصل الأنواع، سلالة الإنسان، الشعب المرجانية 1842م، رحلة عالم طبيعي 1854م، وصف حياة المحار، النباتات آكلة لحوم البشر، وملاحظات عن حركة وعادات النباتات المتسلقة، دراسته للإخصاب بالطريق المباشر وبطريق التهجين، قدرة النباتات على الحركة.

توفى داروين في التاسع عشر من إبريل عام 1882م ، وذلك بعد أن أثار العالم بنظرياته والتي واجهت المعارضة والرفض من قبل الكثيرين، وظلت حتى اليوم محلاً للمجادلة والنقاش.

أديسون مخترع أنار العالم

أصبح الإنسان في العصر الحديث يتمتع بالكثير من الرفاهية، فما كان صعباً عليه فيما سبق أصبح يؤديه بمنتهى السهولة الآن، ويرجع الفضل في ذلك للعديد من العلماء والمخترعين، والمستكشفين الذين جعلوا حياتنا اليومية أكثر سهولة، فإذا دخل الإنسان غرفته المظلمة وأراد إنارتها، ما عليه سوى أن يضغط زر صغير لتضيء الغرفة بأكملها، فهل

فكر في كل مرة يفعل فيها هذا من الذي يرجع له الفضل في اختراع المصباح؟ لا أعتقد، في حين انه إذا سئل سوف يجيب فوراً "توماس أديسون".

نعم إنه توماس أديسون هذا العالم العبقري الذي على الرغم من الصعوبات التي واجهها في مقتبل حياته، وعلى الرغم من المعاناة التي تعرض لها واتهامه بالغباء من قبل معلميه، إلا أنه استطاع أن يقدم للبشرية اختراعات هائلة لم يستطع هؤلاء المعلمين أن يقدموا مثلها أو حتى اقل منها، وإليه يرجع الفضل في اختراع الكثير من مبتكرات القرن العشرين.

النشأة والبداية

توماس ألفا أديسون ولد في الحادي عشر من فبراير عام 1847م، بمدينة ميلانو بولاية أوهايو الأمريكية، كانت والدته تعمل كمدرسة تهتم بالقراءة والأدب، التحق أديسون بالمدرسة الابتدائية وذلك من أجل أن يتلقى تعليمه الأساسي، ولكن لم ينجح كثيراً في دراسته نظراً لضعف ذاكرته، وتشتت ذهنه، فكان دائماً ما يثير تساؤلات بعيدة عن الموضوع الذي يدرسه، مما جعل المدرسين يستاءوا منه ويحكموا عليه بأنه طالب فاشل لا فائدة من تلقيه العلم، كما قال عنه الأطباء إنه مصاب بمرض ما نظراً لحجم رأسه الكبير الغريب الشكل.

وراء كل عظيم امرأة

تصيب هذه المقولة في الكثير من الأحيان، وفي حالة أديسون تأكدت هذه المقولة، فقد كانت والدته هي عامل الدعم الأساسي في حياته، والتي أعانته كثيراً فقامت بتعليمه في المنزل، ووفرت له مكتبة ضخمة لكي يتمكن من مطالعة الكتب المختلفة لتقوى ثقافته

والنواحي العلمية لديه، وبالفعل كرس أديسون كامل اهتمامه على هذه المكتبة يطالع كتبها بشغف وهمه، فما إن وصل إلى سن الثانية عشر حتى كان قد اطلع على العديد من الكتب الهامة في مجال الكيمياء وغيرها من المجالات العلمية، والفيزيائية، كما قام بالبحث في الأسس الفيزيائية وعمل على تفنيد نظريات نيوتن، والبحث والتحليل وإجراء التجارب بنفسه ليستكشف المزيد ويخترق العلوم، ليحصل على النتائج المختلفة.

ومما قاله عن والدته هذه السيدة العظيمة التي مثلت أهمية خاصة في حياته " إن أمي هي التي صنعتني ...لأنها كانت تحترمني وتثق في .... أشعرتني أنى أهم شخص في الوجود.... فأصبح وجودي ضروريا من أجلها وعاهدت نفسي ألا أخذلها كما لم تخذلني قط".

مشواره العملي

بدأ أديسون يعاني من مشاكل في السمع، فبدأ يفقد حاسة السمع وعلى الرغم من ذلك ظل هذا الشخص المجتهد الذي دائماً يحاول أن يبحث ويستكشف ويبحر في التجارب لاستخلاص النتائج منها، نزل أديسون للعمل في إحدى محطات القطار وذلك لجلب المال اللازم لإجراء تجاربه، فعمل على بيع المجلات والجرائد لركاب القطارات.

وأثناء عمله في محطة القطار تفجرت الحرب الأهلية في بلاده، فعمل على تجميع الأخبار الخاصة بالحرب من مقر التلغراف، ونسقها وطبعها في شكل كتيب بسيط يضم أهم أخبار الحرب وباعها للمسافرين في محطة القطار.

كان دائماً ما يلفت نظر أديسون الآلات التي تعمل حوله مثل القطارات وآلات الطباعة محاولاً استيعاب طريقة عملها، فأقبل على الكتب العلمية المختلفة ليستقي منها المعرفة وتتفتح مداركه على المزيد من العلوم.

عمل بعد ذلك أديسون كموظف لإرسال البرقيات في محطة السكة الحديد، وهو الأمر الذي نفعه بعد ذلك في تطوير آلة التلغراف.

تجارب واختراعات

استمر أديسون في دراساته وقراءته التي اجتهد بها لتحصيل المزيد من القواعد والنظريات العلمية التي ساعدته على إجراء التجارب والاختبارات واستخلاص النتائج العلمية، وبالفعل بعد مرحلة من الجهد والعمل الجاد تمكن أديسون من إنجاز أول اختراع له والذي حصل على براءة اختراع عنه وذلك في عام 1868م، وكان عبارة عن جهاز كهربائي لتسجيل وإحصاء أصوات المقترعين في الانتخابات، كما عكف على تطوير آلة التلغراف حتى توصل لما عرف بالتلغراف الكاتب، وأنظمة المزدوج والمربع والآلي أو الأوتوماتيكي والقلم الكهربائي الذي تم تطويره بعد ذلك وعرف بالآلة الناسخة.

أصبح لدى أديسون مكتبة ضخمة تضم العديد من الكتب والمجلدات العلمية التي يستعين بها في تجاربه وأبحاثه العلمية، كما قام بتأسيس مختبر خاص به عام 1876م في منلوبارك بمدينة أورانج بولاية نيوجيرسي الأمريكية.

قدم أديسون العديد من الاختراعات القيمة والتي مازالت البشرية تستفيد منها إلى الآن ويأتي على راس هذه الاختراعات المصباح الكهربائي، كما قام باختراع آلة برقية تستخدم خط واحد في إرسال العديد من البرقيات، كذلك أخترع الجرامفون والذي يقوم

بتسجيل الصوت ميكانيكياً على أسطوانة من المعدن وذلك في عام 1877م، والآلة الكاتبة، وآلة تصوير سينمائية، وجهاز لاقط للراديو، وفي عام 1888 قام باختراع كينتوسكوب وهو أول جهاز لعمل الأفلام، كما قام باختراع بطارية تخزين قاعدية، وفي عام 1913م تمكن من إنتاج أول فيلم سينمائي صوتي، وفي أواخر حياته عمل على إنتاج المطاط الصناعي .

كما إنه صاحب فكرة إطلاق الإلكترونيات بالمعادن المتأججة المعروفة تحت اسم "أثر أديسون" Effect Edison والذي يعتبر في أساسه مصباح ديود "ثنائي"، هذا بالإضافة للعديد من الاكتشافات والاختراعات الأخرى، كما قام أديسون بوضع الأساس العلمي في العديد من الاختراعات فقد شارك بشكل أساسي في اختراع السينما وذلك بعد اكتشافه للوحات التصوير الحساسة، هذا بالإضافة لوضعه لمبادئ الإذاعة اللاسلكية، والتليفون، والسينما والتلفزيون، والعين الكهربائية، والأشعة المجهولة "أشعة اكس" وغيرها العديد من الاختراعات والاكتشافات الهامة.

وقد سجل أديسون على مدار حياته العديد من الاختراعات فقد حصل على ما يقرب من 1093 براءة اختراع، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عقلية عبقرية لم تخضع للفشل بل نبغت وتفوقت ونهضت بصاحبه وجعلته صاحب الفضل على العديد من الأجيال البشرية بعد ذلك.

قصة مصباح أديسون

كان لاختراع المصباح الكهربائي قصة مؤثرة في حياة أديسون، ففي أحد الأيام مرضت والدته مرض شديد، وقد استلزم الأمر إجراء عملية جراحية لها، إلا أن الطبيب لم

يتمكن من إجراء العملية نظراً لعدم وجود الضوء الكافي، واضطر للانتظار للصباح لكي يجري العملية لها، ومن هنا تولد الإصرار عند أديسون لكي يضئ الليل بضوء مبهر فأنكب على تجاربه ومحاولاته العديدة من اجل تنفيذ فكرته حتى انه خاض أكثر من 900 تجربة في إطار سعيه من اجل نجاح اختراعه، وقال عندما تكرر فشله في تجاربه "هذا عظيم .. لقد أثبتنا أن هذه أيضا وسيلة فاشلة في الوصول للاختراع الذي نحلم به"، وعلى الرغم من تكرار الفشل للتجارب إلا انه لم ييأس وواصل عمله بمنتهى الهمة باذلاً المزيد من الجهد إلى أن كلل تعبه بالنجاح فتم اختراع المصباح الكهربائي في عام 1887م.

حياته الشخصية ووفاته

حصل أديسون على وسام ألبرت للجمعية الملكية من فنون بريطانيا العظمى، كما استلم الميدالية الذهبية من الكونجرس الأمريكي عام 1928م، وذلك كنوع من التقدير والتكريم له على جهده العلمي المتميز.

تزوج أديسون مرتين المرة الأولى عام 1871م من ماري ستيلويل وأنجب منها ثلاث أبناء هم ماريون، وتوماس، وويليم وذلك قبل وفاتها بسبب تعرضها لحمى التيفود، أما زواجه الثاني كان من مينا ميلر والتي أنجب منها هي الأخرى ثلاث أبناء هم مادلين، تشارلز وثيودور.

في أواخر حياته أصيب أديسون بمرض السكر وتدهورت صحته فتتابعت الأمراض عليه فمرض بحمى برايث ثم بقرحة المعدة، وبداية من عام 1929 بدأ التدهور السريع في حالته الصحية إلى أن جاء يوم 17 أكتوبر 1931 حيث قال أديسون أخر كلماته في هذه

الحياة وكانت "ما أروع كل شيء هناك!" ولا أحد يعلم ما هو المقصود بهذه الكلمات بالضبط هل هو المشهد خلف النافذة أو العالم الأخر وهو الموت.

وفي اليوم التالي 18 أكتوبر توفى أديسون هذا الرجل الذي أخترع المصباح الكهربائي وأنار به العالم، توفى أديسون في ويست أورانج عن عمر يناهز الأربعة وثمانين عاماً.

توفى صاحب الاختراعات الرائعة والتي مثلت خطوة هامة في حياة البشرية فنقلتها إلى مرحلة أكثر تطوراً وتقدماً، وقد فسر أديسون نجاحه بالمقولة التالية "اثنان بالمئة وحي وإلهام و98 بالمئة عرق وجد وجهد"، وهكذا ضرب للعلماء أروع مثل على أهمية التفاني والإخلاص في العمل حتى يتم الوصول للنتائج المبهرة في النهاية.

ابن فرناس.. طائرُ حلم أن يُحلِّق

عباس بن فرناس أحد علماء العرب البارزين، يعرفه الصغار من خلال القصص التي رويت لهم عن أول إنسان حلم أن يحلق مثل الطيور في الفضاء، وخاض هذه التجربة العملية بالفعل وعلى الرغم من فشله في الطيران إلا أنه فتح أذهان الكثيرين على فكرة الطيران نفسها، ولكن ليس الطيران فقط هو الذي ميز ابن فرناس فقد كان دارساً وعالماً بالعديد من العلوم.

جاء إلمام ابن فرناس بالعلوم والصناعات والآداب المختلفة ليشكل منه حالة من التميز والإنفراد بين علماء عصره، مما جعل الناس يطلقوا عليه لقب "حكيم الأندلس".

نشأته

أبو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكرتي أحد عباقرة الفيزياء والأدب والفن في الأندلس، لم يذكر في كتب التاريخ تاريخ ميلاد محدد لهذا العالم ويقال أن ولادته جاءت في نهاية القرن الثاني الهجري حوالي عام 194هـ، وجاءت وفاته عام 274هـ - 884م.

يعود أصل ابن فرناس إلى برارة "تاكرتا"، ونشأ وترعرع بين ربوع قرطبة التي كانت في هذا الوقت قبلة للراغبين في التزود بالعلوم، حيث كانت منارة للعلم والفن والأدب يفد إليها الناس من شتى البلدان لينهلوا من علم علمائها، وكان لابن فرناس الحظ أن ينشأ في هذه البيئة المفعمة بالعلوم والفنون والصناعة.

علمه

تعلم ابن فرناس القرآن الكريم، ومبادئ الدين الحنيف في كتاتيب قرطبة، وكان متفتح الذهن واسع المدارك أقبل على حلقات العلم بمسجد قرطبة، منصتاً للجلسات والمناظرات العلمية، حريصاً على أخذ العلم عن علماء الأندلس من طريف ما أخذوه من علماء المشرق.

حرص ابن فرناس على أن يخوض في مختلف العلوم فقصد المجالس الأدبية، ومجالس شعراء الأندلس فأستمع إلى النثر والشعر من الأدباء والشعراء بالإضافة إلى ما كان يلقى في هذه المجالس من غريب الأخبار، ودقائق اللغة، كما كان ابن فرناس كثير التردد على أصحاب الفنون الرفيعة يراقب الآلات الموسيقية ويستمع إلى الألحان التي تصدرها عندما يعزف عليها الأفراد.

وبالإضافة للشعر والأدب والفن، خاض ابن فرناس في مجالات أخرى مختلفة تماماً فدرس مصنفات في الطب وقرأ خصائص الأمراض وأعراضها وتشخيصها، كما طالع طرق الوقاية منها وعلاج المصابين، واتجه للطبيعة ليبتكر منها طرق جديدة للعلاج فدرس خصائص الأحجار والأعشاب والنباتات، واستخلص منها مواد مفيدة للعلاج، وكان يتجه إلى الأطباء والصيادلة ليتناقش معهم في كل ما يخص هذه المهنة الجليلة.

بلغ ابن فرناس من الشهرة في مجال الطب الأمر الذي جعل الأمراء الأمويون يتخذونه طبيباً خاصاً لمعالجة أسرهم والإشراف على صحتهم وطعامهم، وتوعيتهم إلى أنسب الطرق للمعالجة من الأمراض.

متبحراً في مختلف العلوم

عاش ابن فرناس حياته وكأنه يكره أن يكون هناك علماً لا يكـون هـو ملمـاً بـه، فبالإضافة لما سبق أضاف لنفسه دراسة الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية، وجمع المصنفات التي تبحث في هذه العلوم، والتي كان يصعب الحصول عليها، فعمد إلى قراءتهـا قراءه علمية دقيقة فاحصة، فاستفاد منها وأفاد غيره.

اشتغل ابن فرناس بعلم النحو وقواعد الإعراب، وصار واحداً مـن نحـاة عـصره في ربوع الأندلس، يؤخذ عنه ويعول عليه، مما دفع الزبيدي صاحب الطبقـات إلى تـصنيفه في الطبقة الثالثة من نحاة الأندلس وقد قال عنه "كان متصرفاً في ضروب من الإعراب".

ولم يكتفي ابن فرناس بما درسه من علوم ولكنه اتجه لأصحاب الصناعات الدقيقـة، فيتأمل أعمالهم ويحاول التعلم منهم، وبالفعل اقتبس منهم الكـثير مـن أسـرار الـصناعات وهو الشيء الذي ساعده في إبراز ما تعلمه مما يحتاج إلى صناعة الآلات العلمية الدقيقة.

التطبيق العملي

لم يكن ابن فرناس كغيره من العلماء الذين يأخـذون العلـم كمـا هـو نقـلاً عـن الأسلاف، بل عمد إلى إثبات النظريـات العلميـة عـن طريـق صـناعة الآلات والأجهـزة الدقيقة وإجراء التجارب العملية لاستخلاص النتائج، وإمعان النظر والبحث والتدقيق في كافة المسائل العلمية التي تمر عليه، وهو الأمر الـذي اظهـر نبوغـه وتميـزه بـين غـيره مـن العلماء.

وتبحر ابن فرناس أيضاً في علم الكيمياء وقام بإجراء التجارب والتحاليل، وتوصل إلى حقائق علمية لم يسبق لأحد من علماء الأندلس الوصول إليها، ومـن تجاربـه الناجحـة

توصله لإمكانية صناعة الزجاج من نوع معين من الحجارة مما سهل على الأندلسيين صناعته من مادة زهيدة الثمن، ونتيجة لذلك انتشرت صناعة الزجاج في بلاد الأندلس وتفوقوا في هذه الصناعة.

اتجه ابن فرناس أيضاً لعلم الفلك والتنجيم فراقب الكواكب والنجوم في مطالعها وأفلاكها ومداراتها ومنازلها، وتمكن من صنع الآلات التي تساعده على رصد حركاتها ومما صنعه تلك الآلة المعروفة "بذات الحلق"، كما أبتكر الميقاته لمعرفة الأوقات وهي آلة توضح الأوقات مثل الساعة في عصرنا الحالي، ومن ابتكاراته أيضاً اتخاذه في دارته هيئة السماء وصور فيها الشمس والقمر والكواكب ومداراتها والغيوم والبرق والرعد فكان ذلك من عجائب الصنعة وبديع الابتكارات.

ابن فرناس "الطائر الآدمي"

عندما يكون الإنسان في عقلية ابن فرناس فليس من الغريب أن يتطلع ذهنه إلى أشياء لم يتطرق إليها أي من البشر قبل ذلك، ومن أكثر الابتكارات التي أبرزت أسم ابن فرناس وارتبطت به حتى عصرنا هذا هو محاولته الطيران والتحليق في الفضاء مثل الطيور، وفي سبيل ذلك قام بدراسة ثقل الأجسام ومقاومة الهواء لها، وتأثير ضغط الهواء فيها إذا ما حلقت، واطلع على خواص الأجسام، وكان لتبحره في العلوم الطبيعية والرياضة والكيمياء فضل كبير في تمكنه من إجراء دراساته هذه.

وبعد أن أكمل ابن فرناس دراساته عمد إلى التجربة العملية فكسا نفسه بالريش الذي اتخذه من شقق الحرير الأبيض لمتانته وقوته، مما يتناسب مع ثقل جسمه، وصنع له جناحين من الحرير أيضاً يحملان جسمه إذا ما حركهما في الفضاء، وتأكد من أن

باستطاعته إذا ما حرك هذين الجناحين فإنهما سيحملانه ليطير في الجو، كما تطير الطيور، وبعد أن انتهى ابن فرناس من كافة الاستعدادات جاءت اللحظة الحاسمة وأعلن للناس جميعاً نيته في الطيران وتجمع الناس لرؤيته وهو يحلق.

صعد ابن فرناس بعد أن ارتدى آلته التي صنعها فوق مرتفع وحرك جناحيه وقفز في الجو، وطار في الفضاء بالفعل لمسافة بعيدة، ولكنه ما لبث أن سقط وتأذى في ظهره، وعلى الرغم من عدم اكتمال النجاح لمحاولة ابن فرناس إلا أنه لفت نظر العلماء بعد ذلك لإمكانية الطيران، فكان إنسان متفرد وكتبت محاولته هذه في كتب التاريخ كأول محاولة طيران قام بها الإنسان.

الأديب والشاعر

عرف ابن فرناس كأديب وشاعر وله شعر كثير في أغراض مختلفة، اتصل بالبلاط الأموي فكان شاعرهم كما كان طبيبهم، وعاش في ظل رعاية أمرائهم ونظم لهم الشعر في مختلف الأغراض، كما كان موسيقياً مبدعاً ينظم الشعر ويضع اللحن ويغني به.

من المواقف التي تنم عن مدى براعة ابن فرناس يذكر المؤرخون أنه لما أدخل إلى الأندلس كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي وصار إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، عرضه على علماء قرطبة وأدبائها ليوضحوه له، فعجزوا عن ذلك، وصار الكتاب مما يتلهى به في قصر الأمير، وعندما علم ابن فرناس بذلك تقدم إلى الأمير وطلب منه إخراج الكتاب إليه ففعل، ولما قرآه وتدبره علم أنه في علم العروض، العلم الذي ابتكره الفراهيدي وضبط به بحور الشعر العربي، ففك ابن فرناس غوامضه وشرحه لقومه فسهل عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه.

وخلاصة القول في النهاية أن عباس ابن فرناس كان عالماً صاحب ذهن متفتح لم يدع علماً يمر دون أن يدرسه ويتحقق من نظرياته ويتبحر به ويجري التجارب ويستخلص النتائج، فكان من أطباء زمانه ودرس المنطق والفلسفة والفيزياء والكيمياء، واطلع على الفنون الرفيعة والصناعات، وتبحر في الأدب والشعر والنحو، وكان متضلعاً في أمور الفلك والتنجيم والرياضيات، فحق القول عنه أنه أحد عباقرة زمانه والذي يندر الزمن أن يجود بمثله.

ماكيافيلي

نيكولو دي برناردو دي ماكيافلّي (بالإيطالية: Niccolò di Bernardo dei Machiavelli)، ولد في فلورنسا 3 مايو 1469، وتوفي في فلورنسا في 21 يونيو 1527، كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبان عصر النهضة. أصبح مكيافيلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيافيلي منه أن كتيب تعليمات للحكام، نُشرَ الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ماهو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فُصلت نظريات مكيافيلي في القرن العشرين.

عند ماكيافيلي المجتمع يتطور بأسباب طبيعية، فالقوى المحركة للتاريخ هي "المصلحة المادية" و "السلطة". وقد لاحظ صراع المصالح بين جماهير الشعب والطبقات الحاكمة، وطالب ماكيافيلي بخلق دولة وطنية حرة من الصراعات الإقطاعية القاتلة، وقادرة على قمع الاضطرابات الشعبية. وكان يعتبر من المسموح به استخدام كل الوسائل في الصراع

السياسي، فمكيافيلي القائل "الغاية تبرر الوسيلة" برر القسوة والوحشية في صراع الحكام على السلطة. وكانت أهمية ماكيافيلي التاريخية أنه كان واحدا من أوائل من رأوا الدولة بعين إنسانية واستبطنوا قوانينها من العقل والخبرة وليس من اللاهوت.

ولقد ألف مكيافيلي العديد من "المطارحات" حول الحياة السياسية في الجمهورية الرومانية، فلورنسا، وعدة ولايات، والتي من خلالها برع في شرح وجهات نظر أخرى. على كُلٍ فصفة "مكيافيلي" والتي ينظر إليها الباحثون على أنها تصف بشكل خاطئ مكيافيلي وأفكاره، أصبحت تصف التصرف الأناني والذي تهدف له الجماعات الربحية. مع ليوناردو دا فينشي، أصبح نيكولو مكيافيلي الشخصية المثالية لِرجل عصر النهضة، ومن اللائق أن يقال أن مكيافيلي يستحوذ على صفات "الذكاء المكيافيلي"، عوضاً عن وصفه بالمكيافيلية.

سيرته الذاتية

ولد مكيافيلي في فلورنسا لمحامٍ هو برناردو دي نيكولو مكيافيلي وبارتولومي دي استفانو نيلي، والذي كانا منحدرين من أسرة توسكانية عريقة.

من عام 1494 إلى 1512، تقلد مكيافيلي الشاب منصباً إدارياً في الحكومة، زار خلالها البلاط الملكي في فرنسا، وألمانيا، وعدة مقاطعات إيطالية في بعثات دبلوماسية. بعدها بقليل حُبسَ مكيافيلي في فلورنسا عام 1512، نُفي بعدها لسان كاساينو، وتوفي في فلورنسا عام 1527 ودفن في سانتا كراوس.

ويمكن تقسيم فترة حياته إلى ثلاثة أجزاء كلها تمثل حقبة مهمة من تاريخ فلورنسا، حيث عاصر في شبابه وطور نموه ازدهار فلورنسا وعظمتها كقوة إيطالية تحت حكم

لورينزو دي ميديشي، وسقوط عائلة ميديشي في عام 1494، حيث دخل مكيافيلي في الخدمة العامة، حيث تحررت فلورنسا خلالها وأصبحت تحت حكم جمهورية، والتي استمرت لعام 1512، حيث استرجعت آل ميديشي مقاليد السلطة، وخسر ماكيافيلي منصبه. و حكمت آل ميديشي حتى عام 1527، حيث تم إجلاءهم عن المدينة في 22 يونيو مرة أخرى، وحينها كانت الفترة التي تمخضت عن نشاطات مكيافيلي ومؤلفاته، ولكنه توفي، عن عمرٍ يناهز الثامنة والخمسين تقريبا قبل أن يسترجع منصبه في السلطة.

شبابه ونشأته

مع أن القليل دُون عن فترة شباب مكيافيلي، إلا أن فلورنسا تلك الحقبة معروف بشكل يسهل التنبأ معه بحياة أحد مواطنيها. لقد وُصفت فلورنسا على أنها مدينة ذات نمطي حياة مختلفين، واحدٌ مُسير من قبل المتشدد الراهب سافونارولا، والآخر من قبل لورينزو دي ميديشي. لابد وأن يكون تأثير سافونارولا على مكيافيلي الشاب دون أي تأثيرٍ يُذكر، إلا أنه مع تحكم سافونارولا بأموال فلورنسا، فقد أوجد لمكيافيلي مادة في كتابه الأمير عن النهاية المأسوية للنبي الغير مسلح. أما عن روعة حكم الميديشيين إبان عهد لورنزو العظيم فقد كان ذا أثرٍ ملموس على الشاب، حيث أشار عدة مرات إليهم، ويجدر الإشارة إلى أن كتابه الأمير قد أُهدي إلى حفيد لورينزو (وهذه من الطرائف عند الحديث عن هذا الشاب حيث كان والده وجده من المعارضين لحكم الميديشيين).

ويعطينا كتابه، تاريخ فلورنسا، صورة عن الشباب الذين قضى معهم فترة شبابه، حيث يقول: "لقد كانوا أحراراً أكثر من آبائهم في ملبسهم وحياتهم، وصرفوا الكثير على مظاهر البذخ، مبذرين بذلك أموالهم ووقتهم طمعاً بالكمال، واللعب، والنساء. لقد كان

هدفهم الرئيس هو أن يبدو الشخص فيهم بمظهرٍ حسن وأن يتحدث بلباقة وذكاء، وقد أُعتبر من يجرح الناس بذكاء أحكمهم كما ذكر".

وفي رسالة لابنه غويدو، يظهر مكيافيلي ضرورة أن تُستغل فترة الشباب بالإنكباب على الدراسة، وهذا مايقودونا إلى الإعتقاد بأنه قد انشغل كثيراً إبان شبابه. ويقول مكيافيلي: "لقد تلقيتُ رسالتك، والتي منحتني شعوراً عظيماً بالسعادة، خصوصاً وأنك استعدت عافيتك، ولن يكون هناك خبرٌ أجمل من هذا، فقد وهبك الرب ووهبني الحياة، وآمل أن أصنع منك رجلاً كفؤً إذا ماكنت مستعداً لتقوم دورك". ومن ثم يُكمل: "سوف يكون هذا جيداً لك، ولكنه واجبٌ عليك أن تدرس، حيث لن يكون لك العذر في أن تتباطأ بحجة المرض، واستغل ألمك لدراسة الرسائل والموسيقى، حيث سيبدو لك الشرف الذي يكون لي بامتيازي بمثل هذه المهارة. إذن، بُني، إذا ماأردت إسعادي، وأن تجلب لنفسك الشرف والنجاح، قم بالمطلوب وادرس، لأن الجميع سيساعدونك إذا ماساعدت نفسك".

كتاب الأمير ووفاة مكيافيلي

عند عودة آل ميديشي أمل مكيافيلي عودته لمنصبه في الخدمة العامة تحت سلطة الأسياد الجدد لفلورنسا، أُقصي في الثاني عشر من نوفمبر لعام 1512، واتُهم لاحقاً بالتورط في مؤامرة ضد المديتشيين وسُجن، وتم استجوابه تحت التعذيب. وقام البابا الميديشي الجديد ، ليو العاشر، بالعفو عنه وإطلاق سراحه. وذهب مكيافيلي لسان كازينو ليقضي فترة تقاعده، بالقرب من فلورنسا، حيث قضى وقته بالكتابة. وفي رسالة لفرانسيسكو فيتوري، مؤرخة بثالث عشر من سبتمبر من عام 1513، يذكر مكيافيلي وصفٍ مثيراً للحياة التي قضاها في تلك الفترة، والتي بين فيها الدوافع لكتابة الأمير. فبعد أن وصف حياته اليومية مع عائلته والجيران، يكتب مكيافيلي:

عندما يحل المساء أعود إلى البيت، وأدخل إلى المكتبة، بعد أن أنزع عني ملابسي الريفية التي غطتها الوحول والأوساخ، ثم أرتدي ملابس البلاط والتشريعات، وأبدو في صورة أنيقة، أدخل إلى المكتبة لأكون في صحبة هؤلاء الرجال الذين يملأون كتبها، فيقابلونني بالترحاب وأتغذى بذلك الطعام الذي هو لي وحدي، حيث لاأتردد بمخاطبتهم وتوجيه الأسئلة لهم عن دوافع أعمالهم، فيتلطفون علي بالإجابة، ولأربع ساعات لاأشعر بالقلق، وأنسى همومي، فالعوز لايخيفني والموت لايرهبني، لقد تملكني الإعجاب بأولئك العظام، ولأن دانتي قال: «يُحفظ العلم الذي يأتي بالتعلم». ولقد دونتُ ملحوظاتٍ من محاوراتهم، وألفت كتاباً عن الإمارات، حيث أنكبُ جاهدا في التأمل والتفكر بما يتعلق بهذا الموضوع، مناقشة ماهية الإمارات، وأنواعها، وكيفية امتلاكها، ولماذا تُفقد، وعليه فهذا على الأرجح سيعجبك، إلا أنه لأميرٍ جديد سيكون محل ترحابه، ولذا فقد أهديتُ

الكتاب لجلالته جوليانو. وقام فيليبو كازافتشيو بإرساله، وسيخبرك عن محتواها وعن حواري معه، ومع ذلك فمازالت تحت التنقيح.

ولقد تعرض الكتيب للعديد من التغيرات قبل أن يستقر على الشكل الذي هو عليه الآن. ولسببٍ ما تم إهداء الكتاب للورينزو الثاني دي ميديشي، مع أن مكيافيلي ناقش كازافتشيو إذا ماكان من الأفضل إرساله أو عرضه شخصياً، إلا أنه لم يثبت أن لورنزو قد استلم الكتاب أو حتى قرأه، وبطبيعة الحال لم يقم بتوظيف مكيافيلي. ولم يقم مكيافيلي بنشر الكتاب بنفسه، وقد اختلف فيما إذا كان النص الأصلي للكتاب لم يتعرض للتحريف، إلا أنه قطعاً تعرض للسرقة الأدبية.

وختم مكيافيلي رسالته إلى فتوري قائلاً:

وبالنسبة لهذا الكتاب الصغير، عندما يُقرأ، فسيتراءئ لقارئه أني لم أنم أو أتكاسل في دراسة فن السياسة وإدارة الدولة طوال الخمسة عشر عاماً التي قضيتها متنقلاً بين الملوك، وعليه الرغبة في أن ينهل من خبرة هؤلاء.

وقبل أن يُنهي مكيافيلي كتاب الأمير بدأ مطارحاته بالكتابة عن العقد الأول لتايتوس ليفيوس، والذي يجب أن يُقرأ تزامناً مع الأمير. هذه الأعمال وأخرى أصغر أبقته منشغلاً حتى 1518، حتى وُكل بمهمة المراقبة على أعمال بعض التجار في في جينوا. وفي عام 1519 منح حكام فلورنسا المديتشيون صلاحيات سياسية للمواطنين، وأصبح مكيافيلي وآخرون مستشارين حسبما ينص الدستور الجديد حالما يتم إرجاع المجلس العظيم.

وأصبح عام 1520 مُذهلاً لكي يعاود مكيافيلي الإنخراط في مجتمع فلورنسا الأدبي، كما كان هذا العام هو بداية إنتاج كتاب فن الحرب. وقد طلب الكاردينال دي ميديشي من مكيافيلي تأليف كتاب تاريخ فلورنسا، وهي مهمةٌ أشغلت مكيافيلي حتى عام 1525.

وعندما انتهى من كتاب تاريخ فلورنسا، ذهب به لروما ليعرضه على البابا جوليو دي ميديشي، المعروف بالبابا كليمنت السابع، ولقد أهدى هذا الكتاب إلى رأس أسرة ميديشي. ومن ذلك العام قامت معركة بافيا ودمرت أملاك فرنسا في إيطاليا تاركةً فرانسيس الأول أسيراً تحت رحمة تشارلز الخامس وطُرد المديتشيون من فلورنسا مجدداً.

وكان مكيافيلي حينئذ غائباً عن فلورنسا، ولكنه أسرع في العودة لكي يؤمن مركزه كمستشار. ولكنه مرض فور وصوله حيث تُوفي في الثاني والعشرين من يونيو من عام 1527.

ردود الفعل تجاه الأمير ومكيافيلي

لم يتم نشر الأمير إلا بعد وفاة مكيافيلي بخمس سنين، ولذا لم يفهمه البعض وهاجموه حتى أصبح اسمه ملازماً للشر دائماً حتى في الفنون الشعبية. وأول من هاجم مكيافيلي هو الكاردينال بولس مما أدى لتحريم الإطلاع على كتاب الأمير ونشر أفكاره، وكذلك أنتقد غانتيه في مؤلفٍ ضخم أفكار مكيافيلي، ووضعت روما كتابه عام 1559 ضمن الكتب الممنوعة وأحرقت كل نسخة منه.

ولكن وعندما بزغ نور عصر النهضة في أرجاء أوروبا ظهر هناك من يدافع عن مكيافيلي ويترجم كتبه. ولم يصل مكيافيلي وفكره لما وصل إليه الآن إلا في القرن الثامن

عشر عندما مدحه جان جاك روسو، وفيخته، وشهد له هيغل بالعبقرية. ويُعتبر مكيافيلي أحد الأركان التي قام عليها عصر التنوير في أوروبا.

ولقد أختار موسوليني كتاب الأمير موضوعاً لأطروحته التي قدمها للدكتوراه، وكان هتلر يقرأ هذا الكتاب قبل أن ينام كل ليلة. وناهيك عن من سبقهم من الملوك والأباطرة كفريدريك وبسمارك وكريستينا وكل من ينشد السلطة.

مقولات لمكيافيلي

- حبي لنفسي دون حبي لبلادي.
- من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك.
- الغاية تُبرر الوسيلة.
- أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلحين أحتلوا وأنتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلحين عن ذلك.
- ان الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس.
- من واجب الأمير احياناً ان يساند ديناً ما ولو كان يعتقد بفساده.
- ليس أفيد للمرء من ظهوره بمظهر الفضيلة.
- لايجدي ان يكون المرء شريفاً دائماً.

مؤلفاته

لقد خلف مكيافيلي ثروة أدبية وفكرية هائلة جدا في شتى المجالات يُقدر عددها نحو الثلاثين كتاباً.

- كتاب الأمير (1513)
- كتاب دل بيرو

القديس توما الاكويني

القديس توما الأكويني (بالإيطالية: Tommaso d'Aquino) فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير من أتباع الفلسفة المدرسية، طُوب قديساً. هو أحد علماء الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بأنه العالم الملائكي Doctor Angelicus، اعتبرته الكنيسة عالمها الأعظم، وظلت فلسفته التوماوية لوقت طويل المدخل الفلسفي الأساسي لمقاربة فكر الكنيسة الكاثوليكية. وهو حامي الجامعات والكليات والمدارس الكاثوليكية.

ولد في روكاسكا قرب أكوين عام 1225، وتوفي في 1274.

سيرة ذاتية

ولد توما الأكويني في 1225 في قلعة والده الكونت لاندوفل روكاسكا قرب أكوين في مملكة نابولي وإليها نسبته. كان عمه سينيبالد رئيس الرهبان البندكتيين في ديرهم الرئيسي في مونت كاسيني، ونوت العائلة أن يخلف توما عمه في منصبه، الأمر الذي يعد مسار مهنة طبيعي للابن الأصغر في أسرة نبلاء.

في سن الخامسة أُرسل إلى الدير ليتلقى تعليمه المبكر، وبعد الدراسة لمدة ست سنوات في جامعة نابولي ، غادرها في سن السادسة عشرة، بتأثير الرهبان الدومينيكان، الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم لجذب الدارسين الشبان ذوي المهارة، واكتساب مكانة بينهم؛ مقدمين مع الرهبان الفرانسيسكان تحدياً ثورياً للنظام الإكليروسي الراسخ في أوروبا القرون الوسطى المبكرة.

هذا التغيير في المعتقد لم يرض عائلته، وفي طريقه إلى روما، اعتقل توما بواسطة شقيقه وأعيد إلى والديه في قلعة سان جوفاني حيث بقي مُعتقلاً لسنة أو اثنتين لجعله يتراجع عن مقصده. وطبقاً لتراجمه المبكرة، فإن عائلته حاولت كل شيء لثنية عن مقاصده. وفي النهاية هُزمت معارضة عائلته بوساطة البابا إنوسنت السادس، واعتنق توما مذهب القديس دومينيك في عامه السابع عشر.

عندما لمس مشرفوه استعداده الطبيعي للدراسات اللاهوتية أرسلوه إلى المدرسة الدومينيكانية في كولونيا، حيث كان ألبرتس ماغنوس يُحاضر في الفلسفة واللاهوت. وصل توما إلى هناك في أواخر 1244، وصاحب ألبرتس إلى جامعة باريس في 1245 ليبقى هناك مع معلمه ثلاث سنوات، تخرج بعدها حاملاً شهادة في اللاهوت. في 1248 عاد إلى كولونيا مع ألبرتوس، وعُين محاضراً ثانياً، وطالب ماجستير. ويُمكن أن تؤخذ هذه السنة على أنها بداية نشاطه الأدبي، وحياته العامة.

قبل مغادرته باريس، أثيرت منازعات بين رجال الدين غير الرهبان، وبين الرهبان فيما يتعلق بحق التدريس في كلية اللاهوت بجامعة باريس، فاختير الأكويني الشاب ليدافع عن نظامه، ويجادل قائد الحملة ضد الرهبان غيوم دي سانت آمور الذي استطاع، في غيبة لويس التاسع أن يحد من حقوق الرهبان في التدريس، وقصره على مقر واحد، لكن البابا

ألكسندر الرابع أعاد إلى الرهبان حقوقهم المكتسبة في سنة 1245. لسنوات عديدة لاحقة بقي توما مع فيلسوف المدرسية الشهير ألبرتس، وكانت صحبتهما ذات تأثير مهم في تطور توما الفكري، فقد جعلته دارساً شاملاً للمدرسية، ومتبعاً للطريقة الأرسطية.

التعليم المسيحيَ

في القرن الثالث عشرِ، كَانتْ أعمال ارسطو قَدْ أَصْبَحتْ مؤثرَة مرةً أخرى، بعد أن فُقِدَ إلى أوروبا الغربية منذ شلالِ روما. أحد مؤسسي الأعظم للفكرِ المسيحيِ والأرسطوطاليسيِ كَانَ توماس الأكويني. أصبحَ تأليفُه في الميتافيزيقيا الأرسطوطاليسيةِ وتَفَاهُم مع العمليِ التعليم المسيحيَ خاصيةَ فلسفة من القرون الوسطى. أي قضية مركزية التي منها كَانتْ تَفْهمُ طبيعةَ وجود في حد ذاته والله التي تُعرّفُ نفسه كخالقِ كُلّ الكائنات. الأكويني حاولَ الإجابة بإختصار يُهيّئُ كُلّ القضايا اللاهوتية الرئيسية مِنْ يومِه بتَركيب الإعتقادِ المسيحيِ بميتافيزيقيا الطبيعة الهيولية الأرسطوطاليسية.

بينيديتو كروتشه

بينيديتو كروتشه (1866 - 1956) فيلسوف إيطالي من أتباع المدرسة الهيغلية الجديدة (أنظر الهيغلية الجديدة) وأستاذ بنابولي (1902-1920)، وقد ظهر كروتشه قرب نهاية القرن التاسع عشر بنقد للنظريات الفلسفية والاقتصادية للماركسية.

فلسفته

فلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة. ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات في "هبوط عالم الروح" وهي الدرجة الجمالية (تجسد الروح الفرد)، والدرجة المنطقية (مجال

قال عن نفسه "أنه عاشق للعلم وأن الشعر يمنحه الراحة النفسية".

فعرف مستجير ككاتب متميز له العديد من المؤلفات القيمة سواء في المجال العلمي أو الأدبي حيث تمكن من خلال مؤلفاته من توصيل المادة العلمية للقارئ بشكل مبسط يسهل استيعابه، وفي المجال الأدبي قام بالعديد من الدراسات الأدبية للشعر واللغة وقدم الكتب الأدبية والدواوين الشعرية والكتب المترجمة.

النشـــأة

هو أحمد مستجير مصطفى ولد في الأول من ديسمبر عام 1934م بمحافظة الدقهلية، التحق بكلية الزراعة جامعة القاهرة وحصل منها على درجة البكالوريوس في عام 1954م، ثم نال درجة الماجستير في تربية الدواجن عام 1958م، وحصل على دبلوم وراثة الحيوان من جامعة أدنبرة بإنجلترا عام 1961م، والدكتوراه في وراثة العشائر عام 1963م.

المجال العملي

تدرج الدكتور مستجير في العمل الأكاديمي فبدأ مدرساً بكلية الزراعة بجامعة القاهرة، ثم أستاذ مساعد 1971، وأستاذ 1974، ثم عميداً للكلية في الفترة ما بين 1986 – 1995، تلى ذلك عمله كأستاذ متفرغ.

كان الدكتور مستجير عضواً في العديد من الجمعيات والهيئات نذكر منها مجمع الخالدين، الجمعية المصرية للعلوم الوراثية، اتحاد الكتاب، لجنة المعجم العربي الزراعي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها من الهيئات، كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية العربية، والعالمية.

التكريم والجوائز

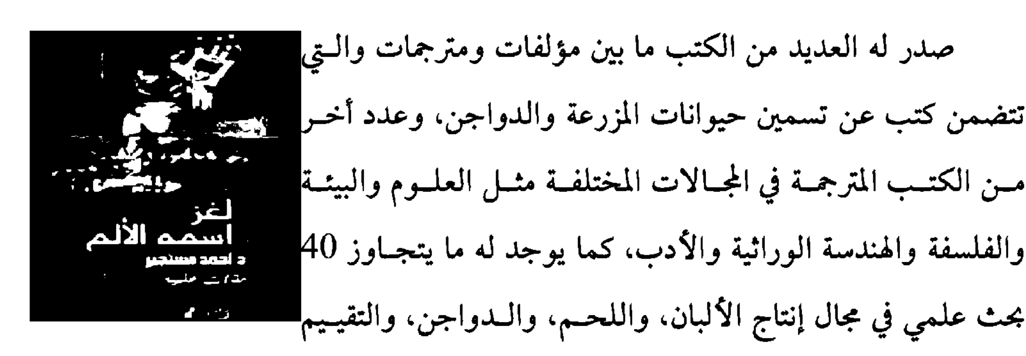
شخصية بمواصفات الدكتور أحمد مستجير وقيمته العلمية ومشاركاته الفعالة في العديد من المجالات العلمية والثقافية تستحق كل تقدير وتكريم وهذا ما حدث فعلاً حيث تم تكريمه من قبل العديد من الهيئات، ومن الجوائز التي حصل عليها: وسام العلوم، والفنون من الطبقة الأولى في كل من عامي 1974، 1996، وجائزتي الدولة التقديرية والتشجيعية للعلوم والزراعة، وجائزة مبارك للعلوم والتكنولوجيا المتقدمة عام 2001م، كما حصل على جائزة أفضل كتاب علمي مترجم في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وجائزة الإبداع العلمي من البنك الأهلي للمبدعين في مجال العلوم.

مستجير الأديب

عشق مستجير الشعر وقام بكتابته في مرحلة مبكرة من عمره، وكانت أول قصيدة قام بكتابتها كاملة كانت في عام 1954 بعنوان "غداً نلتقي"، ويجد مستجير أن هناك علاقة قوية بين كل من الشعر والعلم فيربط بين الاثنان الخيال والحب فيجب أن يكون العالم لديه الخيال لكي يستطيع أن يبحر ويكتشف المزيد في دروب العلم المختلفة بالإضافة لأهمية أن يحب عمله وعلمه لكي يرتقي به دائماً، كما يجب أن يكون الشاعر على قدر كبير من الخيال لكي يستطيع أن يبدع في شعره ويثريه بالمزيد من المشاعر والعاطفة.

بدأت علاقته تتوطد بالأدب من خلال مجلة أخر ساعة والتي كان يتابع أعدادها الأسبوعية، ويحفظ القصائد التي تقدم بها، بالإضافة لإطلاعه على العديد من الكتب الأدبية الأخرى وسلاسل الروايات العالمية، وخاصة البوليسية منها، ومن كثرة عشقه للشعر أنه كان يبدأ بعض فصول كتبه العلمية بأبيات شعرية مثل أشعار إيليا أبو ماضي.

كتبه ومؤلفاته



صدر له العديد من الكتب ما بين مؤلفات ومترجمات والتي تتضمن كتب عن تسمين حيوانات المزرعة والدواجن، وعدد أخر من الكتب المترجمة في المجالات المختلفة مثل العلوم والبيئة والفلسفة والهندسة الوراثية والأدب، كما يوجد له ما يتجاوز 40 بحث علمي في مجال إنتاج الألبان، واللحم، والدواجن، والتقييم الوراثي للحيوانات.

وبعيداً عن العلوم الزراعية والوراثية للدكتور مستجير مؤلفات شعرية وأدبية فله عدد من الدواوين الشعرية منها كتاباته في عروض الشعر، وأخرى في دراسة عروض الشعر العربي وإيقاعاته الموسيقية.

من الكتب نذكر: إبادة العالم الثالث، بيولوجيا الخوف، لغز اسمه الألم، البيوتكنولوجيا في الطب والزراعة، في بحور العلم – جزء ثالث دفاع عن العلم، التحسين الوراثي لحيوانات المزرعة، النواحي التطبيقية في تحسين الحيوان والدواجن، علم اسمه الضحك.

من دواوينه الشعرية ديوان عزف الناي قديم -1980، هل ترجع أسراب البط – 1989، وله كتاب أخر هام في علم العروض.

هذا بالإضافة للعديد من المقالات المتميزة في مجال الجينوم أو المادة الوراثية في نواة خلايا الكائن الحي، ومن الكتب التي شارك في ترجمتها وتحقيقها : حلم الجينوم وأوهام أخرى.

حياته الشخصية

تزوج مستجير من سيدة نمساوية عام 1965م، ولديه ثلاث أبناء الأولى مروة حاصلة على درجة الدكتوراه في البيولوجيا الجزيئية في الهندسة الوراثية وصاحبة اكتشافات علمية هامة حيث اكتشفت جين سرطان المثانة في فيينا، أما ابنته سلمى فهي حاصلة على ماجيستير في اللغة الألمانية من جامعة فيينا، أما ابنه طارق فهو مهندس حاصل على الماجستير ويعمل في مجال الكمبيوتر.

الوفـــــاة

جاءت وفاة الدكتور مستجير بعد حياة حافلة نهل فيها من العلوم المختلفة وخلف ورائه العديد من الكتب والمؤلفات العلمية التي يستفيد منها العديد من الأشخاص إلى الآن، فكانت الوفاة في 16 أغسطس عام 2006م بأحد المستشفيات في العاصمة النمساوية فيينا، ودفن بمصر في 21 أغسطس 2006.

قائمة المراجع

- القران الكريم.
- سيرة ابن هشام الجزء الثاني – دار الجليل.
- مقدمة ابن خلدون.
- معجم الفلاسفة.
- شرح ابن حديد الجزء الثاني.
- علم الاجتماع – نقولا حداد الجزء الثاني.
- النداء الاسود.
- الانسان ذلك المجهول.
- علم الاجتماع – صموئيل لكيننغ.
- تحف العقول.
- وسائل الشيعة الجزء الاول.
- بحار الانوار الجزء السادس.
- شرح ابن حديد لنهج البلاغة الجزء الثاني.
- مقدمة علم فلسفة التربية والتعليم.
- غرر الحكم.

- كاسير ، إرنست : الدولة والأسطورة ، الترجمة العربية ، ص 18 ، 19 ، القاهرة 1975 .
مصطفىEliade; M; mythes , reces et mysteres , p.18, paris1975 .
زيعور : الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ، ، بيروت ، 1984 .
- بل ، ألفرد : الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى ، الترجمة العربية ، بنغازي 1969 .
- محمود إسماعيل تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وما بعدها ، الكويت ، 1990.
ماك كوك : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ، الدار البيضاء ، د .ت .
ابن حوقل : المالك والممالك ، ، 1973.
- أبو زكريا كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، محمود إسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، طور التكوين ، ، القاهرة 2000.
- البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ، بغداد 1957.
- سعد زغلول عبد الحميد ك تاريخ المغرب العربى ، ج2 ، ، الإسكندرية 1979.
- محمود إسماعيل : مغربيات ، ، فاس 1977.
- الطبراني : تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ، القاهرة 1969.
- إبن أبى زرو : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ، الرباط 1973 .
- Marcy; G; Les Dieux des abadites et des Bourgata , Hisparis , To.xxii, p.33,paris 1960.
- محمد حباني : خصائص المدن المغربية فى عصر الدول المستقلة ، رسالة ماجستير ،، فاس 1987 ، مخطوطة .

- محمود إسماعيل : المرجع السابق ، .محمود إسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ، ، الدار البيضاء ، 1976.

- زكي أحمد بدوي . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط1 1979 ، الطبعة الجديدة 1993.

- زكي أحمد بدوي .. كلمات شعبية جزائرية ،.

- روجيه غارودي: الأساطير المؤسسة للفكر اليهودي.

- الدكتور أمين سلامة – الأساطير اليونانية و الرومانية

- المركز القومي للبحوث الاجتماعية في مصر

- محمد أركون ، الإسلام ، أوربا ، الغرب ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، ط1 ، 1995.
- 3و4 – عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1981 ،
- محمد خليفة حسن ، الأسطورة والتاريخ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1988 ، ط1
- احمد أبو زيد ، تايلور ، القاهرة ، 1957 ،
- جمال الدين محمد ابن منظور ، لسان العرب ، /13 ، بيروت ، 1956 ، .
- محمد حسن عبد الله ، أساطير عابوه الحضارات ، دار قباء ، القاهرة ، 2000
- قاسم المقداد ، هندسة المبنى ، دار السؤال بدمشق ، ط1 ، 1984 ،.
- مرسيا الياد ، مظاهر الأسطورة ، ترجمة : نهاد خياط ، دار كنعان ، دمشق ، ط 1 ، 1991 ،
- عامر عبد زيد ، الإله الشهير تموزي ، م/ الموقف الثقافي ، ع ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ،
- فراس السواح ، الأسطورة والمعنى ، علاء الدين ، دمشق ، 1997 16 –البيرت حوزاني ، البنية الذهنية ، بيروت ، (د ت) ،.
- علي حسين الجابري ، الحوار الفلسفي بين الحضارات الشرق القديم وحضارات الإغريق ، بغداد ، 1985 ،
- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، دار الحكمة ، بيروت ، ط1 ، 1981 ،
- خز عل الماجدي ، أدب الكالا ، أدب النار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2001 ،.

- فاضل عبد الواحد ، الأدب ، حضارة العراق ، ج 1 ، بغداد ، 1985 21- رولان بارت ، الأسطورة اليوم ، ترجمة :/ حسن القومي ، الموسوعة رقم 245 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990
- محمد خليفة احمد ، الأسطورة والتاريخ ، بيروت
- بيار كلاشير ، مارسيل غوشيه ، في اصل العنف والدولة ، تعريب وتقديم : علي حرب ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1985.
- بيتر منوتز ، حين ينكسر الغصن الذهبي بنيو أم طبولوجيا ، ترجمة : صبار سعدون ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 ،
- احمد مجيد م/ الموقف الثقافي ، ع ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،

- ناجح المعموري ، أسطورة الخصب ، م/ أفكار ، عمان ، 167 .
- طراد الكبيسي ، البناء الفني ، بغداد ،
- صلاح سلمان ، أدب الحكمة
- المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، بغداد ، 1988 ،
- فرانكفورت ،ومجموعة باحثين ،ماقبل الفلسفة-الانسان في مغامرات الفكر الاولى ،ت:جبر ابراهيم جبرا،ط2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،1980
- محمد دراز ،الدين مجموعة ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ،دار العلم ،ط1970،2.
- كريمر ،الواح سومر ،
- ليواوبنهايم ، بلاد مابين النهرين ،ت: سعد فيضي عبد الرزاق ،ط1،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1981،
- مرغويت روثن ،علوم البابلين ،ت:يوسف حبي ،ط1، بيروت ،1980 42-.طه باقر ، ملحمة جلجامش ،
- كريمر ،الواح سومر ،
- فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى 45- قاسم الشواف ،ديوان الاساطير،الكتاب الثاني"الالهةوالبشر"،الساقي،ط1 ،بيروت،1997،